منبر الإسلام

السنة (٦٨) العدد (١) المحرم ١٤٣٠ هـ - يناير ٢٠٠٩م - الثمن ١٥٠ قرشا

القيم والسلوكيات فى ضوء متغيرات العصر

دروس من الهجرة النبوية الشريفة

ازدراء الأديان فى ذكرى حقوق الإنسان

فن الدعاء فى قصص القرآن

منهجية التفسير الاجتماعى فى القرآن الكريم

الآثار المتوقعة للأزمة المالية العالمية

صيانة البيئة فى الشريعة الإسلامية

منبر الإسلام
تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس مجلس الإدارة

الدكتور: **محمود حمدى زقزوق**

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور: **محمد الشحات الجندى**

أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس التحرير

الدكتور: **أحمد كمال أبو المجد**

الدكتور: **أحمد محمد الطيب**

الشيخ: **محمد عبدالمجيد زيدان**

افتتاحية العدد

عزيزى القارئ

مع مقدم عام هجرى جديد ١٤٣٠هـ نستقبل معك وبك هذا العام بكل البشرى والأمل فى ذكرى نور الهجرة المحمدية الذى يتزامن مع بداية سنة ميلادية جديدة ٢٠٠٩م.

لذلك تحرص مجلة منبر الإسلام أن تزف خالص التهانى وعظيم الأمانى لقرائها ولجماهير الشعب المصرى وشعوب الأمة العربية والإسلامية داعية المولى عز وجل أن يجعل هذا العام موفور الصلاح والسعادة ويمثل إشراقة وضاءة بالأمل فى حاضر مزدهر ومستقبل واعد، وأن يوحد الأمة على هدى الإسلام ورفعة شأن المسلمين وينطلق بها على درب التقدم والنهضة والرخاء إنه نعم المولى ونعم المجيب

القيم والسلوكيات في ضوء متغيرات العصر

د. محمود حمدى زقزوق

لا شك فى أن حياة الناس فى هذا العالم لا يمكن أن تسير بصفة دائمة على وتيرة واحدة. فالحركة من طبيعة الحياة، ولا يوجد شىء فى الوجود يبقى على حاله دون تغيير. ولذلك تتعرض المجتمعات البشرية بين حين وآخر لمتغيرات مختلفة، قد تكون بفعل البشر وقد تكون نتيجة لظواهر طبيعية لا قبل لأحد بمنع حدوثها. ويترتب على ذلك فى كثير من الأحوال حدوث تغيرات بشكل من الأشكال فى أسلوب حياة الناس وسلوكياتهم على مختلف المستويات، وتلك هى سنة الحياة.

وأوضح صور التغيير الذى طرأ على حياة الناس ينفرد بها عصرنا الحاضر الذى شهد متغيرات متسارعة غير مسبوقة وتطورات متلاحقة لم تشهدها البشرية من قبل. ويكفى أن نشير هنا إلى ثورة المعلومات والاتصالات والثورة العلمية والتكنولوجية. وقد ترتب على ذلك بطبيعة الحال تغيرات مختلفة فى أنماط حياة الناس وسلوكياتهم سلبًا أو إيجابًا.

ومن طبيعة الأمور أن تختلف نظرة الناس من مختلف المستويات فى تقييمهم لمستجدات كل عصر من منطلق ذاتى أحيانًا، ومن منطلق موضوعى فى أحيان أخرى. وفى هذا الصدد يتردد الحديث عن تأثير ذلك كله على القيم الأخلاقية والدينية والاجتماعية، والتخوف من التأثيرات السلبية التى قد تؤدى إلى زعزعة الاستقرار فى المجتمع.

ودون الدخول فى تفاصيل ليس هذا مجالها نود أن نلفت النظر إلى أن ظاهرة الشكوى من انهيار القيم والسلوكيات ظاهرة قديمة وليست وليدة اليوم. والمصلحون فى كل العصور كثيرًا ما تحدثوا عن الصور السلبية فى عصورهم والتى سادت مجتمعاتهم نتيجة التساهل فى الالتزام بالقيم والأخلاق.

والذى يتتبع سيرة الكثيرين من المصلحين يجد أن دافعهم إلى الإصلاح كان يتمثل فى الغالب فيما رأوه فى مجتمعاتهم من انحراف عن القيم الدينية والأخلاقية لدرجة أن بعضهم قد رسم لنا صورة سوداوية لأحوال مجتمعه، وذلك من منطلق النظرة المثالية لما ينبغى أن تكون عليه أحوال الناس. ومن هنا نراهم يعبرون عن أحوال مجتمعاتهم تعبيرًا تشاؤميًا. **ومن ذلك على سبيل المثال حجة الإسلام الغزالى – صاحب كتاب «إحياء علوم الدين» – الذى وصف أحوال مجتمعة منذ تسعة قرون بقوله :** «لقد عم الداء ومرض الأطباء وأشرف الخلق على الهلاك».

ولعل المشكلة تكمن هنا فى أحد جوانبها فى اختلاف النظرة إلى القيم فى كل العصور بين مختلف الأجيال. فبينما تتمسك الأجيال القديمة بقيمها وعاداتها وتقاليدها التى درجت عليها نرى الأجيال الجديدة تتمرد على قيم الأجيال القديمة وتريد أن تشق لنفسها طريقًا يتفق مع تطورات المجتمع ومتغيرات العصر.

ولذلك كثيرًا ما نسمع من الأجيال القديمة أنها كانت متمسكة بقيم لم يعد لها وجود فى عصرنا الحاضر. ومن ذلك - على سبيل المثال - ما درجت عليه الأجيال القديمة من تقبيل يد الأبوين وعدم الجلوس فى حضرتهما إلا بإذنهما وعدم رفع الصوت أمامهما، وعدم التدخين فى مجلسهما... إلخ وكل ذلك من منطلق الاحترام للأبوين.

ولكن الأجيال الجديدة قد تكون لها نظرة مختلفة إلى قيمة الاحترام. فالاحترام فى نظرها لا يعنى الخضوع حتى للأبوين وإنما يعنى احترام آدمية الآدمى صغيرًا كان أو كبيرًا، وأن هذه الأمثلة المشار إليها ما هى إلا عادات وتقاليد لم يعد لها مجال فى عالم اليوم.

ولسنا بذلك نريد أن نبرر سلوكيات الأجيال الجديدة، وإنما نود أن نشير فحسب إلى أن من حقهم أن تكون لهم نظرتهم الخاصة إلى الحياة. وقد نسب إلى الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه فى هذا الصدد قوله: **«لا تربوا أولادكم على ما تربيتم عليه لأنهم ولدوا لزمان غير زمانكم»**، وقد نسب مثل هذا القول أيضاً إلى بعض فلاسفة اليونان. والمقصود هو أن كل جيل من الأجيال له عاداته وتقاليده وأعرافه. وما كان منها مناسبًا لجيل معين قد لا يكون مناسبًا لغيره من الأجيال. ومن هنا لا يجوز أن نحمل أجيالنا الجديدة على تقاليد لم تعد ملائمة لمتغيرات العصر. وليس المقصود هنا بطبيعة الحال القيم والأخلاق، فهناك من غير شك فرق كبير بين الجانبين. فمن شأن العادات والتقاليد والأعراف أن تخضع لمقتضيات كل عصر، وأن تتطور طبقًا لما يحدث فى المجتمع من تطورات. فالعادات والتقاليد من صنع البشر يسرى عليها منطق التغيير، لأن طبيعتها نسبية.

وهناك بالفعل عادات درج عليها المجتمع وتبين بعد فترة طالت أم قصرت أنها عادات بالية وأن العقل والدين يحتمان التخلى عنها. ومن ذلك على سبيل المثال عادة الثأر فى بعض المناطق، وعادة ختان الإناث، وعادة حرمان الإناث من الميراث فى بعض المجتمعات، وعادة إجبار البنات على الزواج دون أخذ رأيهن فى الزوج المختار، وغير ذلك من عادات أصبحت بالية وفى الأساس خاطئة ويجب التخلى عنها.

الفرق بين من يلتزم بالقيم ومن لا يعيرها اهتمامًا كالفرق بين من يتنفس هواء نقيا ومن يتنفس هواء فاسداً

أما القيم فهى شىء مختلف تمامًا عن العادات والتقاليد، لأنها من الأمور الفطرية التى فُطِر الناس عليها ولم يصنعها البشر، والدليل على ذلك أن لها طابعًا عالميًا إنسانيًا يجعلها فوق الزمان والمكان. فالبشر جميعًا فى كل العصور متفقون - إلا من شذ منهم - على أن الصدق فضيلة وأن الكذب رذيلة. ومن هنا فإنه ليس من حق أحد أن يغير فيها شيئًا. فالصدق قيمة لا يجوز التهاون فيها، والأمانة قيمة ليس من حق

أحد أن يجرى عليها أى شكل من أشكال التغيير أو التعديل، والعدل قيمة لا تقبل التجزئة أو المساومة بشأنها، وهكذا الشأن فى بقية القيم.

أما ما نراه لدى البعض من تجاوز لهذه القيم على الرغم من الاعتراف بها نظريًا، أو إنكارها ورفضها من الأساس، فأعتقد أن ذلك سيظل أمرًا مرفوضًا فى كل العصور. فالإنسان هو الكائن الوحيد فى هذا الكون الذى لا يستطيع أن يعيش بدون قيم تحكم سلوكه وتضبط تصرفاته. فالقيم معايير للسلوك الإنسانى لا يمكن الاستغناء عنها، وهى التى تميز الإنسان عن الحيوان، وهى ضرورية للمجتمع الإنسانى كالماء والهواء. والفرق بين من يلتزم بالقيم ويحافظ عليها ومن لا يعيرها اهتمامًا كالفرق بين من يتنفس هواء نقيًا ومن يتنفس هواء فاسدًا.

ومن أجل ذلك فإن ما يردده البعض من تعبيرات تبرر تجاوز القيم مثل «فتَّح مخك» أو «كبَّر دماغك» أو «مشِّى حالك» أو «خليك عملى» وغير ذلك من تعبيرات مماثلة، لا يمكن بحال من الأحوال أن تصبح قواعد للسلوك بين البشر، وإنما هى انتكاسة للقيم ينبغى أن تتضافر الجهود للوقوف فى وجه انتشارها بين أجيالنا الجديدة لأنها علامة على انهيار القيم والسلوكيات، الأمر الذى يؤدى بدوره إلى انهيار المجتمع وشيوع الفساد فى كل أركانه، وهذا أمر لا يرضاه إنسان عاقل يبغى الخير لمجتمعه.

وليس من غرضنا أن نغرس اليأس فى النفوس، ونندب الحظ العاثر لأجيالنا الجديدة، ونتحسر على أيام الزمن الجميل التى عشناها فى السابق. فالأقدمون أيضًا لم يكونوا ملائكة. والصراع بين الأجيال ليس أمرًا مستغربًا. وإذا كنا نشكو من تدهور الأوضاع الأخلاقية وانحدار السلوكيات فلا يعنى ذلك أبدًا أن «ترمومتر» الأخلاق يسير دائمًا فى خط نازل، **«فكل بنى آدم خطاء»** – كما جاء فى الحديث النبوى الشريف. ومن كان بلا خطيئة فليرمها بحجر – كما ورد عن السيد المسيح.

ولكن الفرق بين مخطىء وآخر هو التوبة عن الخطأ. فقد جاء فى تكملة الحديث المشار إليه **«وخير الخطائين التوابون»**. والأنبياء أيضًا كانت لهم أخطاء أو – بتعبير أدق – هفوات تأكيدًا لبشريتهم بدءًا من آدم عليه السلام الذى يقول عنه القرآن الكريم: **«وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى»** (سورة طه الآيتان ١٢١ –١٢٢). وهذه الهفوات لا تتطعن بحال من الأحوال فى نبوتهم. والله سبحانه وتعالى يحب التوابين ويفتح لهم باب رحمته: **«إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»**. (سورة البقرة: ٢٢٢). فالخطأ يمكن تصحيحه، وذلك فى استطاعة كل إنسان إذا أراد.

ومن هنا فإنه لا يجوز لنا أن نفقد الأمل فى تحقيق مستقبل أفضل لأجيالنا الجديدة. والمطلوب هو التشخيص الصحيح لأدواء المجتمع والتخطيط العلمى السليم للإصلاح فى مختلف المجالات حتى نهيئ لهم الفرص المناسبة لاستغلال طاقاتهم فى مزيد من العمل والإنتاج والبناء والتعمير فى مختلف الميادين.

ونحن نظلم أجيالنا الجديدة عندما ننسى أن الظروف والمتغيرات التى تعيشها الأجيال الجديدة مختلفة تمامًا عن الظروف التى عاشتها الأجيال القديمة. فنحن اليوم فى عالمنا المعاصر لم نعد نعيش وحدنا، ولا نستطيع أن نعزل أنفسنا عما يدور حولنا فى هذا العالم الذى أصبح مثل قرية كونية كبيرة. وهذا يعنى أننا نتأثر بشكل أو بآخر بما يحمله إلينا تيار العولمة والسماوات المفتوحة أردنا أم لم نرد.

وفى هذا الصدد لا يجوز لنا أن نخلط الأوراق ونضع كل التأثيرات الوافدة فى سلة واحدة. فالنظرة الموضوعية تبين لنا أن هناك جوانب إيجابية بجانب من الجوانب السلبية فى التيارات العولمية الوافدة. ولكن الملاحظ أن الجوانب السلبية تنتشر فى

العالم النامى بشكل أسرع كثيرًا من الجوانب الإيجابية. وهذه مشكلتنا نحن فى البلاد النامية. وهناك من لديه استعداد لتقبل كل شىء بلا تحفظ، وهناك فى المقابل آخرون على العكس من ذلك تمامًا يغلقون على أنفسهم كل النوافذ. ولكن هذا أيضًا أصبح أمرًا مستحيلاً.

ومنذ فترة كان وزير القوميات الصينى ضيفًا على وزارة الأوقاف، وعبر لى عن دهشته من انتشار «الدش» - أو أطباق استقبال القنوات الفضائية - على أسطح المنازل وعما يمكن أن يحمله ذلك للناس من سلوكيات سلبية.

ولا شك فى أن انتشار الكثير من الظواهر السلبية فى مجتمعنا يرجع إلى امرين مهمين هما: افتقاد التربية الصحيحة، وافتقاد القدوة السليمة فى البيت وفى المدرسة وفى غيرهما من مؤسسات المجتمع. وقد دفع ذلك بأجيالنا الجديدة إلى البحث عن البديل الذى قد لا يكون دائمًا بديلاً صالحًا. وهذا يحتم علينا أن نعودهم على التفكير النقدى حتى تنمو لديهم ملكة التمييز بين الخير والشر والنافع والضار، وأن نقدم لهم القدوة الصالحة، وأن نحميهم من أى تأثيرات ضارة تبدد جهودهم وأوقاتهم وتستنزف طاقاتهم، ولن يتحقق ذلك إلا بزيادة الوعى لدى المواطنين.

إن القضية الكبرى أمامنا الآن هى تنمية المجتمع. وهذا الهدف لن يتحقق على نحو سليم إلا بالتنمية المتكاملة التى تشتمل على التنمية البشرية التى تتأسس على الأخلاق والتى تسير جنبًا إلى جنب مع التنمية المادية فى جميع المرافق. فكلاهما جناحا التنمية المتكاملة. وكما أن الطائر لا يستطيع أن يطير بجناح واحد فكذلك تنمية المجتمع لا يمكن أن تتحقق بالتركيز على جانب واحد فقط.

ولا شك فى أن التنمية بمعناها الشامل يمكن أن تزيد مناعة المجتمع وتحميه من الأخطار التى تتعرض لها المجتمعات المعاصرة. فالقيم الأخلاقية إذن هى الركيزة الأساسية التى لا غنى عنها للتنمية فى جميع مجالات الحياة. وعلى هذا الأساس الأخلاقى تبنى كل الجهود التنموية الأخرى. وبدون هذا الأساس لا يمكن ن يثبت أى بناء، كما أنه لن يغنى أى أساس مالم يكن هناك بناء. فكلاهما متلازمان لا ينفصلان. وهذا ما ينبغى أن يستقر فى وعى الأفراد والجماعات حتى ينطلق الجميع إلى البناء والتعمير على المستويين المادى والروحى من أجل تحقيق أهداف المجتمع وتوفير الأمن والاستقرار والحياة الكريمة لكل المواطنين.

ما يردده البعض من تعبيرات تبرر تجاوز القيم لا يمكن أن تصبح قواعد للسلوك بين البشر وينبغى أن تتضافر الجهود لوقف انتشارها

ودون تهوين من شأن الأخطار التى يتعرض لها المجتمع أو تهويل لما قد تسببه من أضرار فإننا يجب أن نتحرك قبل فوات الأوان حتى لا تنطبق علينا مقولة الإمام الغزالى المشار إليها. وإذا لم نتحرك وتركنا مجتمعنا عرضة للأخطار التى تهدد أمنه واستقراره فلا نلومن حينئذ إلا أنفسنا فنحن الجناة ونحن المجنى علينا فى آن واحد.

إسلام لكل العصور

ازدراء الأديان فى ذكرى حقوق الإنسان

أ.د / محمد الشحات الجندى

من اللافت للنظر والمثير للدهشة حقّا ألا تتورع الدول أقطاب المدنية الغربية عن اتخاذ مواقف مناقضة لما تقول به، وتعتبرها معلمًا فارقًا على تصنيف الدول والأمم إلى متخلفة ومتقدمة، فهى لا تفتأ عن الادعاء بأنها مصرة على الدفاع عن منظومة الحقوق والحريات فى شتى بقاع العالم؛ حماية للأفراد والمجتمعات ضد الاستبداد والعسف والتسلط والمهانة، بغية تحقيق تحرر الفرد والمجتمع من سطوة القهر، وحصوله على حقه فى تقرير مصيره ومستقبله واستعادة كرامته، وتقديس حقه فى الاختيار.

حدث هذا فى مواقف رسمية حاسمة على نحو يقرع الأسماع ويؤذى الضمير الإنسانى، وقد تجلى ذلك فى احتشاد مجموعة من دول الاتحاد الأوروبى مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد القرار الذى اتخذته لجنة حقوق الإنسان بالأمم المتحدة بشأن مكافحة ازدراء الأديان، وحث الدول أعضاء أسرة المجتمع الدولى على تجريم أى عمل يعد تحريضًا على العنصرية أو العنف على أساس الدين أو العرق، وتجريم الإساءة للأديان والمقدسات. فقد عارضت هذه الدول رسميًا هذا القرار الذى تقدمت به مجموعة الدول الإسلامية بغرض التصدى ووضع حد للعنصرية والحض على الكراهية والتمييز ضد الأديان، وخاصة الدين الإسلامى، نتيجة ما تواجهه الجاليات المسلمة فى المجتمعات الغربية من تمييز فى المعاملة وامتهان لإنسانية أعضائها وتعرضهم لإجراءات وقيود تعسفية بسبب كونهم مسلمين.

التشدق بحقوق الإنسان

ومن المفارقات الصارخة فى هذا الموقف الغربى أنه جاء عشية الاحتفال الدولى بالذكرى الستين للإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر فى ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م، فى الوقت الذى تتشدق فيه الدول الغربية أنها صاحبة السبق والريادة فى إقرار هذا الإعلان، وأنها تبشر بعالم جديد ومسار حديث وآفاق إنسانية تنهى المعاناة والعنصرية والتعصب فى شتى المناحى الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأنها بذلك المسلك إنما تنتصر وتنحاز لحق كل إنسان فى الحرية والخصوصية والكرامة.

وهذا الموقف المعارض لتجريم ازدراء الأديان غير مبرر دينًا وعقلاً ومصلحة؛ لما ينطوى عليه من تزييف للحقيقة، وافتئات على حرية المعتقد ونبع الضمير الإنسانى، فضلاً عما فيه من مصادرة لحقوق الأفراد والشعوب والأمم فى اعتناق الدين الذى يشكل هويتها، ويرسى نظامها، ويحدد مسار حياتها ورؤيتها فى الحاضر والمستقبل على سواء. لذلك كان من الطبيعى أن ينهزم رأى تلك الدول، وتنجح الأمم المتحدة فى إصدار القرار.

خلط المفاهيم

ولئن كانت هذه الدول الغربية، وعلى رأسها أمريكا بسطوتها ونفوذها الدولى قد سوغت لنفسها معارضة القرار الذى يحفظ للأديان قدسيتها ويمنع ازدراءها، ويصونها من التعدى على ثوابتها المستقرة فى الضمير الإنسانى المؤمن، بحجة حماية حرية التعبير، وأن من شأن صدور ذلك القرار أن يقيد حرية التعبير ويخل بها، وأنه لا يوجد نص قانونى يمنح الأديان حماية أو حصانة من النقد. فإنها بذلك تجافى الحقيقة، لما فيه من خلط واضح، والتفاف صريح على المفهوم الصحيح لحق الحرية بقصد نسفه وتقويضه، وحماية الإلحاد واللادينية والوثنية المادية التى تجرد الإنسان من أخص خصائصه الروحانية والإيمانية والمعنوية الكامنة فى أعماق ضميره، والمهيمنة على فكره، والموجهة لمسيرة حياته.

قلب الحقائق

وأساس الفساد فى هذا الموقف المعيب للدول الغربية أنه ينحاز للطاغوت، ويميز ضد الدين، ويدافع عن الإلحاد، وهو موقف يعادى الأديان ويتنكر لها، ويحمل الناس على الكفر بها، والانخلاع عنها، وينطوى على افتراء مبين، وقلب لحقائق راسخة فى الإسلام بمقولة حرية التعبير، وحق الاختيار، وهو ما أرساه الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا بنصوص قاطعة محكمة فى مثل قوله تعالى: **﴿لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾** سورة البقرة: ٢٥٦، وقوله جل شأنه: **﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾** سورة يونس: ٩٩، وقول الرسول ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم»(١).

من المفارقات الصارخة أن يتصدى الغرب لقرار دولى يحث على تجريم أى عمل يحرض على الإساءة للأديان

لقد تناسى هؤلاء المدافعون عن الباطل أنهم يتناقضون مع ما سطروه بأنفسهم فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان فى المادة ١٨: **لكل إنسان الحق فى حرية الفكر والضمير والدين، والحرية فى التعبير عن هذا الدين أو المعتقد فى التعليم والممارسة والشعائر، أكان ذلك فرديًا أو جماعيًا مع الغير، أو أكان عامًا أو خاصًا»** - وأن هناك مؤمنين بالإسلام مستمسكين به منافحين عنه لا يفرطون فيه مهما كانت الإغواءات والتهديدات وهم يزيدون على خمس سكان العالم، بجانب المؤمنين بالمسيحية واليهودية، وأتباع ديانات أخرى.

إن تلك المحاولات لصرف المسلم عن الإيمان بدينه هى محاولات يائسة محكوم عليها بالفشل والانهزام، حملت عليها رغبة جامحة من جانب المتزعمين لها فى الاحتواء والهيمنة والنفوذ على مقدرات ومصائر العالم الإسلامى، والتحكم فى حاضره ومستقبله، ووقف زحف الإسلام، وقد أيقنوا أنهم لن يبلغوا مرادهم ذلك إلا بالقضاء على الحصن الحصين والقوة الجبارة لدى المسلم، المتمثلة فى الإسلام **(الدين الإلهى)** الذى يعلى حقوق الإنسان فى جميع جوانبها، ويحمى إنسانيته وجوهره الإيمانى الذى هو مبعث فخاره وتميزه، لذلك وجهت المطاعن ضد الإسلام باعتباره المصدر الأساسى الحائل دون الانسحاق والاستسلام لتلك الرغبة العاتية.

إهدار مقومات أساسية

ولعل ما يؤكد هذا المنحى الاستعمارى الجديد، يتمثل فى اختراق الثوابت الدينية، وإهدار مقومات أساسية فى إنسانية الإنسان عن طريق الترويج وإشاعة قيم التحلل والشذوذ، بل والعمل على إرغام الدول الإسلامية على تبنيها والدفاع عنها، كما فى حماية حقوق المثليين والشواذ جنسيًا، وتقرير حقهم فى زواج الجنس الواحد بكل ما يترتب عليه من ميوعة وانحلال وتضييع للنخوة وضمور أحاسيس المروءة والقيم المتغلغلة فى أعماق النفس البشرية.

وجدير بأولئك الباحثين عن فناء الإنسانية ومعاندة الطبيعة البشرية أن يعقدوا مقارنة بين موقفين جدُ متناقضين، موقف عدم الاعتراف بشرعية الإسلام والأديان، والوقوف فى وجه من يبغى احترامها وتوقيرها، بحسبانها تعبيرًا عن ضمير المسلم، وكذا المسيحى واليهودى، وفى المقابل الموقف الغريب بتقرير حقوق الشواذ والمثليين، وقلب الإنسان إلى حيوان شهوانى دفاعًا عن العبث والفحش والمنكر وصنيع قوم لوط، وهم قلة قليلة وندرة بائسة من البشر، تحسب لهم حضارة الغرب حسابها، بالرغم من كون مسلكهم عارًا ونموذجًا فاضحًا للإنسانية السوية؛ لما فيه من مجاهرة بالسوء والفعل القبيح وحماية أصحابه الشواذ وحمل الجميع على الدفاع عنه، وهو انحراف عن سواء السبيل، وتضاد للشرائع السماوية التى أعلى الإسلام قيمها ودعا الناس إلى اتباعها: ﴿**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين**﴾ سورة الجاثية: ١٨، ١٩، فما أجدر بأدعياء حقوق الإنسان أن يستردوا وعيهم وأن يستعيدوا إنسانيتهم المغيبة باتخاذ موقف يرضى عنه الخالق ويستقيم به الاجتماع الإنسانى وتحتمه مصلحة البشرية فى التعايش السلمى المشترك.

اختراق الثوابت الدينية وإهدار إنسانية الإنسان منحى استعمارى جديد يشّيع قيم التحلل والشذوذ

(١) أخرجه: مسلم فى صحيحه والترمذى والنسائى وابن ماجه فى سننهم، وأحمد فى مسنده، من حديث سفيان بن عبد الله الثقفى.

نظرات فى كتاب الله تعالى

تفسير سورة «العلق»

لفضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

قال الله تعالى: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (١٤) كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (١٧) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (١٩) ﴾

العلق: ١ – ١٩

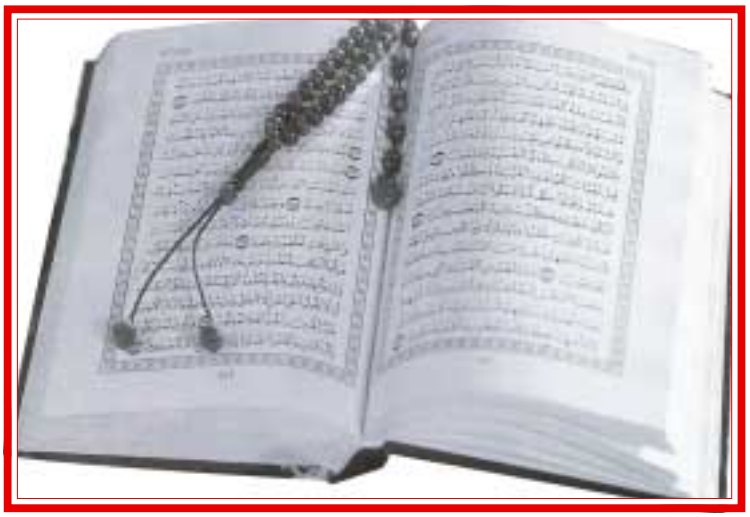

١ ـ هذه السورة الكريمة تسمى سورة «العلق»، وتُسمى سورة «اقرأ» وعدد آياتها تسع عشرة آية فى المصحف الكوفى، وفى الشامى ثمانى عشرة آية، وفى الحجازى عشرون آية.

وصدر هذه السورة الكريمة يعتبر أول ما نزل من قرآن على النبى ﷺ.

٢ ـ ومن أغراضها: التنويه بشأن القراءة والكتابة، والعلم والتعلم، والتهديد لكل من يقف فى وجه دعوة الإسلام التى جاء بها النبى ﷺ من عند ربه ـ عز وجل ـ وإعلام النبى ﷺ بأن الله ـ تعالى ـ مطّلع على ما يبيته له أعداؤه من مكر وحقد، وأنه ـ سبحانه ـ قامعهم وناصره عليهم، وأمره ﷺ بأن يمضى فى طريقه، دون أن يلتفت إلى مكرهم أو سفاهاتهم.

وقد أجمع المحققون من العلماء، على أن هذه الآيات الكريمة، أول ما نزل على الرسول ﷺ من قرآن على الإطلاق، فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: **أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى، الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث ـ أى: فيتعبد ـ فيه**

الليالى ذوات العدد، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لذلك، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء. فجاءه الملك فقال له: ﴿اقرأ﴾ قال: ما أنا بقارئ، قال ﷺ فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقرأ﴾ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقرأ﴾ فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق...﴾[1].

وما ورد من أحاديث تفيد أن أول سورة نزلت هى «سورة الفاتحة»، فمحمول على أن أول سورة نزلت كاملة هى سورة الفاتحة.

كذلك ما ورد من أحاديث فى أن أول ما نزل سورة المدثر، محمول على أن أول ما نزل بعد فترة الوحى. أما صدر سورة العلق فكان نزوله قبل ذلك.

قال الألوسى ـ بعد أن ساق الأحاديث التى وردت فى ذلك ـ : «وبالجملة فالصحيح ـ كما قال البعض وهو الذى اختاره ـ أن صدر هذه السورة الكريمة، هو أول ما نزل من القرآن على الإطلاق. وفى شرح مسلم: الصواب أن أول ما نزل ﴿اقرأ﴾، أى: مطلقًا، وأول ما نزل بعد فترة الوحى: ﴿يا أيها المدثر﴾، وأما قول من قال من المفسرين: أول ما نزل الفاتحة، فبطلانه أظهر من أن يذكر»[2].

والذى نرجحه ونميل إليه أن أول ما نزل من قرآن على الإطلاق، هو صدر هذه السورة الكريمة إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾، لورود الأحاديث الصحيحة بذلك، أما بقيتها فكان نزوله متأخرًا.

قال الأستاذ الإمام: «أما بقية السورة فهو متأخر النزول قطعًا، وما فيه من ذكر أحوال المكذبين، يدل على أنه إنما نزل بعد شيوع خبر البعثة، وظهور أمر النبوة، وتحرش قريش لإيذائه ﷺ»[3].

وقد افتُتِحَتْ السورة الكريمة بطلب القراءة من النبى ﷺ مع أنه كان أُميًّا؛ لتهيئة ذهنه لما سيلقى عليه ﷺ من وحى... فقال ـ سبحانه ـ : ﴿**اقرأ باسم ربك الذى خلق**﴾. أى: اقرأ ـ أيُها الرسول الكريم ـ ما سنوحيه إليك من قرآن كريم، ولتكُن قراءتك ملتبسة باسم ربك، وبقدرته وإرادته، لا باسم غيره، فهو ـ سبحانه ـ الذى خلق الأشياء جميعها، والذى لا يُعجزه أن يجعلك قارئًا، بعد كونك لم تكُن كذلك.

وقال سبحانه: ﴿**باسم ربك**﴾ بوصف الربوبية؛ لأن هذا الوصف ينبئ عن كمال الرأفة والرحمة والرعاية بشأن المربوب.

ووصف ـ سبحانه ـ ذاته بقوله: ﴿**الذى خلق**﴾ للتذكير بهذه النعمة؛ لأن الخلق هو أعظم النعم، وعليه تترتب جميعها.

وجملة: ﴿**خلق الإنسان من علق**﴾ بدل من قوله: ﴿**الذى خلق**﴾ بدل بعض من كل؛ إذ خلق الإنسان يمثل جزءًا من خلق المخلوقات التى لا يعلمها إلا الله.

و العَلَقْ: الدم الجامد، وهو الطور الثانى من أطوار خلق الإنسان.

وقيل: العَلَقْ: مجموعة من الخلايا التى نشأت بطريقة الانقسام عن البويضة الملقحة، وسُمى «علقًا» لتعلقه بجدار الرحم[4].

والمقصود من هذه الجملة الكريمة بيان مظهر من مظاهر قدرته ـ تعالى ـ فكأنه ـ سبحانه ـ يقول: إن من كان قادرًا على أن يخلق من الدم الجامد إنسانًا يسمع ويرى ويعقل .. قادر ـ أيضًا ـ على أن يجعل منك ـ أيها الرسول الكريم ـ قارئًا، وإن لم تسبق لك القراءة.

وخص ـ سبحانه ـ خلق الإنسان بالذكر؛ لأنه أشرف المخلوقات ولأن فيه من بدائع الصنع والتدبير ما فيه.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿**اقرأ وربك الأكرم**﴾ أى: امض لما أمرتك به من القراءة، فإن ربك الذى أمرك بالقراءة هو الأكرم من كل كريم، والأعظم من كل عظيم.

قالوا: وإنما كرر ـ سبحانه ـ الأمر بالقراءة؛ لأنه من الملكات التى لا ترسخ فى النفس إلا بالتكرار والإعادة مرة فمرة.

وجملة: ﴿**وربك الأكرم**﴾ مستأنفة لقصد بيان أنه ـ تعالى ـ أكرم من كل من يلتمس منه العطاء، وأنه ـ سبحانه ـ قادر على أن يمنح نبيه نعمة القراءة، بعد أن كان يجهلها.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **الذى علم بالقلم** ﴾ أى: علم الإنسان الكتابة بالقلم، ولم يكن له علم بها، فاستطاع عن طريقها أن يتفاهم مع غيره، وأن يضبط العلوم والمعارف، وأن يعرف أخبار الماضين وأحوالهم، وأن يتخاطب بها مع الذين بينه وبينهم المسافات الطويلة.

ومفعولا ﴿ **علَّم** ﴾ محذوفان، دل عليهما قوله ﴿ **بالقلم** ﴾ أى: علم ناسًا الكتابة بالقلم.

وتخصيص هذه الصفة بالذكر، للإيماء إلى إزالة ما قد يخطر بباله ﷺ من تعذر القراءة بالنسبة له، لجهله بالكتابة، فكأنه ـ تعالى ـ يقول له: إن من علم غيرك القراءة والكتابة بالقلم، قادر على تعليمك القراءة وأنت لا تعرف الكتابة، ليكون ذلك من معجزاتك الدالة على صدقك، وكفاك بالعلم فى الأمى معجزة.

وجملة: ﴿**علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ خبر عن قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وربك الأكرم** ﴾ وما بينهما اعتراض، ويصح أن تكون بدل اشتمال مما قبلها وهو قوله: ﴿ **علم بالقلم** ﴾ أى: علم الإنسان بالقلم وبدونه ما لم يكُن يعلمه من الأمور على اختلافها، والمراد بالإنسان فى هذه الآيات جنسه.

والمتأمل فى هذه الآيات الكريمة، يراها قد جمعت أصول الصفات الإلهية، كالوجود، والوحدانية، والقدرة، والعلم، والكرم.

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات: فأول شىء من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهو أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمة أنعم الله بها عليهم، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه ـ تعالى ـ أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة..[٥].

وقال المرحوم الشيخ محمد عبده: ثم إنه لا يوجد بيان أبرع ولا دليل أقطع على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه، من افتتاح الله كتابه وابتدائه الوحى بهذه الآيات الباهرات، فإن لم يهتد المسلمون بهذا الهدى، ولم ينبههم النظر فيه إلى النهوض، وإلى تمزيق تلك الحُجُب التى حجبَتْ عن أبصارهم نور العلم.. وإن لم يسترشدوا بفاتحة هذا الكتاب المبين، ولم يستضيئوا بهذا الضياء الساطع.. فلا أرشدهم الله..[٦].

ثم بين سبحانه بعد ذلك الأسباب التى تحمل الإنسان على الطغيان فقال: ﴿ **كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** ﴾.

و «كلا» حرف ردع وزجر لمن تَكَبّر وتمرد.. فهو زجر عما تضمنه ما بعدها، لأن ما قبلها ليس فيه ما يوجب الزجر والردع، ويصح أن تكون «كلا» هنا بمعنى حقًّا. وقوله: ﴿ **يطغى** ﴾ من الطغيان، وهو تجاوز الحق فى التكبر والتمرد. والضمير فى قوله ﴿ **رآه** ﴾ يعود على الإنسان الطاغى، والجملة متعلقة بقوله ﴿ **يطغى** ﴾ بحذف لام التعليل، والرؤية بمعنى العلم.

والمعنى: حقًّا إن الإنسان ليتعاظم ويتكبر ويتمرد على الحق؛ لأنه رأى نفسه ذا غنى فى المال والجاه والعشيرة، ورآها ـ لغروره وبطره ـ ليست فى حاجة إلى غيره.

والمراد بالإنسان هنا: جنسه؛ لأن من طبع الإنسان أن يطغى، إذا ما كثرت النعم بين يديه، إلا من عصمه الله ـ تعالى ـ من هذا الخلق الذميم، بأن شكره ـ سبحانه ـ على نعمه، واستعملها فى طاعته.

وقيل المراد بالإنسان هنا: أبو جهل، وأن هذه الآيات وما بعدها حتى آخر السورة قد نزلت فى أبى جهل، فقد أخرج البخارى عن ابن عباس قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلى عند الكعبة، لأطأن على عنقه، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال: **«لئن فعل لأخذته الملائكة»**..[٧]. ونزول هذه الآيات فى شأن أبى جهل لا يمنع عموم حكمها، ويدخل فى هذا الحكم دخولاً أوليًّا أبو جهل؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **إن إلى ربك الرجعى** ﴾ تهديد ووعيد لهذا الطاغى، والرُّجْعَى: مصدر بمعنى الرجوع. تقول: رجع إليه رجوعًا ومرجعًا ورجعى بمعنى واحد.

والمعنى: لا تحزن ـ أيها الرسول الكريم ـ مما تفوه به هذا الطاغى وأمثاله، فإن إلى ربك وحده مرجعهم، وسيشاهدون بأعينهم ما

أعددناه لهم من عذاب مهين، وسيعلمون حق العلم أن ما يتعاظمون به من مال، لن يغنى عنهم من عذاب الله شيئًا يوم القيامة.

ثم عجَّب ـ سبحانه ـ نبيه ﷺ من حال هذا الشقى وأمثاله، فقال: ﴿ **أرأيت الذى ينهى * عبدا إذا صلى** ﴾. فالاستفهام فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أرأيت . . .** ﴾ للتعجيب من جهالة هذا الطاغى، وانطماس بصيرته، حيث نهى عن الخير، وأمر بالشر، والمُراد بالعبد: رسول الله ﷺ، وتنكيره للتفخيم والتعظيم.

أى : أرأيت وعلمت ـ أيها الرسول الكريم ـ حالاً أعجب وأشنع من حال هذا الطاغى الأحمق، الذى ينهاك عن إقامة العبادة لربك الذى خلقك وخلقه.

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ **أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى** ﴾ خطاب آخر للنبى ﷺ أى: أرأيت ـ أيها الرسول الكريم ـ إن صار هذا الإنسان ـ الطاغى الكافر ـ على الهدى، فاتبع الحق، ودعا إلى البر والتقوى.. أما كان ذلك خيرًا له من الإصرار على الكُفر، ومن نهيه إياك عن الصلاة؟!، فجواب الشرط محذوف للعلم به.

فالمراد بالهدى: اهتداؤه إلى الصراط المستقيم، والمُراد بالتقوى: صيانة نفسه عن كل ما يُغضب الله ـ تعالى ـ، وأمره غيره بذلك.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾.

أى أرأيت ـ أيها الرسول الكريم ـ إن كذب هذا الكافر بما جئته به من عندنا، وتولى وأعرض عما تدعوه إليه من إيمان وطاعة لله رب العالمين، أرأيت إن فعل ذلك، أفلا أرشده عقله إلى أن خالق هذا الكون يراه، وسيجازيه بما يستحقه من عذاب مهين ؟.

فالمقصود من هذه الآيات الكريمة التى تكرر فيها لفظ ﴿**أرأيت**﴾ ثلاث مرات: تسلية النبى ﷺ وتعجيبه من حال هذا الإنسان الطاغى الشقى، الذى أصر على كفره، وآثر الغى على الرشد، والشرك على الإيمان.. وتهديد هذا الكافر الطاغى بسوء المصير؛ لأن الله ـ تعالى ـ مطلع على أعماله القبيحة.. وسيعاقبه العقاب الأكبر.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: فأين جواب الشرط ـ أى فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أرأيت إن كان على الهدى** ﴾؟ قلت: هو محذوف تقديره: إن كان على الهدى، ألم يعلم بأن الله يرى؟ وإنما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى.

فإن قلت: فكيف صح أن يكون ﴿ **ألم يعلم** ﴾ جوابًا للشرط؟ قلت: كما صح فى قولك: إن أكرمتك أتكرمنى؟ وإن أحسن إليك زيد هل تحسن إليه؟..[٨].

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ **كلا لئن لم ينته لنسفعًا بالناصية** ﴾ ردع وزجر لهذا الكافر الطاغى الناهى عن الخير، ولكل من يحاول أن يفعل فعله.

والسفع: الجذب بشدة على سبيل الإذلال والإهانة، تقول: سفعت بالشىء، إذا جذبته جذبًا شديدًا بحيث لا يمكنه التفلت أو الهرب... وقيل: هو الاحتراق، من قولهم: فلان سفعته النار، إذا أحرقته وغيرت وجهه وجسده. **والناصية:** الشعر الذى يكون فى مقدمة الرأس. أى: كلا ليس الأمر كما فعل هذا الإنسان الطاغى، ولئن لم يقلع عما هو فيه من كُفر وغُرور، لنقهرنه، ولنذلنه، ولنعذبنه عذابًا شديدًا فى الدنيا والآخرة.

والتعبير بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ **لنسفعًا بالناصية** ﴾ يشعر بالأخذ الشديد، والإذلال المهين؛ لأنه كان من المعروف عند العرب، أنهم كانوا إذا أرادوا إذلال إنسان وعقابه، سحبوه من شعر رأسه.

والتعريف فى الناصية، للعهد التقديرى، أى: بناصية ذلك الإنسان الطاغى، الذى كذب وتولى، ونهى عن إقامة الصلاة.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **ناصية كاذبة خاطئة** ﴾ بدل من الناصية، وجاز إبدال النكرة من المعرفة؛ لأن النكرة قد وصفت، فاستقلت بالفائدة.

وخاطئة: اسم فاعل من خطئ فلان ـ كعلم ـ فهو خاطئ وهو الذى يأتى الذنب متعمدًا، ووصفت الناصية بأنها خاطئة مبالغة فى تعمد هذا

الإنسان لارتكاب المنكر، على حد قولهم: نهار صائم، أى صائم صاحبه، ولأن الناصية هى مظهر الغرور والكبرياء.

أى: لئن لم ينته هذا الفاجر المغرور عن كُفره.. لنذلنه إذلالاً شديدًا.. ولنسحبنه إلى النار من ناصيته التى طالما كذبت بالحق، وتعمدت ارتكاب المنكر..

وقوله ـ سبحانه ـ : ﴿ **فليدع ناديه** ﴾ رد على غروره وتفاخره بعشيرته، فقد جاء فى الحديث الشريف أن أبا جهل عندما نهى النبى ﷺ عن الصلاة، نهره النبى ﷺ وزجره وأغلظ له القول.. فقال أبو جهل: أتهددنى يا محمد وأنا أكثر هذا الوادى ناديًا؟ فأنزل الله ـ سبحانه ـ : ﴿ **فليدع ناديه * سندع الزبانية** ﴾.

وأصل النادى: المكان الذى يجتمع فيه الناس للحديث، ولا يُسمى المكان بهذا الاسم إلا إذا كان معدًّا لهذا الغرض، ومنه دار الندوة، وهى دار كان أهل مكة يجتمعون فيها للتشاور فى مختلف أمورهم، وسُمى بذلك لأن الناس يَنْدُون إليه، أى: يذهبون إليه، أو ينتدون فيه أى: يجتمعون للحديث فيه. يقال: ندا القوم نَدْوًا ـ من باب غزا ـ إذا اجتمعوا.

والأمر فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿**فليدع**﴾ للتعجيز، والكلام على حذف مضاف، أى: فليدع هذا الشقى المغرور أهله وعشيرته لإيذاء النبى ﷺ، ولمنعه من الصلاة، إن قدروا على ذلك، فنحن من جانبنا سندع الزبانية، وهم الملائكة الغلاظ الموكلون بعقاب هذا المغرور وأمثاله.

ولفظ الزبانية فى كلام العرب: يُطلق على رجال الشرطة الذين يزبنون الناس، أى: يدفعونهم إلى ما يريدون دفعهم إليه بقوة وشدة وغلظة، جمع زِبْنِيَّة، وأصل اشتقاقه من الزَّبْنِ، وهو الدفع الشديد، ومنه قولهم: حرب زبون، إذا اشتد الدفع والقتال فيها، وناقة زبون، إذا كانت تركل من يحلبها.

والمقصود بهاتين الآيتين، التهكم بهذا الإنسان المغرور، والاستخفاف به وبكل من يستنجد به، ووعيده بأنه إن استمر فى غروره ونهيه عن الصلاة فسيسلط الله ـ تعالى ـ عليه ملائكة غلاظًا شدادًا، لا قبل له ولا لقومه بهم.

وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ كلا لا تطعه واسجد واقترب ﴾ ردع آخر لهذا الكافر عن الغرور والبطر والطغيان، وإبطال لدعواه أنه سيدع أهل ناديه، وتأكيد لعجزه عن منع الرسول ﷺ عن الصلاة.

أى: كلا ليس الأمر كما قال هذا المغرور من أن أهله وعشيرته سينصرونه، وسيقفون إلى جانبه فى منعك ـ أيها الرسول الكريم ـ من الصلاة. فإنهم وغيرهم أعجز من أن يفعلوا ذلك، وعليك ـ أيها الرسول الكريم ﷺ ـ أن تمضى فى طريقك وأن تواظب على أداء الصلاة فى المكان الذى تختاره، ولا تطع هذا الشقى، فإنه جاهل مغرور، واسجد لربك وتقرب إليه ـ تعالى ـ بالعبادة والطاعة، وداوم على ذلك.

فالمقصود بهذه الآية الكريمة، حض النبى ﷺ على المداومة على الصلاة فى الكعبة، وعدم المبالاة بنهى الناهين عن ذلك، فإنهم أحقر من أن يفعلوا شيئًا..

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا جميعًا من عباده الصالحين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الهوامش :

١ ـ راجع تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٤٦٠.
٢ ـ تفسير الألوسى جـ ٣٠ ص ١٧٨.
٣ ـ تفسير جزء عم ص ٩٣.
٤ ـ راجع كتاب «بحوث فى تفسير القرآن» (سورة العلق) لجمال عياد.
٥ ـ راجع تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٤٥٩.
٦ ـ راجع تفسير جزء عم ص ٩٤.
٧ ـ راجع تفسير ابن كثير جـ ٧ ص ٤٦٠.
٨ ـ تفسير الكشاف جـ ٤ ص ٧٧٨.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٥)

د/ طه مصطفى أبو كريشة

(١٦) ومن الشواهد القرآنية التى تؤكد لنا دور الكلمة المفردة فى سياق النظم القرآنى من خلال صلتها بما قبلها أو بما بعدها ما جاء فى قول الله عز وجل عن سيدنا زكريا عليه السلام: **﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردًا وأنت خير الوارثين • فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾** الأنبياء ٨٩/ ٩٠ ـ إن الله عز وجل يخبرنا عن استجابته لدعاء سيدنا زكريا عليه السلام الذى طلب فيه أن يهبه ذرية طيبة وأن لا يتركه فردا وحيدا، كما أخبرنا عز وجل عن السلوك الإيمانى الذى كان عليه سيدنا زكريا وأهل بيته، وأن هذا السلوك كان سببا فى فتح باب قبول الدعاء وهبة الذرية وإصلاح الزوج **﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾**. إن الله عز وجل حين يخبرنا عن هذا السلوك الإيمانى، فإن هذا الإخبار يتضمن ثناء من رب العالمين على أصحاب هذا السلوك، حيث كانوا يعملون العمل الصالح الدائم، ويكثرون من فعل الخيرات، وكل ذلك من خلال التوجه إلى الله عز وجل بالدعاء الذى يجمع بين الرغبة والرهبة، ويحمل معه معالم الخشوع والخضوع للمنعم الوهاب سبحانه وتعالى.

والذى نقف عنده فى مقام النظرة البيانية الدالة هو قوله تعالى: **﴿إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات﴾** حيث رأينا أن الفعل **(يسارع)** تعدى إلى ما بعده بالحرف **(فى)** ولم يتعد بالحرف (**إلى**) كما هو الأصل بالنسبة لهذا الفعل، فلماذا جاء الأمر كذلك؟ وما دلالته الإيمانية من وراء هذا المجىء؟ إن الإجابة عن ذلك تتحدد لنا من خلال الوقوف على المقام الذى جاء فيه هذا الثناء الربانى على سيدنا زكريا وأهل بيته، إن المقام هو مقام الإخبار عن صلتهم بربهم عز وجل، وأنها صلة وصلت إلى الحد الأعلى فى مجال العبادة لله تعالى، ومن هنا فإن دلالة المسارعة (**فى**) الخيرات هى أكثر بيانا عن هذه الصلة من دلالة المسارعة (**إلى**) الخيرات؛ لأن (**إلى**) تفيد بداية الغاية التى تأتى من وراء المسارعة إلى شىء من الأشياء. أما (**فى**) فإنها تفيد شيئا آخر وراء الغاية، إنها تفيد الاستمرار والدوام، وأنه ليست هناك غاية يتم التوقف عندها، كما أنها تفيد أن هؤلاء المسارعين فى الخيرات قد أصبحوا فى قلب الخيرات، وأنها أصبحت تحيط بهم من كل الجهات، وأنهم ليسوا خارجها، فكأنهم

أصبحوا جزءا منها، وأنهم تمكنوا منها كما يتمكن المظروف من المظروف فيه، ومن هنا يأتى الدرس القرآنى الذى يأتى من وراء قصصه الذى تسوقه آياته، إن هذا الدرس هو ضرورة العمل على مداومة فعل الخيرات، وأن تكون هذه الخيرات سمة من سمات المؤمن الصادق الإيمان الذى لا يغفل عن ربه عز وجل لحظة، وأن يتشرب قلبه بحب هذه الخيرات، وأن يكون الفعل الدائم المباشر السريع مترجما ترجمة حقيقية عن هذا الحب حتى ينال ما يرجوه من رب العالمين.

(١٧) وفى مقام تعدى الفعل (يسارع) بالحرف **(فى)** بدلا من الحرف **(إلى)** نتوقف فى النظرة البيانية عند قول الله عز وجل فى مقام الحديث عن عباده الصالحين وصفاتهم الإيمانية: **﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون • والذين هم بآيات ربهم يؤمنون • والذين هم بربهم لا يشركون • والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون • أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون﴾** المؤمنون ٥٧/٦١.

إن هذه الآيات الكريمة تحدثنا عن مجموعة من الصفات اتصف بها عباد الله تعالى المخلصون، فهم فى خشية دائمة لله عز وجل، وهم مشفقون من عقابه، ومن ثم لا يقصرون فى طاعة ولا يقتربون من معصية، وهم يصدقون ويسلمون بكل آيات ربهم عز وجل فهم بعيدون عن الشك والريب فى كل ما أخبرت به هذه الآيات ويعملون بمقتضاها، وهم بعيدون عن الشرك، فهم يوحدون الله تعالى ولا يشركون فى عبادتهم له أحدا، وهم دائما يخافون ويخشون من تقصيرهم فى الوفاء بالعمل الصالح الذى يعملونه، وهم فى وجل من عدم قبول ما ينفقونه فى سبيل الله تعالى نتيجة لما يحسبونه من تقصير.

تلك هى الصفات التى أخبرتنا عنها هذه الآيات الكريمة، أما مقام أصحابها عند الله عز وجل فهو الذى أخبرت عنه هذه الآية الكريمة فى ختام آيات الصفات: **﴿أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون﴾** إنه مقام كريم نأخذه من الحكم الربانى على كل الصفات التى اتصفوا بها، إن الله تعالى يبين لنا أنهم كانوا فى كل هذه الصفات **﴿يسارعون فى الخيرات﴾** ومع المسارعة فيها، فقد كانوا أيضا سباقين إليها **﴿وهم لها سابقون﴾** وما قلناه فى الحديث عن سيدنا زكريا عليه السلام نقوله هنا، فالمقام ذات المقام، إنه مقام إخلاص العبودية لله تعالى وإخلاص القيام بالأعمال الصالحة، فالصالحون الذين جاءت صفاتهم هنا، جاء الحديث عنهم مؤكدا من خلال أداة التأكيد **(إن)** ومن خلال مجىء كل صفة عن طريق الجملة الإسمية التى تفيد التأكيد بدلا من مجيئها عن طريق الجملة الفعلية التى لا تفيد التأكيد فى المصطلح اللغوى البلاغى.

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لهؤلاء العابدين المخلصين الخاشعين الخائفين الموحدين، فإن الإخبار عن مداومة فعلهم للخيرات يكون أكثر بيانا ودلالة إذا تعدى الفعل

(يسارع) بالحرف **(فى)** بدلا من تعديه بالحرف **(إلى)** نظرا للأسباب والعلل التى ذكرناها من قبل، وهى أنهم كانوا مداومين ومستمرين فى فعل الخيرات دون توقف ودون تلكؤ، ودون ملل أو فتور، فهم فى قلبها، وهى تحيط بهم من كل جانب، ومن ينظر إليهم فإنه يراهم داخلها، وكأن هذه الخيرات أصبحت شيئا محسوسا منظورا لا تخطئه العين، ولا تخطئ هؤلاء المسارعين داخلها، والذين تفردوا بها دون غيرهم، فكان لهم السبق، ومن ثمّ كان لهم الفوز والرضا من رب العالمين سبحانه وتعالى.

إن هؤلاء العابدين المخلصين هم وحدهم فقط الذين يقال عنهم إنهم **﴿يسارعون فى الخيرات﴾** أما غيرهم ممن عصوا الله تعالى فلا يقال عنهم إنهم يسارعون فى الخيرات وإن كانوا فى خير وفير من زينة الحياة الدنيا، التى تظهر أكثر ما تظهر فى وفرة المال ووفرة البنين، وهى الحقيقة التى أشارت إليها الآيات السابقة على آيات العابدين المخلصين وذلك فى قول الله عز وجل: **﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين • نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون﴾** المؤمنون ٥٥/٥٦ نعم إن هذا المدد الوفير من المال والبنين ليس عنوانا على الخير الحقيقى الذى يمنحه رب العالمين لمن رضى عنه من عباده المخلصين..

(١٨) وموضع ثالث نرى فيه استعمال الفعل **(يسارع)** متعديا إلى ما بعده بالحرف **(فى)** بدلا من التعدى بالحرف **(إلى)** الذى هو أصل فى استعماله. وهذا الموضع هو الذى جاء فى قول الله عز وجل عن فريق من أهل الكتاب آمنوا برسالة الإسلام: **﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون • يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين • وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾** آل عمران ١١٣/١١٥.

إن هذه الآيات الكريمة تحدثنا عن فريق من أهل الكتاب آمنوا برسالة الإسلام كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره، وكان شأنهم فى الإسلام على هذا النحو الذى ذكرته هذه الآيات، إنهم وحدهم أمة متميزة بكل هذه الصفات الإيمانية التى وصف بها هؤلاء المؤمنون، فهم أمة قائمة مستقيمة على طاعة الله عز وجل، وعلى صراطه المستقيم لا تنحرف عنه إلى يمين أو إلى يسار، وهم مداومون على تلاوة كتاب الله تعالى آناء الليل فضلا عن معايشته وتلاوته بالنهار مع سائر أصحاب رسول الله ﷺ، إنهم يتلون كتاب الله عز وجل فى خضوع وخشوع، وفى تذلل وضراعة، وهم يستحضرون فى قلوبهم وأنفسهم جلال وعظمة ربهم سبحانه وتعالى، لا يستكبرون عن عبادته، ولا يفترون عن تسبيحه وتحميده، ذلك لأنهم يؤمنون إيمانا صادقا بالله عز وجل، يؤمنون بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، ويؤمنون بالبعث والنشور **﴿يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** وذلك شأنهم فى عبادتهم وإيمانهم، أما شأنهم فى حياتهم اليومية مع غيرهم فهم كما

قال تعالى: **﴿ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات﴾** إنهم يلتزمون بكل معروف فى سلوكهم ويأمرون غيرهم بذلك، كما أنهم يبتعدون عن كل منكر وينهون غيرهم عنه، وفوق ذلك فإنهم يسارعون فى فعل كل خير دون توقف، ودون تأخر، فهو شغلهم الشاغل، وهم يعيشون فيه، ويمتزجون به امتزاجا كاملا، حتى أصبحوا هم جزءا منه، وليس هو جزءا منهم فقط.

إن الموقف هنا هو موقف الثناء على هذا الفريق من أهل الكتاب الذين تركوا ما كان عليه باقى أهل الكتاب، وآثروا عليه الإيمان بالله تعالى ربّا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيّا ورسولا، مع ما كان عليه هؤلاء الآخرون من ثراء وغنى ومن تناصر وتعصب فيما بينهم، إن هؤلاء المؤمنين الذين كان شأنهم على هذا النحو الذى ذكرته الآيات جديرون بأن يكونوا مسارعين فى فعل كل الخيرات وأن يذكر الله تعالى ذلك لهم مدحا وثناء، ومن هنا جاء الحكم لهم من رب العالمين بما جاء فى قوله عز وجل: **﴿وأولئك من الصالحين • وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين﴾** إن الوصف بالصلاح والوصف بالتقوى لن يكون إلا من خلال صفات عظيمة جليلة تمهد وتؤهل لذلك، وهى تلك الصفات التى جاءت فى هذه الآيات على النحو الذى تقدم ..

إن مجىء الفعل **(يسارع)** متعديا بالحرف **(فى)** بدلا من تعديه بالحرف **(إلى)** الذى هو أصل فى استعماله، هو أكثر بيانا، وأوضح إخبارا عن الأحوال الإيمانية لهؤلاء الذين آمنوا من أهل الكتاب وهو يضيف إلى النظم كله حشدًا من المعانى التى لا تذكر صراحة فى النظم، وإنما تترك النفس تذهب كل مذهب فى تصور هذه الخيرات التى لا تحصى ولا تعد ولا تحد، كما أنها تذهب كل مذهب وراء هؤلاء المؤمنين الصالحين، وتتمثلهم فى مواقفهم أمام كل خير، ومع كل خير، ولا تملك إلا أن تقف أمامهم موقف الإكبار والتقدير، وموقف الإعزاز والثناء، مع استحضار ما جاء من ثناء آخر عليهم فى كتاب الله عز وجل، ومن ذلك قول الله تعالى: **﴿وإنّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب﴾** آل عمران ١٩٩.

وبعد: فتلك ثلاثة مواضع رأينا فيها كيف جاء الحرف **(فى)** مكان الحرف **(إلى)** فى تعدى الفعل **(يسارع)** إلى ما بعده، مع كون الحرف **(إلى)** هو الأصل فى التعدى، وكان من وراء مخالفة الأصل علة واحدة هى الدلالة على الدوام والاستمرار فى فعل الخيرات - مع الدلالة على عدم التوقف عند غاية واحدة، وإنما تسلم كل غاية إلى ما بعدها، حيث يفتح حرف الظرفية **(فى)** مجرى الخيرات إلى غير نهاية، وذلك هو سبيل المؤمنين الصالحين المتقين، **﴿وفى ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** المطففين ٢٦.

والحديث موصول إن شاء الله تعالى.

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

د / عبد المعبود عمارة

القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، هو دستور سماوى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، له من الفضل والبركات الكثير والكثير، وهو من أفضل العبادات، ومن تعلمه كان من خيرة أمة محمد ﷺ، ومن شغله قراءة القرآن عن دعاء الله أعطاه سبحانه وتعالى أفضل ثواب الشاكرين،

والمؤمن يأخذ من القرآن ما شاء لما شاء بشرط أن يكون الآخذ أهلا لهذا العطاء، لأن القرآن له أسرار وأنوار ونفحات لا تدرك منتهاها ومن عرفها لا يستطيع إنكارها قال تعالى: **﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾** (الأية ٣٨ من سورة الأنعام).

وعلى المريض أن يقرأ القرآن بنية الشفاء ويدعو الله تعالى أن يشفيه لقوله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾** (الآية ١٨٦ من سورة البقرة) وقال سبحانه وتعالى: **﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾** (الآية ٦٠ من سورة غافر) ومفهوم من الآية أن الدعاء عبادة وروى النعمان بن بشير عن النبى ﷺ أنه قال: **«إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ «ادعونى أستجب لكم»** وقال تعالى: **﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾** (الأية ٨٢ من سورة الإسراء). وجاء فى تفسير هذه الآية: يقول تعالى مخبرا عن كتابه الذى أنزله على رسوله محمد ﷺ إنه شفاء ورحمة للمؤمنين، أى يُذْهِب ما فى القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفى من ذلك كله. وهو أيضا رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه، واتبعه، فإنه يكون شفاء فى حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم لنفسه بذلك، فلا يزيد سماعه للقرآن إلا بعدا وكفرا، والآفة من الكافر لا من القرآن، كقوله تعالى: **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾**. وقال تعالى: **﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ● وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾**. **قال قتادة:** إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ورعاه. **﴿ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾**. أى لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين. تفسير مختصر ابن كثير.

وعلى المريض أيضا أن يتصدق بنية الشفاء لقوله ﷺ **«حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة»**، وعلى المريض أيضا التداوى بالأساليب العلمية الحديثة وأن يطلب العلاج من الأطباء المتخصصين طالبا الشفاء من الله تعالى والقرآن الكريم يدعو إلى العلم وكرم الله تعالى العلماء لأنهم أهل معرفته وخشيته، والملائكة تضع أجنحتها استغفار لطالب العلم.

والقول بأن فى القرآن الكريم شفاء لا يتعارض مطلقا مع طلب العلاج طبقا للأساليب العلمية الحديثة وخاصة مع التطور الذى نراه فى فنون التطبيب وفروعها المختلفة، وهناك أراء لبعض المفسرين أشارت إلى أن كلمة **«شفاء»** فى الآية الكريمة تشمل علاج أمراض القلوب النفسية كحب الدنيا والطمع والجشع وحب الذات كما تشمل علاج الأبدان من أمراضها وعللها. فالله وحده هو المعطى الوهاب لو أراد الشفاء جعله ولو فى جرعة الماء، وإذا لم يرد الشفاء - والعياذ

بالله – حال بين الداء والدواء.

حفظ الصحة فى القرآن الكريم

القرآن الكريم حرص على صحة المؤمن وسلامته فقال عز من قائل: **﴿وزاده بسطة فى العلم والجسم﴾** (الآية ٢٤٧ من سورة البقرة). وقال: **﴿إن خير من أستأجرت القوى الأمين﴾** (الآية ٢٦ من سورة القصص).

ومن أجل هذا أمر القرآن بالطهارة فى الثوب والبدن والمكان وحرم كل مسكر ومخدر فقال سبحانه: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾** (الآية ٩٠ من سورة المائدة). وحرم القرآن الكريم الميتة والدم ولحم الخنزير فى قوله تعالى: **﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾** (الآية ١٧٣ من سورة البقرة). ونهى عن الرذائل فى قوله تعالى: **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾** (الآية ٣٢ من سورة الإسراء). ونهى عن مباشرة الأزواج أيام الحيض لما فيه من أذى لكلا الزوجين قال تعالى: **﴿يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن﴾** (الآية ٢٢٢ من سورة البقرة). ووجه القرآن الكريم الأمهات أن يتممن رضاعة أولادهن حولين كاملين إذا شاء الوالدان إتمام الرضاعة حفظا على سلامة المولود فى قوله تعالى: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾** (الآية ٢٣٣ من سورة البقرة).

الشفاء فى الغذاء فى القرآن الكريم

قال تعالى: **﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ● ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾** (الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل). ومعنى الآية «أى يخرج من بطون النحل عسلا متنوع منه أحمر وأبيض وأصفر فيه شفاء للناس من كثير من الأمراض **قال الرازى** فإن قالوا: كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء **فالجواب** أنه تعالى لم يقل إنه شفاء لكل الناس ولكل داء وفى كل حال بل لما كان شفاء للبعض ومن بعض الأدواء صلح بأن يوصف بأن فيه شفاء» (المختصر ٣٣٦/٢).

وليس العسل وحده الذى يحتوى فوائد عديدة بل هناك الكثير مثل الرطب وفيه قال تعالى: **﴿وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا﴾** (الآية ٢٥ من سورة مريم). والرطب علاج للنزف بعد الولادة وفيه جميع العناصر الغذائية المطلوبة من سكريات وبروتينات والدسم والعناصر المعدنية والفيتامينات وهناك الأعناب والزيتون والرمان والعدس والبصل والفوم والبقل والقثاء قال تعالى: **﴿فيها فاكهة ونخل ورمان﴾** الآية ٦٨ من سورة الرحمن). ومثل الزنجبيل فى قوله تعالى: **﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾** (الآية ١٧ من سورة الإنسان).

القرآن الكريم فيه شفاء للناس

القرآن الكريم كتاب هداية للبشرية فى المقام الأول وجاءت توجيهات قرآنية فى الوقاية وعدم إلقاء النفس فى التهلكة وحرم القرآن الكريم كل ما يسىء إلى صحة وسلامة المؤمن والرسول ﷺ قال: **«يا عباد الله تداووا»** وفى القرآن الكريم من التوجيهات الكثير والكثير ولكن هل قراءة القرآن بنية الشفاء للمريض تشفى؟

وإجابة هذا السؤال هى أن الله تعالى هو الشافى وهو رب القرآن يعطى من يقرأ القرآن ما شاء لمن يشاء بشرط أن يكون الآخذ أهلا لهذا العطاء وللقرآن أسرار لا يعلمها إلا هو وكلمة شفاء وردت بلفظ النكرة فاللفظ يفيد الشمول خاصة أن شفاء النفوس والقلوب يؤثر تأثيرا مباشرا فى منع الأمراض العضوية كالأمراض النفسية وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والشرايين وقرحة المعدة والقولون العصبى والأمراض العصبية والسُّكَّر وسبحان الله تعالى القائل فى كتابه العزيز **«ما فرطنا فى الكتاب من شىء»** شفى الله مرضانا وشفانا ببركة القرآن الكريم.

مقتطفات من محاضرة:

الإسلام وقضايا العصر

د. مصطفى الفقى

هناك بعض المستجدات على الساحة العالمية، ويقف منها المسلمون إما موقفا سلبيا أو موقفا إيجابيا، من تلك المستجدات.

المستجد الأول العولمة: لا شك أن اجتماع كلمة الأمة الإسلامية، والتعاون بين دولها وشعوبها إنما يعبر عن العولمة فى صورتها الصحيحة؟، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣)، وهذا المعنى يؤكد أن الإسلام لا يفرق بين البشر، فكلنا لأب واحد وأم واحدة، وقد جاء مفهوم الأممية سابقا بعشرات القرون للماركسية، إذ جعل الله الناس جميعا متساويين، وفتح بينهم الحدود والحواجز، ولم يفرق بين غنى وفقير، وإنما جعل الناس سواسية كأسنان المشط.

وصورة الإسلام الحقيقية تتجلى فى نظرته للناس جميعا دون تفرقة بينهم، فليس هناك فضل لإنسان على إنسان مهما كان موقعه أو كانت مكانته، والرسول ﷺ قال: «اطلبوا العلم ولو فى الصين» وهى بلاد بعيدة جداً عن بلادنا، لكن ذلك يعنى التأكيد على وحدة العالم كله.

الإسلام دعوة واضحة إلى الشورى والديمقراطية الحقيقية وهو غير مسئول عن قصور المسئولين فى تطبيقها.

المستجد الثانى يتعلق بصراع الحضارات: وقد رأينا خلال العقدين الأخيرين من بعض الكتابات التى تستبدل الوفاق بين الغرب والإسلام بالصراع بين الغرب والشرق وهى محاولة للبحث عن تأجيج أسباب الخلاف، وإيجاد ثغرات للصراع، وفتح المجال لما لا يجب الحديث فيه.

ومنهج الإسلام واضح فيما يجب أن يكون عليه التعامل بين البشر، فهو الذى قدم للبشرية ابن سينا والفارابى وابن الهيثم وغيرهم، وهذا الدين يؤكد أن العلاقات بين البشر لا تقوم على الصراع، بل تقوم على التداخل والتواصل والاندماج.

المستجد الثالث: حقوق الإنسان: فالإسلام اعتبر الإنسان مخلوقا حرا منذ ميلاده، يولد حرًا ويعيش حرًا، فحارب العبودية والاستعباد، وتحدث عن عطاء الإنسان لغيره كجزء من حقه وواجبه، ولذلك فحقوق الإنسان مرعية حتى الحد الأدنى

من مستوى المعيشة مطلوب؛ فالإسلام يقاوم العجز والعوز، والإمام على كرم الله وجهه - يقول «**لو كان الفقر رجلاً لقتلته**»، وقد اعتنى الإسلام بحقوق الإنسان، فليس هناك عائق فى الإسلام يعوق كفالة حقوق الإنسان.

قضية المواطنة: وهى تعنى المساواة بين المختلفين؛ بين الرجل والمرأة، وبين الغنى والفقير، بين المسلم والمسيحى، فهى تعني المساواة بين الجميع فى الحقوق والواجبات رغم الاختلاف بينهم، والمساواة ليست فى المثلية، فالرجل ليس كالمرأة، ولكن المساواة فى الحقوق والواجبات. وقد دخل فى الإسلام فرس وروم وأحباش، فلم نجد فرقا بين حر قرشى وبين عبد حبشى، وقد اجتمع حول الرسول ﷺ رجال منهم بلال الحبشى وسلمان الفارسى

اجتماع كلمة الأمة الإسلامية والتعاون بين دولها وشعوبها يعبر عن العولمة فى صورتها الصحيحة

لم يفرق الرسول ﷺ بين إنسان وآخر وإنما انطلق من قاعدة المساواة بين المختلفين

وصهيب الرومى، ولم نسمع أن الرسول ﷺ قد ميز بينهم، وإنما انطلق من قاعدة المساواة بين المختلفين، لذلك جاء الدستور المصرى لينص على مبدأ المواطنة، فإذا ما شعر إنسان أنه قد تم تخطيه فعليه أن يلجأ للدستور.

قضية الديمقراطية: فلقد قدم الإسلام نماذج واضحة لتطبيق الشورى فى الإسلام، ومن ذلك الكيفية الديمقراطية التى تحقق بها اختيار الخليفة الأول للمسلمين (أبو بكر الصديق). فقد جاء الاختيار ديمقراطيا بحتا بعد تداول وتشاور بين المسلمين الذين لم ينظروا إلى قرابة **على بن أبى طالب للرسول ﷺ** ليتولى أمور المسلمين بعده، ولكنهم حكموا بمعيار لا خلاف حوله، وجاء بالخلفاء الأربعة حتى نهاية خلافة على بن أبى طالب، ثم جاء معاوية ونادى لابنه بالحكم فى حياته. والإسلام دعوة واضحة جلية إلى الشورى والديمقراطية الحقيقية، ومن يقول بغير ذلك فهو واهم؛ فالإسلام غير مسئول عن قصور المسئولين فى تطبيق الديمقراطية. فالنظرية السياسية فى الإسلام سبقت النظريات الغربية وقدمت الأطر الواضحة على ذلك. **«والإمام الشافعى» كان يقول: «رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب»**، ثم يأتى فولتير بعد ذلك - ونحن اليوم نواجه غزوا فكريا يدعى أن الإسلام لا يعرف حقوق المواطنة ولا حقوق الإنسان، ولا يعرف سوى صراع الحضارات، مع أن الإسلام قد سبق كافة النظم الأخرى بقرون طويلة فى إقرار مبادئ الحرية وحقوق الإنسان والتعاون بين البشر.

خواطر فى السياسة

مرض جديد فى الغرب اسمه «إسلاموفوبيا»!

«الخوف من الإسلام»

رجب البنا

خصصت القناة الرابعة بالتليفزيون البريطانى عدة حلقات عن الإسلام والمسلمين فى بريطانيا صورت فيه جماعات من المسلمين يعيشون فى بريطانيا منعزلين عن المجتمع البريطانى، ويحملون الجنسية البريطانية ولكنهم لا يشعرون بالإنتماء لهذا الوطن الذى أعطاهم الجنسية والحماية وفرص الحياة والتعليم، وتوحى الحلقات بأن هؤلاء المسلمين يمثلون بؤرا للعنف وربما للإرهاب أيضاً..

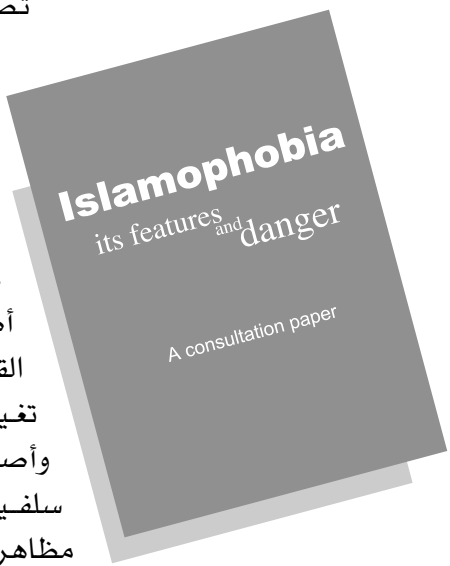

تصور الحلقات فى البداية شابا باكستانيا مسلما غادر بريطانيا لسنوات قليلة ثم عاد إليها، وقام بجولة مع مقدم البرنامج لزيارة أصدقائه ومعارفه القدامى فاكتشف أنهم تغيروا عما كانوا عليه، وأصبحوا يعتنقون فكرا سلفيا جامدا، ويرفضون مظاهر الحضارة الغربية التى هاجروا إليها من بلادهم طواعية ولم يأتوا مجبرين، كما يرفضون قيم وتقاليد المجتمع البريطانى، ويرفضون الثقافة البريطانية .. وجد صديقه الذى كان يرافقه كل ليلة فى سهرات الرقص وفى صالات **«الديسكو»** قد ارتدى جلبابا قصيرا وأطلق لحيته وترك كل شىء حتى عمله القديم تركه أيضًا وفتح محلا صغيرا فى الحى الذى يعيش فيه المسلمون يبيع فيه الكتب والتسجيلات الإسلامية وزجاجات العطر والمسابح، وحين جلس معه ليسأله عن هذا الانقلاب الذى حدث فى حياته قال له هذا الصديق إنه وجد المجتمع الغربى منحلا ومخالفا للشريعة الإسلامية وأقنعه بعض الدعاة بأن حياته خطأ فى خطأ وعليه أن يتوب إلى الله ويبعد بنفسه عن الضلال الذى يعيش فيه البريطانيون!.

وينتقل مقدم البرنامج بعد ذلك ليقدم مشاهد فى شوارع الأحياء التى يعيش فيها المسلمون وحدهم وتنتقل الكاميرا بين النساء وهن يرتدين **«النقاب»** ولا تظهر غير العيون فقط، والرجال وهم يرتدون الجلباب ويطلقون اللحى ويضعون فى أقدامهم شباشب، والفتيات الصغيرات عليهن ملابس طويلة وعلى رؤوسهن **«الخمار»** والصبيان الصغار يلبسون الجلاليب والشباشب أيضًا، ويذهب الأطفال إلى مدارس إسلامية خاصة لتحفيظ القرآن وتعليم الدين الإسلامى بالشروح والتفسيرات الأصولية المتشددة، والمدرسات يجلسن داخل المدرسة بالنقاب، ومدارس البنات لا يدخلها الرجال ولا الصبيان، وكذلك مدارس الصبيان ليس فيها معلمة واحدة.

ويجرى مقدم البرنامج حوارات مع بعض من قابلهم من المسلمين من أصول باكستانية وإيرانية وغيرها وليس بينهم مسلمون من أصول عربية، فيتبين من هذه الحوارات أنهم حصلوا على الجنسية البريطانية ولهم حقوق وامتيازات المواطنين البريطانيين فى العمل ومعونة البطالة والتأمين الصحى والعلاج المجانى .. الخ وغالبية الجيل الأول من المهاجرين يعيشون فى بريطانيا ولا يعرفون من اللغة الإنجليزية غير كلمات تكفيهم للمعاملات الضرورية، أما الأبناء من الجيل الثانى والثالث فهم يجيدون اللغة الإنجليزية كما يجيدون لغات آبائهم، ويعيشون فى بيوتهم بتقاليد واسلوب الحياة فى بلادهم الأصلية، وحين سأل مقدم البرنامج: أين ولاؤك وانتماؤك: هل هما لبريطانيا التى تحمل جنسيتها أجاب كل من سألهم: لا .. لا نشعر بالولاء لبريطانيا .. وحين سألهم: إذا كانت بريطانيا فى حرب مع مسلمين فهل تحارب فى صفوف بريطانيا أجابوا جميعًا: لا .. لن نحارب مسلمين .. فكل مسلم هو أخ لنا .. والولاء للإسلام وليس للوطن .. وقالوا أيضًا إن البريطانيين يرفضون التعامل معنا على قدم المساواة كما يرفضون إنضمامنا إليهم فى مجالسهم وحياتهم!..

وهكذا قدم البرنامج الدليل الكافى لتعزيز الانزعاج الذى يشعر به البريطانيون من تجمعات المسلمين، خصوصًا بعد أن أحرقوا بعض البيوت واشتبكوا مع رجال البوليس وحرقوا سيارات الشرطة وسيارات الإطفاء، واضطرت السلطات البريطانية لاستدعاء قوات خاصة للسيطرة على الموقف .. وقال المعلقون إن ما حدث شىء جديد يؤكد المخاوف من الإسلام والمسلمين!.

○○○

ولم يكن الأمر محتاجا لهذا البرنامج، لأن بريطانيا بالفعل تعيش فى حالة من القلق من الإسلام والمسلمين .. تظهر فى محاولات دراسة الإسلام ومجتمعات المسلمين بقصد الفهم وتحديد الأسلوب المناسب للتعامل معهم .. كما تظهر فى تعليقات البعض التى تكشف العداء والكراهية .. وتظهر كذلك فى الحذر الذى يبديه بعض البريطانيين عندما يتعاملون مع مسلمين .. وفى عدم وضوح تعاليم الإسلام فى عقول البعض والخلط بين الإسلام والعنف والإرهاب .. وتصور أن أسامة بن لادن هو **«الرمز»** أو **«المثال»** أو **«النموذج»** للمسلمين بعدائه للغرب .. ونزعته للتدمير والانتقام والتخريب فى المجتمعات الغربية.

○○○

زيارتى الأخيرة إلى لندن أعطانى صديق بريطانى كتيبا صغيرا وجدت عنوانه مثيرًا للغاية، والعنوان هو **«إسلاموفوبيا»** والفوبيا هى المخاوف المرضية، فهناك مثلا أشخاص لديهم مخاوف مرضية وليست مخاوف عادية من الظلام أو من الأماكن المرتفعة أو من الفيران .. وهكذا فإن عنوان الكتاب يوحى بوجود مخاوف شديدة وصلت إلى الحد الذى يعتبره الأطباء النفسيون مرضا نفسيًا يحتاج إلى علاج.

وهذا الكتيب عبارة عن تقرير استشارى صادر عن لجنة تضم عددا من المفكرين والعلماء البريطانيين اسمها **«المسلمون**

البريطانيون والإسلاموفوبيا» يرأسها البروفسيور جوردون كونواى نائب المستشار لجامعة ساكس وقد أنشئت هذه اللجنة عام ١٩٩٦، ومقدمة التقرير بقلم البروفيسور جوردون كونواى ويقول فيها: إذا كنت تشك فى وجود **«الإسلاموفوبيا»** فى بريطانيا، فإننى أقترح عليك قضاء اسبوع فى قراءة الصحف المحلية والقومية كما فعلت أنا، وستجد أن المقالات التى تشير إلى المسلمين أو إلى الإسلام فيها تعليقات متحيزة ومعادية وهى فى الغالب غير مهذبة بل فى بعض الأحيان تكون التعليقات وقحة وغير مهذبة، وحيث يسير الإعلام فإن معظم الناس يسيرون وراءه .. والمسلمون البريطانيون يعانون من التفرقة العنصرية فى أماكن الدراسة والعمل وتنتشر أعمال التحرش والعنف ضد المسلمين.

ويضيف البروفيسور جوردون كونواى: وقد وافقت على رئاسة لجنة **«رانيميد»** الخاصة بالمسلمين البريطانيين والإسلاموفوبيا لأننى أعتقد أن **«الإسلاموفوبيا»** ظاهرة خطيرة ومدمرة لمجتمعنا، وقد علمتنى التجربة أن أتعايش وأعمل مع أشخاص ينتمون لعقائد وثقافات مختلفة فى آسيا وأفريقيا، ووجدت أن معظم حالات التحيز تنتج عن الفقر والبطالة والتعليم المتدنى والظروف السيئة فى العمل والسكن، كما وجدت أنه عن طريق المشاركة والتعلم من خبرات وأفكار بعضنا البعض نستطيع إيجاد وسائل جديدة لمعالجة أسباب الحرمان والتفرقة العنصرية .. ويقول البروفيسور جوردون كونواى أيضًا فى المقدمة:

«المقصود من هذه المقالة الاستشارية استثارة ردود الأفعال، وطرح مجموعة من الأسئلة، وفى التقرير النهائى نهدف إلى مناقشة ومعالجة قضايا التعليم، والتفرقة العنصرية، والتحرش، والعنف، ونقدم مقترحات لإجراء بعض التعديلات الممكنة فى القوانين وفى سياسات الحكومة».

ثم يقول إن كلمة **«إسلاموفوبيا»** مبتكرة وحديثة نسبيًا، ومن المحتمل أن تكون مشتقة على غرار Ximophobia **(إرهاب الأجانب)** والكلمة الأخيرة ظهرت فى القرن التاسع عشر مشتقة من الكلمة اليونانية Xemos غريب أو أجنبى، و Phobia ومعناها الرعب أو الخوف وفى قاموس اكسفورد كلمة Xemophia تعنى كراهية الأجانب أو المخاوف المرضية من الأجانب أو الكراهية العميقة للأجانب، وقد اكتسب هذا المصطلح معانى إضافية فى أوربا فى الثلاثين عاما الماضية، وأصبح المقصود به فى فرنسا وألمانيا مثلا المهاجرين الأجانب من المغرب والجزائر وتركيا ويوغوسلافيا، وعندما تشير لجان الاتحاد الأوربى إلى هذه العبارة فإنهم يقصدون الأجانب داخل الدول الأوربية وليس الأجانب فى دول العالم عمومًا، أما العبارة الجديدة المبتكرة **«إسلاموفوبيا»** فإنها تتضمن المخاوف بنوعيها .. مخاوف من المسلمين هناك خارج الوطن، ومخاوف من المسلمين هنا الذين يعيشون داخل الوطن، وبذلك فإن كثيرا من غير المسلمين يزدادون خوفا من الإسلام وكراهية له، وتتضمن التشبيهات المتكررة التى تستخدم للإثارة القول بأن المسلمين فى أوربا هم الطابور الخامس، ورأس الجسر، جزر غريبة، وحصان طروادة، والعدو الداخلى.

○○○

ويقول التقرير بعد ذلك:

«الإسلاموفوبيا» معناها الكراهية أو الخوف من الإسلام والمسلمين، وهى موجودة فى الدول الغربية وثقافاتها منذ قرون، ولكنها إزدادت وضوحًا وتطرفا وخطورة فى السنوات العشرين الأخيرة فى كل قطاعات الإعلام، وتنتشر فى كل قطاعات المجتمع، وإن كان هذا التقرير يهتم بالإسلاموفوبيا فى بريطانيا، فإنه تجب الإشارة إلى أن الوضع فى بريطانيا يتأثر بالتطورات والأحداث التى تقع فى الأماكن الأخرى.

ويقول التقرير إنه تجب مناقشة التأثير العملى للإسلاموفوبيا فى بريطانيا وكيف أنها تؤثر على مشاركة المسلمين فى الحياة العامة،

كما تؤثر فى نظام التعليم ومظاهر التفرقة العنصرية فى التوظف، وتتسبب فى حوادث العنف، وفى انتشار الفقر والحرمان.

○○○

ويقول التقرير:

إن نقد أو معارضة المعتقدات والتعليم والممارسات الإسلامية ليست أمرا يدعو للخوف فى ذاتها، ففى إطار الديمقراطية وحرية الفكرة، يكون من الأمور الحتمية والصحية ممارسة النقد بشىء من الغلظة أحيانا للآراء والممارسات التى لا تتفق مع معتقداتهم وآرائهم، ويكون من المنطقى أيضا توجيه النقد إلى نظم ودول إسلامية، عندما تكون حكوماتها لا تعترف بالحريات وحقوق الإنسان ولا تمارس الديمقراطية، وكذلك من المنطقى توجيه النقد إلى معاملة المرأة فى بعض الدول الإسلامية، ونقد الآراء والاتجاهات التى يعتنقها بعض المسلمين عن الغرب، ومن المهم إدراك أن المناظرات والاختلاف فى الرأى حول هذه القضايا يحدث بين المسلمين وغير المسلمين، كما يحدث بين المسلمين أنفسهم .. إذن فكيف تمكن التفرقة بين النقد المنطقى والاختلاف فى الرأى من ناحية و«**الإسلاموفوبيا**» من ناحية أخرى؟.

○○○

ويقول التقرير:

إن المخاوف المرضية من الإسلام لها سبع سمات أساسية مرتبطة بعضها ببعض، والحديث عن سمة منها يثير ضمنا بقية السمات، وهذه السمات هى:

أولا : رؤية الثقافة الإسلامية على أنها متحجرة وغير قابلة للتغير.

ثانيا: الزعم بأن الثقافات الإسلامية تختلف إختلافا كاملا عن الثقافات الأخرى.

ثالثا: اعتبار الإسلام مصدر تهديد دائم.

رابعا: الزعم بأن أنصار الإسلام يستخدمون عقيدتهم أساسا استخداما سياسيا وعسكريا.

خامسا: رفض انتقادات المسلمين الموجهة للمجتمعات والثقافات الغربية رفضا لا شعوريا.

سادسا: الخوف من الإسلام والعداء العنصرى لهجرة المسلمين إلى دول أوربا.

سابعا: اعتبار «**الإسلاموفوبيا**» أمرا طبيعيا ولا يمثل أية مشكلة.

○○○

عن السمة الأولى «للإسلاموفوبيا» يقول التقرير:

إن غير المسلمين يصورون الإسلام دائما على أنه جامد ومتحجر وغير متسامح مع من يختلف معه أو يدخل معه فى نزاع، وهذه الفكرة العامة لا تضع فى اعتبارها الاختلافات الجوهرية بين مجتمع وآخر فى العالم الإسلامى، والتغيرات التى حدثت وتحدث فيها، ولا تضع فى اعتبارها الحقيقة التى تشير إلى وجود توتر واختلافات بين المسلمين أنفسهم، وتتجاهل ما يجرى داخل العالم الإسلامى من جهود ومجادلات حول الحريات وحقوق الإنسان وتحسين العلاقات بين الإسلام والعقائد الأخرى، وبين الإسلام والحياة، وباختصار فإن هناك مناقشات واختلافات داخل المجتمعات الإسلامية تماثل ما يحدث فى المجتمعات الغربية، ولكن الغربيون لا يلحظونها ولا يلتفتون إليها، ونتيجة لتجاهل الاختلافات والتنوع داخل العالم الإسلامى فإن الانتقادات التى يوجهها الإعلام البريطانى إلى دول مثل العراق وإيران والسعودية تؤخذ على أنها هجمات منظمة على المسلمين فى المناطق البريطانية أيضا مثل براد فورد، وبرمنجهام وتاورها ملتز، وبعض المقالات مثلا تربط بين الهجوم على المسلمين من أصل باكستانى فى برمنجهام والهجوم على صدام حسين وياسر عرفات والخومينى.

○○○

وعن السمة الثانية للإسلاموفوبيا يقول التقرير:

إن تجاهل الاختلافات والتنوع داخل الثقافات الإسلامية والحديث عن الإسلام على أنه مفهوم واحد فى كل الدول الإسلامية وعن المسلمين على أنهم نمط واحد أو نموذج واحد متكرر يرجع إلى عدم إدراك الفروق بين المسلمين فى الشرق الأوسط والمسلمين فى جنوب آسيا .. بين الإيرانيين والعرب .. بين البوسنة والشيشان وباكستان وبنجلاديش ويضعهم جميعًا فى سلة واحدة .. كما لا يدرك معظم المتحدثين عن الإسلام الفرق بين كثير من الحركات والأحزاب والمشروعات السياسية القائمة باسم الإسلام، وحتى الذين يسميهم الغربيون **«المتشددون»** ليسوا فريقا واحدا، ولا يتفقون جميعا على فكر واحد، وليس بينهم اتفاق إلا فى قضايا محدودة، وأيضا لا يدرك الغربيون الفرق بين المسلمين الذين ينتقدون بشدة انتهاك حقوق الإنسان فى بعض الدول الإسلامية والمسلمين الذين يرفضون التسليم بوجود هذا الانتهاك، ويرجعون انتقادات الآخرين إلى أنها مجرد أعراض لظاهرة **«الإسلاموفوبيا»** ولا يفرق الغربيون أيضا بين الجيل الأول والجيل الثانى أو الثالث من المسلمين المهاجرين إلى أوربا، وبين التفسيرات المختلفة للتعاليم والمفاهيم فى القرآن والسنة، كما لا يدركون الفوارق بين مفاهيم وخبرات الرجل والمرأة، وبين التيارات الفكرية وأساليب الحياة فى القرن العشرين على سبيل المثال والحركات الخاصة بإحياء الماضى، ولا يدرك بعض الغربيين أن هناك فروقا بين أفراد الطبقات الاجتماعية المختلفة فى المعتقدات والأفكار الإسلامية.

○○○

وعن السمة الثالثة للإسلاموفوبيا يقول التقرير:

إن هناك اعتقادا بوجود اختلاف كامل بين الإسلام من ناحية والعالم غير الإسلامى من ناحية أخرى، وهذا الإصرار على الاختلاف يتضمن بالتأكيد ادعاءات بشأن المسلمين وإدعاءات أخرى عن غير المسلمين، ومن الأمثلة على الأفكار النمطية عن المجتمعات والثقافات الإسلامية وغير الإسلامية الإدعاءات الآتية التى تتردد فى الإعلام وعلى الألسنة فى الغرب:

- إن الثقافة الإسلامية قائمة على إساءة معاملة المرأة، بينما تخلصت الأديان والثقافات الأخرى من النظام الأبوى والتفرقة بين الجنسين وكراهية النساء.
- إن المسلمين متشددون فى تفسيرهم للقرآن، بينما لا تعرف العقائد الدينية الأخرى الجمود والتمسك بالحرفية فى فهم وتفسير النصوص الدينية.
- إن المسلمين يوظفون المعتقدات الدينية لتدعيم وتبرير نواياهم وأهدافهم العسكرية والسياسية، بينما المجتمعات المتأثرة بالأديان الأخرى لا تمارس مثل هذا الدمج بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية.
- المسلمون لا يميزون بين المعتقدات الدينية من ناحية والعادات الاجتماعية من ناحية أخرى، وعلى سبيل المثال فإن العادات الريفية فى باكستان يمارسونها وكأنها جزء من العقائد الدينية، بينما لا يحدث فى الأديان الأخرى مثل هذا الخلط أو التداخل بين العقيدة والثقافة المحلية.
- المسلمون يواجهون صعوبات فى تنظيم أنفسهم وإرسال ممثلين عنهم إلى الهيئات الخارجية، بينما لا تمثل قضايا التمثيل والشرعية أية مشاكل لأصحاب الديانات الأخرى.
- المسلمون كتلة متحجرة، مغسولة الدماغ، ذات صوت أحادى ولا تتسامح مع تعددية الآراء، بينما نجد فى الأديان الأخرى أصواتا متعددة واختلافات ومناقشات داخلية صحيحة.

○○○

وعن السمة الرابعة يقول التقرير:

دائما ينظر الغربيون إلى الإسلام على أنه عدو دائم للعالم غير الإسلامى، وفى أوائل التسعينات

قال: **«بيريجرين ورستورن»** إن الإسلام كان فى يوم ما حضارة عظيمة تستحق الحوار معها، ولكنه قال بعد ذلك إن الإسلام تحول الآن إلى عدو بدائى لا يناسبه إلا أن يتم إخضاعه.

ويفترض بعض المعلقين أن خضوع الإسلام سيطرة الشيطان فى الفترة الأخيرة لم يكن من قبيل المصادفة، إذ حدث ذلك فى نفس الوقت تقريبًا الذى تحولت فيه **«إمبراطورية الشر»** الشيوعية إلى خطر حقيقى، وكانت الثقافة الشعبية والثقافة السياسية فى الغرب فى حالة بحث عن عدو جديد .. عدو دائم .. ليحل محل الاتحاد السوفيتى، وكذلك كانت صناعة السلاح فى الغرب تبحث عن سوق جديدة وعدو جديد، ومهما يكن الأمر فإن المؤكد أن الإسلام يتم تصويره على أنه دين شرير تماما فى الخطاب المتأثر فى الغرب بالإسلاموفوبيا، وهذا الخطاب استدعى تعبير **«صراع الحضارات»** الذى استخدمه صمويل هنتجتون الأستاذ بجامعة هارفارد وانتشر فى الفكر السياسى والاستراتيجى فى أنحاء العالم، والخطاب المتأثر بالإسلاموفوبيا فى الغرب يتحدث عن الإسلام بإعتباره الوريث للنازية والشيوعية، وأنه عقيدة قائمة على الغزو والتسلل.

وما يقال فى كتابات وعلى ألسنة المثقفين والعامة فى الغرب مما يعبر عن رؤية الإسلام كمصدر تهديد للدول والشعوب والثقافة والحضارة الغربية يتلخص فيما يلى:

● المخاوف من الاستعمار الإسلامى وأن هناك تهديدًا إسلاميًا لأوربا المسيحية، وأن الإسلام ينمو ويتوسع تدريجيا وبخطوات بطيئة، ومازال من الممكن إيقافه، ولكن سياسات القوى الغربية فعلت كل ما فى إمكانها لمساعدته على النمو، ويستغل الاستعمار الإسلامى الإنحرافات الروحية والاجتماعية فى المجتمعات الغربية ويجد الأرض المناسبة للتوسع عليها كما يقال الفريد شيرمان.

● الفكرة القائلة بأن الإسلام تهديد رئيسى للسلام فى العالم، وأن التعصب الإسلامى يتطور تطورًا سريعًا ليصبح مصدر تهديد للسلام والأمن، وسببًا للاضطرابات المحلية والقومية باستخدام الإرهاب، وهذا التهديد الإسلامى يماثل التهديدات النازية والفاشية فى الثلاثينات والتهديدات الشيوعية فى الخمسينات من القرن العشرين كما يقول كلير هولينجز.

● الفكرة السائدة بأن الحروب مع الإسلام حتمية، فعمليات التدمير والإرهاب ينفذها إسلاميون متعصبون وهم سعداء لأنهم وفقا لعقيدتهم سوف يذهبون إلى نعيم الجنة، ويتوقع أصحاب هذه الفكرة أن هناك حروبا لابد منها سوف تشتعل خلال نصف قرن على الأكثر وسينتصر فيها المسلمون المتعصبون كما يقول برنارد ليفين الذى حمل المسلمين المتعصبين تفجير مبنى أوكلاهوما فى الولايات المتحدة ثم تبين أن الذى قام بتفجير المبنى متعصب أمريكى اسمه تيموثى ماكفاى.

● النظرية التى تثير الرعب فى قلوب الغربيين بالقول بأن **«قبائل أصحاب العمامات ستنتصر»** .. فإن أى إنسان غريب يمكن أن يحصل على الجنسية البريطانية ولكنه لن يكون بريطانيا، حتى ولو كان يجيد اللغة الإنجليزية، أو كان مسيحيا، وأبيض اللون .. صحيح أن بريطانيا لغتها الإنجليزية وهى دولة مسيحية بيضاء ويصيب البريطانيين الرعب والغضب إذا تصوروا احتمال أن تصبح اللغة الأردية هى اللغة الغالبة فيها، وأن يكون الإسلام سائدًا، والوجوه السمراء هى الأغلبية .. ويقول البعض إنه بسبب رفض البريطانيين للإنجاب فإن الحضارة الأوربية الغربية سوف تتلاشى تدريجيا وتحيا من جديد بدماء جديدة غير أوربية ثم تنتصر قبائل أصحاب العمامات، ويدرس القرآن فى المدارس البريطانية كما قال جيبون وكما كتب تشارلز مور فى صحيفة **«سبكتاتور»**.

○○○

ثم هناك الزعم بأن أنصار الإسلام يستخدمون عقيدتهم كسلاح لتحقيق أهدافهم السياسية والعسكرية والاستراتيجية أكثر من استخدامها كعقيدة دينية ونظام أخلاقى، وقد ظهرت هذه الفكرة منذ سنوات فى رسم كاريكاتيرى نشر لأول مرة فى صحيفة **«واشنطن بوست»** الأمريكية، ثم نشر بعد ذلك فى الصحافة الأوربية، وكان هذا الكاريكاتير يتكون من ثلاثة رسوم، الرسم الأول لرجل يرتدى العمامة وله لحية كبيرة يجلس فى الفراش يتمطى وتحته تعليق: **«آه .. هذا يوم جديد فى حياة رجل مسلم تقى»** والرسم الثانى للرجل المسلم التقى وقد ترك الفراش ووقف يعد على أصابعه وهو يقول: **«دعنا نرى ما يجب على عمله اليوم .. سأغلق الصحف .. وأقتل امرأة زانية .. وأجلد حبيبها .. وأطلق النار على الأكراد، وأرسل لهم بعض المال .. وأقوم باغتيال فرقة موسيقية فاسقة»** .. أما الرسم الثالث فهو لنفس الرجل المسلم التقى وهو يهز كتفيه، ويفتح يديه ويقول: **«لا تنس الله .. إذا دعانى أستجب له»** ويعبر هذا الكاريكاتير عن النظرة للإسلام فى الغرب أبلغ تعبير، على أنه دين جامد، لا يقبل التنوع والتعدد كما لا يقبل الحوار والمناقشة، ويرفض التطور والإبداع، وأن المسلم متعصب .. وهمجى .. ومصدر تهديد دائم .. وأن الإسلام ليس عقيدة وحضارة، ولا يمكن للآخرين التفاعل معه تفاعلا مثمرًا أو أن يتعلموا منه شيئًا له قيمة .. ويزعم هذا الكاريكاتير الذى انتشر وكان له تأثير كبير، أن أنصار الإسلام وزعماء المتدينين الإسلاميين يستخدمون هذا الدين فى أهداف سياسية وعسكرية واستراتيجية، وليس بدوافع روحية أو أخلاقية، وأن المسلمين يرتكبون الجرائم باسم الإسلام وينسبونها إلى الله: **«إذا دعانى الله سأستجيب له»**.

○○○

وعن السمة الخامسة يقول التقرير: يتم الخلط فى بريطانيا دائما بين الإسلاموفوبيا والعنصرية، فهناك عنصرية فجة ضد الملونين السود ومعظم المسلمين من ذوى البشرة السوداء أو السمراء، وأيضا فى بريطانيا تحيز ضد المهاجرين ومادام المسلمون فى بريطانيا لهم عادات مخالفة وخصوصا القادمين منهم من جنوب آسيا فإن البريطانيين يشعرون بالخوف من أن تهدد هذه العادات الغريبة بالقضاء على الثقافة التاريخية للشعب البريطانى، والتوحد بين المشاعر المعادية للإسلام والمشاعر المعادية للمهاجرين الآسيويين يمكن أن نلمسها بوضوح فى مقال ساخر ظهر منذ سنوات قليلة فى صحيفة **«صن»** البريطانية يسخر من معلمة فى مدرسة ابتدائية فى برمنجهام لأنها قررت إزالة صور الخنزير من اللوحات التوضيحية للحروف الأبجدية المعلقة على جدران الفصول لأن صورة الخنزير تمثل إهانة لبعض الآباء والتلاميذ المسلمين فى المدرسة خاصة وهؤلاء ينتمون إلى أصل باكستانى، وتضمن المقال السخرية أيضا من المسلمين فى الشرق الأوسط، ثم هاجم بعد ذلك وجود الآسيويين فى بريطانيا ويهاجم ما تقدمه المطاعم الآسيوية من الأطعمة، كما هاجم نظام التعليم البريطانى لأنه بدأ يسمح للتلاميذ من الديانات والأعراق المختلفة بالاستفادة من مميزات التعليم التى يحصل عليها أبناء البريطانيين.

ويقول التقرير أيضا إن الناس فى الغرب عموما وفى بريطانيا خصوصا يرفضون - لا شعوريا - الانتقادات التى يوجهها المسلمون للحرية، والحداثة، والعلمانية الغربية ويرون أن هذه الانتقادات لا تستحق المناقشة، بينما يدور فى الدول الغربية جدل واسع حول هذه الموضوعات، مثل حدود حرية القول، والمطالبة بأخذ المعتقدات الدينية واللاهوتية بجدية فى المناظرات العامة، ومعايير التحفظ والاعتدال فى العلاقات الجنسية .. الخ .. وبالرغم من أن المسلمين لهم وجهات نظر ورؤية مهمة تمكنهم من المساهمة فى هذه المناقشات فإن «الإسلاموفوبيا» تمنع دعوة أو

تشجيع المسلمين ليكون لهم دور فى هذه الحوارات والاستماع إلى آرائهم.

○○○

وفى مقال صحيفة **«صن»** الساخر الذى نشر فى ١٢ نوفمبر ١٩٩١ أن تدريس اللغة الإنجليزية يتم بطريقة عنصرية موجهة للطبقة المتوسطة البيضاء، وإذا كنا نريد تشجيع المهاجرين على الاندماج فى مجتمعنا فإنه يجب علينا مساعدتهم على تعلم لغتنا وبدلا من الطريقة القديمة التى تعلم الأطفال حروف اللغة الإنجليزية بوضعها فى أوائل كلمات مثل: تفاح - أو كره أو قطة تعلم أبناء المسلمين الحروف فى أوائل كلمات تناسبهم مثل: بغداد، وآيات الله، والأمير، والكعبة، وحزب الله، والقذافى، وياسر عرفات، والجهاد، والانتفاضة، ومكة، ورشدى، وصدام، والكلاب الصهاينة، والإمبريالية العدوانية. وهكذا يمضى المقال فى التعبير عن صورة من صور **«الإسلاموفوبيا»**.

○○○

ويقول تقرير **«الإسلاموفوبيا»**: إن كثيرًا من المفكرين والكتاب يرون أن التعبير عن الأفكار والمشاعر المعادية للإسلام من الأمور الجديرة بالاحترام، ومن هؤلاء **«هو لينجسوارت، وليفين، ومور، وشيرمان»**، وليست الصحف الصغيرة وحدها التى تشبه الإسلام بالشيطان ولكن هناك عبارات إزدراء للإسلام تظهر بشكل منتظم فى جميع الصحف البريطانية، وفى عدد كبير من الكتب والكتيبات التى توزع على نحو واسع، ففى الوقت الذى أثيرت فيه قضية سلمان رشدى مثلا ادعى **«فاى ويلدون»** فى تعقيب أصدره أن القرآن **«غذاء لإنعدام التفكير، وهو ليس شيئًا جميلا يمكن للمجتمع الاعتماد عليه، وهو فقط سلاح وقوة للنوايا العسكرية»** وكتب **«كيلر وى سيلك»** فى صحيفة «ديلى اكسبريس» عن المسلمين **«أنهم متخلفون، وأشرار، وإذا كنت بقولى هذا أعتبر عنصريا إذن فيجب على أن أكون عنصريا وأن أكون سعيدا وفخورا بأنى كذلك»**. وعندما طالب ولى العهد الأمير تشارلز فى خطابه فى ويلتون بارك فى ديسمبر ١٩٩٦ ببناء علاقات بين الإسلام والغرب، انتشرت فى الصحف البريطانية انتقادات صادرة عن **«الإسلاموفوبيا»**، ومنها مقال فى **«ديلى اكسبريس»** على سبيل المثال قال: **«إن اقتراحات الأمير تشارلز يجب رفضها مادام معظم المسلمين البريطانيين يشعرون بإنتمائهم إلى المجتمع المسلم المنتشر على مستوى العالم، ويأتى شعورهم بالإنتماء للمجتمع البريطانى فى المقام الثانى»**.

وكتب **«ستيفن سنبدر»** فى صحيفة **«سبكتاتور»** يقول فى ضوء قضية سلمان رشدى: **«إلى أى مدى يتم تدريس الديمقراطية فى المدارس البريطانية التى تضم أعدادًا كبيرة من المهاجرين؟ .. وقد وجدت نفسى أفكر بطريقة وطنية فيما يتعلق بالمدارس الأمريكية التى يبدأ التلاميذ يومهم فيها بتحية العلم، وأتمنى أن يكون هناك علم للديمقراطية يرمز إلى حرية التعبير ليبدأ التلاميذ يومهم بتحيته فى المدارس البريطانية»** وكان واضحا من سياق المقال أن كلمة **«مهاجر»** يقصد الكاتب بها **«المسلم»** وكان يعبر بمقاله عن اعتقاده بأن الأطفال المسلمين فى بريطانيا متخلفون عن الأطفال الآخرين، ويحتاجون إلى تدريب خاص على الديمقراطية والوطنية.

يقول التقرير: هكذا نرى أن الخطاب البريطانى المعبر عن الإسلاموفوبيا يكون فى بعض الأحيان متسما بالوقاحة، وأحيانا كثيرة يكون لطيفا، ولكن هذا الخطاب عمومًا جزء من نسيج الحياة اليومية فى بريطانيا الحديثة، وهو يشبه الخطاب المعادى للسامية الذى كان سائدًا فى أوائل القرن العشرين، والذين يطالبون بمقاومته أو وضع حد له لديهم - فى عقولهم - نفس التشبيهات التى كانت متداولة فى معاداة السامية، ولذلك فهم لا يستخفون بالصعوبات القائمة أمام محاولات التخفيف من أعراض **«الإسلاموفوبيا»**.

الآثار المتوقعة للأزمة المالية العالمية على الاقتصاد المصرى وكيفية المواجهة (١)

د / حمدى عبد العظيم

تعتبر مصر مندمجة فى الاقتصاد العالمى ومن الطبيعى أن تتأثر بما يحدث فى العالم من متغيرات اقتصادية وسياسية وطبيعية وثقافية وغيرها.

وفيما يتعلق بالأزمة المالية العالمية فقد حدثت آثار مباشرة لها على صعيد البورصة المصرية، كما تشير التوقعات إلى تأثر العديد من القطاعات الأخرى فى الشهور القليلة القادمة فضلا عن آثارها على الأسعار العالمية للغذاء وانعكاس ذلك على المستوى العام للأسعار فى مصر، وعلى معدل النمو الاقتصادى المتوقع خلال العام القادم ٢٠٠٩. ونوضح ذلك كما يلى:-

أولاً: الآثار الاقتصادية المتوقعة:

الأثر على البورصة المصرية:

تأثرت البورصة المصرية بشكل مباشر بما حدث للبورصات الأمريكية والأوروبية والعربية من انهيارات فى الأسعار عقب افتتاحها بعد اجازة عيد الفطر المبارك حيث هبط المؤشر بنسبة تزيد على ١٦,٤٪ ثم توالى الانخفاض بعد ذلك وإن كان بنسب أقل، ثم تأرجحت بين الصعود والهبوط خلال شهر أكتوبر٢٠٠٨ ووفقا لتصريحات المسئولين عن البورصة فقدت البورصة حوالى ٥٥٪ من قيمة الأسهم المتداولة خلال عام ٢٠٠٨ لأول مرة فى التاريخ.

ويرجع ذلك إلى اتجاه العرب والأجانب إلى بيع الأوراق المالية بمعدلات تفوق معدلات الشراء واتجاه المتعاملين المصريين إلى

الشراء ثم البيع فى جلسات التداول اللحظى رغبة فى جنى الأرباح السريعة وعلى الرغم من سماح إدارة البورصة للشركات بشراء أسهمها فى البورصة كأسهم خزينة رغبة فى زيادة الطلب ورفع مستوى الأسعار واستعادة الثقة فى البورصة، إلا أن هناك حالات فساد وتلاعب فى نظام التداول اللحظى تقوم بها بعض شركات السمسرة وتداول الأوراق المالية والتى تتعامل فى اسهم العملاء دون علمهم أو موافقتهم على التعامل اللحظى وعدم الالتزام بالضوابط المحددة بمعرفة هيئة سوق المال وقانون ٩٥ لسنة ١٩٩٢م مثل عدم الالتزام بالشراء فى حدود أربعة أمثال الرصيد، ومثل الإعلان على الشاشة فى البورصة عن شراء حجم معين من أسهم الخزينة وعند التنفيذ لايتحقق ما تم الإعلان عنه بالكامل حيث يندفع الكثير من العملاء للشراء رغبة فى تحقيق بعض المكاسب على أساس أن الشركة سوف تستحوذ على كمية من الأسهم وبالتالى يقل العرض ويرتفع سعر السهم ولكن لا يتم تنفيذ ذلك فى الواقع مما يسهم فى تضليل العملاء والإخلال بقواعد الشفافية وصدق الإفصاح وتحقيق خسائر للمتعاملين الذين قاموا بالشراء اعتمادا على المعلومات غير الحقيقية.

إن ما سبق ينبه إلى أهمية الرقابة على المتعاملين فى سوق المال خلال فترة الأزمة بدرجة أكبر ما تكون عليه قبل حدوثها لحماية البورصة من الانتكاسات التى تحدث عقب كل تحسن يطرأ على المؤشر المعلن (كاس ٣٠).

تحقيق عدالة المنافسة فى أسواق التصدير العالمية يؤدى إلى تحسين معدل التجارة العالمى لمصر وللدول العربية

الأثر على الصادرات المصرية:

تتركز معظم الصادرات المصرية مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبى حيث تتراوح نسبة الصادرات المصرية إلى هذه الدول بين ٦٥٪ - ٧٥٪ فى ضوء الاتفاقيات متعددة الأطراف التى تعطى لمصر معاملات تفضيلية للتصدير إلى أسواق تلك الدول مثل اتفاقية الكويز مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، ومثل اتفاقية المشاركة المصرية الأوروبية والمشاركة الأورومتوسطية ودول الجوار المتوسطى.

ونظرًا لأن الأزمة المالية العالمية أثرت بشكل سلبى على معدلات النمو الاقتصادى فى هذه الدول فمن الطبيعى أن تقلل هذه الدول من وارداتها من جميع دول العالم ومن بينها مصر حيث تشير البيانات إلى أن معدل النمو الاقتصادى فى الولايات المتحدة الأمريكية تراجع بنسبة ٠,٣٪ من الربع الثالث من السنة الحالية مع تحقيق أعلى معدل بطالة خلال شهر سبتمبر ٢٠٠٨. كما تراجع معدل النمو فى الاتحاد الأوروبى بنسبة ٠,٢٥٪ فى نهاية الربع الثالث من العام الجارى عنه نهاية الربع الثانى منه. وانخفض معدل النمو فى المانيا بنسبة ٠,٥٪.

كما تشير التوقعات إلى أن معدل النمو الاقتصادى العالمى لن يتجاوز ١,٣٪ فى العام القادم ونحو صفر فى المائة فى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا واليابان، ولن يتعدى المعدل ٣٪ فى بقية دول العالم باستثناء كل من الصين والهند اللتين يتوقع أن تحققان ١٠٪، ٨٪ على الترتيب.

وبطبيعة الحال فإن هذه المعدلات سوف يكون لها أثر انكماش على التجارة العالمية بصفة عامة وعلى تجارة الدول المتقدمة مع الدول النامية ومنها مصر بصفة خاصة.

الأثر على السياحة فى مصر:

ولا يخفى ما سوف يترتب على تراجع معدلات النمو الاقتصادى المشار إليها فى الدول الصناعية المتقدمة من آثار سلبية على

الحركة السياحية فى مصر نظرًا لأن سياحة الأمريكيين والأوروبيين فى مصر تمثل ما لا يقل عن ٦٠٪ من إجمالى عدد السائحين الوافدين إلى مصر، كما أنهم أكثر السائحين إنفاقًا وقضاء لعدد اكبر من الليالى السياحية والإقامة فى مصر.

وتسهم السياحة حاليا بنسبة ٧٪ من الناتج المحلى الإجمالى وذلك بشكل مباشر ولكن هذه النسبة ترتفع إلى ١١,٣٪ إذا ما أخذنا فى الاعتبار الآثار غير المباشرة للسياحة على الاقتصاد المصرى.

ورغم أن آثار الأزمة العالمية لم تظهر بعد على قطاع السياحة إلا أن المراقبين يتوقعون أن تظهر الآثار السلبية على قطاع السياحة ابتداء من الموسم السياحى الجديد الذى بدأ فى ديسمبر ٢٠٠٨. وقد ظهرت تصريحات لبعض المسئولين عن احتمالات لإلغاء بعض الحجوزات فى الفنادق وتوقع انخفاض نسبة الإشغال فى الفنادق خلال عام ٢٠٠٩ وعدم القدرة على تحقيق المستهدف فى السياحة والطيران المدنى.

الأثر على إيرادات قناة السويس:

تتأثر حركة الملاحة فى قناة السويس بحركة ونشاط التجارة العالمية وسوق النفط الخام، إذ تنشط حركة الملاحة فى القناة فى الشهور التى تشهد رواجًا تجاريا عالميا وارتفاع ملحوظ فى أسعار النفط الخام، ويحدث العكس فى حالات الكساد التجارى العالمى واتجاه اسعار البترول إلى الانخفاض. ونظرا لأن الأزمة المالية العالمية تؤدى إلى كساد حركة التجارة العالمية فضلا عن اتجاه اسعار البترول إلى الانخفاض إلى أقل من ٧٠ دولارا للبرميل مع توقع مزيد من الانخفاض فى أسعاره فى المستقبل إلى ٥٠ دولارا للبرميل فإن حركة الملاحة وإيرادات القناة من المتوقع أن تشهد انخفاضا خلال العام القادم يقدره مسئول بهئية القناة بنحو ٤٪ فقط. بينما تشير بعض التقديرات الأخرى إلى أن خسائر القناة يمكن أن تصل إلى ٥٠٠ مليون دولار أى بنسبة ١٠٪ من اجمالى دخل القناة عام ٢٠٠٩.

وتجدر الإشارة إلى أن إيرادات القناة ورسوم العبور يتم تحديدها على اساس وحدات حقوق السحب الخاصة، وهو ما يعنى عدم وجود فرصة لتأثير تقلبات سعر الصرف على إيرادات القناة فى ظل الأزمة العالمية وما تحدثه من آثار على اسعار العملات الأوروبية مقابل الدولار الأمريكى والين اليابانى، وهى العملات التى تشتمل عليها سلة وحدات حقوق السحب الخاصة، ولولا ذلك لارتفعت قيمة الخسائر عن التقديرات المعلنة.

الأثر على تحويلات العاملين فى الخارج:

يقدر حجم العمالة المصرية فى الخارج بحوالى ٦,٧ مليون عامل بلغت قيمة تحويلاتهم إلى مصر بالنقد الأجنبى حوالى ٦,٥ مليار دولار. وتجىء تحويلات العاملين المصريين فى الولايات المتحدة الأمريكية فى المرتبة الأولى تليها تحويلات العاملين فى المملكة العربية السعودية ثم بقية دول الخليج العربى ثم العاملين فى دول الاتحاد الأوروبى.

ونظرا لانخفاض دخول دول استقبال العمالة المصرية فى الخارج واتجاه اسعار النفط الخام إلى الانخفاض كما سبق الإشارة إلى ذلك فإنه من المتوقع أن تتجه قيمة تحويلات العمالة المصرية فى الخارج إلى الانخفاض خلال عام ٢٠٠٩ نتيجة ما تعانيه دول الاستقبال للعمالة الوافدة من بطالة وركود وانخفاض فى معدلات النمو الاقتصادى ومن ثم عدم قدرتها على زيادة الطلب على تلك العمالة فضلا عن عدم القدرة على زيادة الرواتب والمزايا النقدية واحلال العمالة الوافدة الآسيوية الرخيصة محل العمالة المصرية فى دول الخليج العربى حيث تتقاضى العمالة الآسيوية أجورًا وحوافز أقل من العمالة المصرية فضلا عن القيام بأكثر من عمل بذات الأجر المدفوع.

الأثر على معدل النمو الاقتصادى:

تشير التصريحات الصادرة من وزير التنمية الاقتصادية إلى أن معدل النمو الاقتصادى المتوقع فى العام القادم نتيجة الأزمة المالية العالمية سوف يتراوح بين ٥,٥ - ٦٪ مقابل ٧٪ عام ٢٠٠٨.

ورغم توقعات الانكماش إلا أن معدل التضخم لا يزال مرتفعًا وهو ما يشير إلى أزمة ركود تضخمى يمكن أن يعانى منها الاقتصاد المصرى على غرار ما حدث خلال حقبة السبعينيات من القرن الماضى حيث لاتوجد دلائل تشير إلى احتمالات هبوط الأسعار المحلية فى ظل تواضع نسب الاكتفاء الذاتى لمصر من السلع الغذائية ومن منتجات التكنولوجيا المتقدمة.

وتوضح تصريحات وزير الاستثمار أن معدل النمو حاليا يدور حول ٦٪ فقط رغم أن الهدف المعلن ٧٪، ولذلك يمكننا توقع هبوط المعدل عن ٦٪ فى العام القادم فى ظل تزايد تداعيات الأزمة العالمية يوما بعد يوم، وانتشارها عبر مختلف دول العالم.

الأثر على الاستثمار الأجنبى المباشر:

حققت مصر استثمارات أجنبية مباشرة بلغت قيمتها ١٣,٢مليار دولار عام ٢٠٠٨ طبقا لتصريحات وزير الاستثمار. وفى ظل الأزمة المالية العالمية يتوقع أن تتراجع هذه القيمة خلال السنوات القادمة نظرا لأن

الأزمة المالية العالمية تحتاج استدعاء منهج إدارة الأزمات للتعامل معها حتى لا تتفاقم تداعياتها وتتحول إلى كارثة اقتصادية

الجانب الأكبر من هذه الاستثمارات جاء من دول الاتحاد الأوروبى والولايات المتحدة الأمريكية ثم الدول العربية الخليجية والتى كانت تتجه إلى قطاعات البترول والطاقة والعقارات وشراء شركات قطاع الأعمال المطروحة للخصخصة، ولذلك فقد أعلنت الحكومة المصرية عن تأجيل بعض عمليات برنامج إدارة الأصول المملوكة للدولة فى الوقت الحاضر وتأجيل طرح بنك القاهرة للبيع لمستثمر رئيسى أجنبى فضلاً عن تراجع إقدام المستثمرين العرب عن المضاربة فى سوق العقارات.

الأثر على المعونات الاقتصادية:

نتيجة الأوضاع المالية والاقتصادية السيئة التى تعانى منها الدول الصناعية المتقدمة وهى الدول المانحة للمعونة فإنه من المتوقع أن تعجز هذه الدول عن الاستمرار فى تنفيذ برامجها المخططة لتقديم المعونات الاقتصادية للدول النامية والفقيرة ومن بينها مصر خاصة، وأن الولايات المتحدة الأمريكية أعلنت عن موافقة الكونجرس الأمريكى على تخفيض المعونات المقدمة لمصر بنحو ٢١٠ ملايين دولار خلال عام ٢٠٠٩.

وتجدر الإشارة إلى أن الدول الصناعية المتقدمة تطالب دول الأوبك النفطيةبزيادة معوناتها بحصص كبيرة فى صندوق النقد الدولى حيث طالب جوردون براون دول الخليج العربى بتقديم مساعدات إلى الصندوق لمساعدة الدول النامية المتضررة من الأزمة مشيرًا إلى أن دول الخليج استفادت من ارتفاع اسعار النفط عالميا وأنه يجب توسيع خطة الصندوق التى تبلغ ٢٥٠ مليار دولار لمساعدة الدول المتضررة من الأزمة، وبذلك تتخلى الدول المتقدمة عن التزاماتها بزيادة المعونات الدولية للدول النامية والفقيرة، وهو ما يفرض على مصر ضرورة الاعتماد على الذات بديلاً عن المعونات الأجنبية المشروطة.

حجم خسائر الاقتصاد المصرى من الأزمة العالمية:

صدرت تصريحات عن وزير المالية بأن الحكومة سوف تطلب من مجلس الشعب الموافقة على تحمل الخزانة العامة لأعباء

جديدة ناتجة عن الأزمة قدرها ١٥ مليار جنيه لمواجهة خسائر ناتجة عن تراجع الصادرات والخدمات التصديرية.

ووفقا لتقديرات وزير التنمية الاقتصادية فإن حجم الخسائر التى تلحق بالاقتصاد المصرى تقدر بنحو أربعة مليارات دولار تعادل نحو ٢٥ مليار جنيه.

ولا يخفى أن هذه التقديرات لاتزال تقديرات أولية قابلة لإعادة النظر فى ضوء ما يستجد من تطورات وتداعيات للأزمة العالمية على الاقتصاد المصرى حيث يمكن أن ترتفع التقديرات عن ذلك خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار تكلفة الفرصة البديلة والضائعة نتيجة انخفاض عوائد استثمارات ٩٨٪ من الاحتياطى النقدى الأجنبى لدى البنك المركزى فى الولايات المتحدة الأمريكية فى صورة سندات خزانة أمريكية لاشك أن عوائد استثماراتها اتجهت إلى الانخفاض وإن كانت الخزانة الأمريكية تضمن القيمة الإسمية فقط. وينطبق ذلك على استثمارات البنوك والشركات المصرية فى الولايات المتحدة الأمريكية وفى دول الاتحاد الأوروبى واليابان وجنوب شرق آسيا والتى لم يتم الإعلان عن قيمتها رسميا حتى الآن.

الأثر على قطاع التأمين:

أوضح الأمين العام للاتحاد العربى للتأمين أن الأزمة المالية العالمية سوف تؤدى إلى التأثير سلبيًا على قطاع التأمين فى الوطن العربى بنسبة لاتقل عن ١٥٪ ويخفف من حدة الآثار السلبية على هذا القطاع وجود اتفاقيات بين شركات التأمين المصرية وشركات إعادة التأمين الأجنبية الملتزمة بالتعويض عن أية أضرار تلحق بالشركات تزيد على قيمة الإمكانيات المالية لشركات التأمين المحلية وهو ما لا يتوقع حدوثه.

الأثر على قطاع العقارات:

تباينت الآراء حول مدى تأثر قطاع العقارات فى مصر بالأزمة المالية العالمية حيث يرى البعض أنه لايوجد أى تأثير للأزمة على قطاع العقارات فى مصر باعتبار أن سوق العقارات فى مصر محدود وكذلك التمويل العقارى وأنها مسألة عرض مصنف محلى لا شأن لها بالسوق العالمى. ويرى البعض الآخر أن الأزمة سوف يكون لها تأثير على شريحة الطلب على القصور والفيلات أو الإسكان الفاخر المرتبط بالدخول المرتفعة والذى طالما كان هدفًا لمضاربات المستثمرين العرب فى سوق العقارات المصرى. ومن المتوقع أن تقل المضاربات فى سوق العقارات فى ظل انخفاض سعر البترول ودخول رجال المال والاستثمار العرب فضلاً عن خسائرهم الكبيرة فى بعض البنوك والبورصات الأوروبية والأمريكية والتى تقدرها بعض المصادر بما يتراوح بين ٣٥٠ - ٥٠٠ مليار دولار.

الأثر على الأسعار المحلية:

فى ضوء التوقعات التى توضح اتجاه أسعار السلع الغذائية المستوردة إلى الانخفاض مثل القمح والذرة والفول والعدس وزيت الطعام وغيرها يمكن توقع انخفاض معدل التضخم عن المستوى المرتفع الذى أعلن عنه الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء خلال شهر سبتمبر ٢٠٠٨ والذى أوضح ارتفاع المعدل إلى ٢٢,٢٪ لأول مرة منذ ١٦ عاما ويضاف إلى ما سبق أن اتجاه سعر البترول إلى الانخفاض عالميًا يؤدى إلى انخفاض تكلفة الطاقة المستخدمة فى إنتاج الصناعات الغذائية وتكلفة النقل وتكلفة الانتاج الصناعى بصفة عامة فى الدول الصناعية المتقدمة ومن ثم انعكاس ذلك على أسعار واردات مصر بصورة إيجابية توثر بدورها بشكل إيجابى على الأسعار المحلية بشرط وجود رقابة حكومية فعالة على التجارة الداخلية فى الأسواق المحلية لكى يشعر المستهلك المصرى بأثر انخفاض الأسعار العالمية للسلع الضرورية على أسعار البيع فى السوق المحلى.

المسئولية الاجتماعية عند الشدائد

المستشار/ حسن حسن منصور

المسئولية الاجتماعية من الأهمية بمكان فى حياة الناس، أيّا كان وطنهم أو جنسهم أو دينهم أو انتماؤهم المذهبى، تلك المسئولية التى تتمثل فى تحمل القادرين من أبناء المجتمع لكثير من الأعباء المادية والمعنوية التى تنوء الفئات الأخرى عن احتمالها، ولا سيما فى أوقات الشدائد، التى تمر بها بعض المجتمعات، أيّا كانت أنواع هذه الشدائد، والأساس فى ذلك: هو ما يتميز به الإنسان من خاصية، يعبر عنها علماء الاجتماع بقولهم:

حدد الإسلام للفرد دوراً خلاقاً للمجتمع وبه يمكن تحقيق النفع للناس

إن الإنسان كائن اجتماعى بطبعه، أى أن الله خلقه ليعيش مع غيره فى جماعة، وجعل تعالى النفس الواحدة من أفراده، تعدل كل الأنفس البشرية، مصداقا لقوله تعالى: **﴿أنه من قتل نفسًا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعًا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾** (المائدة: ٣٢).

ومن الكلمات التى تجسد هذه المسئولية الاجتماعية، مجردة عن ثمة اعتبارات غير تقديم يد العون للآخرين، ما جاء على لسان بيل جيتس، وهو من هو فى عالم الحاسب الآلى، عندما زار مصر فى السنوات الأخيرة، ولدى سؤاله عن ثروته، قال: إن ثروتى بسبب المجتمع، وسوف تعود للمجتمع، من خلال تمويل مؤسسات بحث علمى طبى، لعلاج الأوبئة والأمراض المستعصية، وتمويل تطوير التعليم، ولا أعتقد أننى سوف أترك ورائى أموالا لورثتى. وهى كلمات تحتاج لمزيد من نظرة التأمل، من أثرياء العالم، وخاصة من أغنياء المسلمين، بمراعاة الظروف القاسية، التى تكاد تعصف بالعديد من المجتمعات التى ينتمون إليها.

وقد كان الإسلام سباقًا فى تحديد عناصر مسئولية المسلم الاجتماعية فى هذه الحياة، بما وضع له من منهج قويم ينظم حركته فيها، ومن أسس هذا المنهج أن يكون للفرد الدورالخلاق فى المجتمع الذى يعيش فيه، ومن مظاهر ذلك، ما نشير إليه من خلال النقاط الآتية:-

أولاً: تحقيق النفع العام لكل الناس:

من أوجه العظمة فى دين الله الإسلام، أنه جاء بما يزرع النظرة الكريمة للمجتمع فى النفوس، فالرسول العظيم ﷺ يقول فيما رواه الترمذى عن السيدة عائشة رضى الله عنها: **«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى»**، ومن ضيق الأفق أن تقتصر النظرة إلى الأهل على أصول الإنسان وفروعه وزوجه وحدهم، بل إن حقيقة الواقع تفرض أن تمتد

هذه النظرة لتشمل المجتمع كله، باعتبار أن الأسرة هى اللبنة الأولى فيه، وباجتماعها مع غيرها يقوم بنيان هذا المجتمع.

ويؤكد عمومية هذه النظرة، ما رواه القضاعى، فى مسند الشهاب عن جابر رضى الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: **«خير الناس أنفعهم للناس»**، أيّا كان دين أو ملة أو مذهب هؤلاء الناس، المنتفع أو مقدم النفع؛ لأنهم جميعًا عباد الله، وأحبهم إليه أكثرهم نفعًا للناس.

ومن مقتضى الخيرية للأهل، أى المجتمع ككل، أن صاحب الثروة لا يضن بها على أبناء مجتمعه، أيّا كان نوع هذه الثروة - مادية أو معنوية - طالما فى استعمالها ما يعود بالنفع على الجميع، فكما أن صاحب المال ينفقه لتيسير أمور الحياة المادية، فإن صاحب العلم يبذله لمن يطلبه، بقصد الانتفاع به فيما يصلح شأنه فى الدين والدنيا.

إننا فى أيامنا المعاصرة، فى حاجة ماسة لتعميق النظرة الاجتماعية، التى تضمنتها كلمات أحد أغنياء العالم سالفة البيان، فقد ضاقت سبل العيش على كثير من عباد الله، لتغير الزمن والحال، وأصبح من الواجب على الأغنياء تفعيل الوظيفة الاجتماعية للمال، واستخدامه فى الأغراض العامة التى تعود بالخير على أبناء المجتمع، وكنا نتمنى أن نسمع مثل هذه الكلمات من أثرياء العرب والمسلمين المعاصرين، الذين لا تخفى عليهم أحوال معيشة كثير من إخوانهم فى الدين على أية بقعة من أرض الله، ومن فضل الله عليهم أن شريعة الإسلام السمحة قد جاءت بالعديد من الوسائل التى تعين على تحقيق هذه الوظيفة، وعلى رأسها الزكاة بأنواعها وصدقة التطوع والكفارات والوصايا والأوقاف، وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران، ومساعدة الضعيف وإغاثة اللهفان، وغير ذلك من القربات والطاعات الدينية، وما على المسلم إلا أن يقبل على فعلها، وله الجزاء العاجل فى الدنيا من الناس، والجزاء الأوفى من الله تعالى فى الآخرة.

الإفساد فى الأرض من الكبائر التى توجب عدم قبول الدعاء، بل وسائر الطاعات

ثانيًا: الدور الإيجابى فى المجتمع:

قد يكون الرجل ممن يحافظ على الصلاة فى جماعة ويقرأ القرآن الكريم، ولكن على إثر مشاجرة بين جيرانه، إذا طلب منه أهل الخير المشاركة فى الصلح بين المتخاصمين، يرفض الحضور معهم، بحجة البعد عن المنازعات التى تقع بين الجيران، وهو يردد قول الحق تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم....﴾** (المائدة : ١٠٥).

لقد ابتلى الإسلام فى عصور الضعف بأتباع أصابهم القصور فى الفهم، وحصروا هذا الدين العظيم فى ركعات قد تؤدى فى رتابة بلا روح، والحقيقة أنهم لو قرأوا كتاب ربهم، وسنة نبيهم ﷺ بوعى، لتغيرت أحوالهم الراهنة إلى أحسن الأحوال، فقد روى أبو داود والترمذى بسندهما عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم...﴾**، فقال : **«بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعا، وهوى متّبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذى رأى برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، وإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيهن مثل قابض على الجمر، العامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله»** قالوا: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: **«لا، بل أجر خمسين منكم»**.

فالرسول الكريم ﷺ طلب من المؤمن أن يكون إيجابيا فى مجتمعه، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويشارك الناس كل مظاهر حياتهم، ويجب عليه أن يظل كذلك ما دام هناك من يستجيب له، ومما يؤكد هذه الإيجابية أن الرسول ﷺ قد أشار إلى مقام الصبر، الذى يتعين التحلى به عند مباشرة هذا الأمر، والصبر لا يكون إلا فى مواطن الاحتكاك بالآخرين، ومعايشة ظروفهم وأحوالهم، فضلاً عن الأجر العظيم الذى يقابل هذه الإيجابية والصبر عليها، ولا سيما إذا كنا نعلم قدر الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم.

وما أخبر عنه ﷺ من أمور توحى بأن من الخير للمؤمن أن يلتزم نفسه ، فهذا من إعلامات النبوة عما يحدث فى آخر الزمان من أشياء تقتضى ذلك، وهى لم تقع بعد بصورة ملموسة، ولكنها مجرد تأويلات تقوم فى أذهان من تقصر همتهم عن التفاعل مع المجتمع الذى يعيشون فيه.

والفهم الصحيح لموجبات هذه الآية يقضى على السلبية والتواكل فى حياة المسلم، ويجعله نافعًا لنفسه ولمجتمعه، فيكون أداة بناء لا معول هدم، بما تتحقق معه خلافته لله تعالى فى الأرض، التى من أجل عمارتها خلق، ولا يترك ذلك لمن يخالفونه فى عقيدة التوحيد الخالص.

ثالثًا: إقالة عثرات الكرام:

بينما كان رسول الله ﷺ جالسًا مع أصحابه رضوان الله عليهم، إذ دخل الصحابى الجليل جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه، وكان سيدًا فى قومه، فجلس حيث انتهى به المجلس، امتثالاً للهدى النبوى فى هذا المقام، فما كان من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلا أن قدم إليه الوسادة التى كان يجلس عليها، تكريمًا له، لمنزلته الرفيعة، فهو كريم بين قومه.

والكريم فى الناس، لا بد أن يعامل بينهم بما يحفظ له هذه المنزلة، حتى ولو وقعت منه بعض صغائر الأمور، فقد روى النسائى والإمام أحمد عن السيدة عائشة رضى الله عنها، والمرزبان عن جعفر بن محمد، أن رسول الله ﷺ قال: «**ادرءوا** (ادفعوا) **الحدود بالشبهات، وأقيلوا** (أى اتركوا) **الكرام عثراتهم** (أى زلاتهم)، **إلا فى حد من حدود الله تعالى**»، وفى رواية أخرى: «**أقيلوا ذوى الهيئات** (أهل المروءة والخصال الحميدة) **عثراتهم، إلا الحدود**»، وفى رواية ثالثة: «**تجاوزوا لذوى المروءة عن عثراتهم فو الذى نفسى بيده، إن أحدهم ليعثر، وإن يده لفى يد الله تعالى**».

الكريم فى الناس لا بد أن يعامل بينهم بما يحفظ له هذه المنزلة، حتى ولو وقعت منه بعض صغائر الأمور

ولكن يشترط للتجاوز عن هذه العثرات، ألا تصل إلى درجة الجريمة المعاقب عليها بواحد من حدود الله، تلك الحدود التى لا تقبل فيها الشفاعة، وقد استنكرها الرسول صلى الله عليه وسلم من حبه أسامة بن زيد رضى الله عنهما، عندما ألح عليه القوم فى الشفاعة لديه صلى الله عليه وسلم فى المرأة المخزومية التى سرقت، فقال له: «**أتشفع فى حد من حدود الله، يا أسامة؟! ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها**»، وقد قال العلماء: هذه العثرات هى الصغائر التى لا يجوز لولى الأمر التعزير عليها إذا رفعت إليه، ولكن يندب لمن جاءه نادم أقر بموجب حد أن يأمره بستر نفسه ويشير إليه بالكتم كما أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم ماعزًا والغامدية، وكما لم يستفصل من قال: أصبت حدًّا فأقمه على، ويشترط أيضا أن يكون الشخص المتجاوز عن عثراته، من غير من عرف بالأذى

والعناد بين العباد، فلا يقال له عتّار، أى كثير العثرات.

وهذا الوضع معروف فى القانون الوضعى، بنظام وقف تنفيذ العقوبة، فقد أعطت المادة ٥٥ من قانون العقوبات المصرى للقاضى سلطة تقديرية، فى أن يشمل حكمه الصادر بالحبس فى بعض الجرائم البسيطة، التى لا تزيد المدة المحكوم بها على سنة واحدة، بإيقاف تنفيذ هذه العقوبة، لمدة قد تصل إلى ثلاث سنوات، ولو كان هذا الإيقاف شاملا لكافة الآثار الجنائية، إذا رأى القاضى من أخلاق الجانى وظروف الواقعة، أنه لن يعود إلى ارتكابها مرة أخرى، وهذا من باب إقالة عثرته التى وقعت منه، رغم هذه الظروف.

رابعًا: أداء حق المجتمع سبب لقبول الدعاء:

من الملاحظ فى أيامنا المعاصرة، كثرة من يتوجهون إلى الله تعالى بالدعاء، وخاصة فى المناسبات الدينية المختلفة، ومع ذلك فالأحوال التى ندعو الله أن يغيرها إلى الأحسن كما هى، بل قد تتغير إلى العكس، وباستقراء آيات الذكر الحكيم، عثرت على ما يزيل الحيرة الناجمة عن هذا الأمر، وهى فى قول الحق تعالى: **﴿ادعو ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين ● ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفًا وطمعًا إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾** (الأعراف: ٥٥، ٥٦).

فقد طلب رب العزة تعالى من عباده أن يتوجهوا إليه بالدعاء، وهم على حالتى: التضرع والخفية، وأيضًا وهم فى حالتى: الخوف والطمع، وهذه الأحوال خاصة ومتصلة بشخص الداعى ذاته، وقد يقصر الدعاء على نفسه، فلا يستفيد منه الغير، ولكن العظيم الذى يشير إليه القول المحكم هو أن الله تعالى اشترط لقبول هذا الدعاء أن تتحقق مصلحة لغير الداعى، وهى المحافظة على صلاح الأرض، كما أوجدها الله تعالى نافعة لجميع المخلوقات: **﴿ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها﴾**.

ومفهوم المخالفة من هذه الآية، يقتضى القول: بأن من عمد إلى إفساد ما هو صالح فى الأرض، سواء كان صالحًا بطبيعة خلق الله له، أو صالح بتدخل يد الإنسان فيه ، ثم توجه بالدعاء إلى الله، ومنه الصلاة التى هى عماد الدين، فلا ينتظر له قبولاً مهما كانت حاله من التضرع أو الخفية، ومن الخوف أو الطمع؛ لأنه تعالى كما أخبر فى كتابه الكريم: **﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾**.

والإفساد فى الأرض متعدد الصور والأشكال، بما لا يمكن حصره فى أحدها، فهو كما يكون فى أعلى شعب الإيمان، وذلك بالشرك بالخالق تعالى، يكون فى أدناها بعدم إماطة الأذى عن الطريق، ومن عجائب هذا الزمان: أن تجد الرجل يؤدى العبادات المطلوبة منه، ويترك بيته وما يجاوره غير نظيف، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول فيما يرويه الترمذى بسنده عن سعد: **«إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود»**، فلو تحقق مثل هذا الرجل بالإيمان ، لما ترك بيته على هذه الحال، التى تعد إحدى صور الإفساد فى الأرض، التى تمنع من قبول الدعاء.

وليس الدعاء وحده هو الذى لا يقبله الله من المفسد فى الأرض، بل يمتد عدم القبول إلى سائر العبادات؛ لأنه إذا كان الدعاء وهو كما أخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم مخ العبادة لا يقبل من هذا المفسد، فلا يتصور أن يقبل منه ما دون ذلك من سائر الطاعات.

دروس من الهجرة النبوية

فضيلة الشيخ/ محمد عبد المجيد زيدان

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكًا رسولاً﴾ (سورة الإسراء: آية ٩٥) لذا أرسل لهم بشراً رسولا منهم يفهمون عنه ويتلقون منه، بشر بجسمه وإنسانيته، فيه من البشرية حيويتها وقوتها، وفيه من الملائكية عبوديتها لله وطاعتها.

لقد أرسل رسوله بالهدى ودين الحق على رأس الأربعين من عمره وظل بمكة يدعو إلى الحق المبين الذى أرسله الله به ثلاث عشرة سنة كاملة وفى يده برهان من العقل ودليل من الواقع الملموس وحجة دامغة على بطلان عقائد أهل مكة من المشاهد المحسوس وما كانت دعوته ﷺ معقدة حتى يبذل فى سبيلها جهدًا تنوء به أمة، وما كان الحق الذى جاء به خفيّا حتى يحتاج إلى كل وسائل الإقناع، ولكن الموقف كان من المشركين جمودًا على قديم آبائهم وعنادًا لحق يحرمهم من شهواتهم ومن سخيف عاداتهم، قال تعالى: **﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوّا﴾** (سورة النمل: آية ١٤)، وقال جل ذكره لنبيه: **﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾** (سورة الأنعام: آية ٣٣)، وإذا كانت العقبات فى سبيل الدعوة آتية من الجهل وعدم الفهم أو ضعفه كان الإقناع علاجها والتعليم دواءها، أما اذا وقف العناد فى طريق الحق وقامت المكابرة فى سبيل الإصلاح فلن ينفع دليل ولن يفيد برهان.

وليس يصح فى الأذهان شىء..

إذا احتاج النهار إلى دليل.

والمعاند المكابر لا يقبل حجة ولا دليلا ولا يستعين فى رد الحق بحجة أو دليل فيلجأ للتسفيه والذم والاستهزاء والشتم، فإن وجد من صاحب الدعوة إعراض الكريم وصبر الحليم زاده ذلك حقدا فيلجأ إلى الأذى والشر والتنكيل والغدر، وكلما سما الداعى بخلقه تسفل المعاند بحمقه، وهذا يفسر لنا الصراع الطويل والمرير بين رسول الله ﷺ ومن آمن به من جهة والمشركين من جهة أخرى، ذلك لأن الهدى يأتى من تفاعل العقل مع العلم الذى هو محور القرآن الأساسى فى الدعوة فى حين أن الضلال يأتى من تفاعل الهوى مع الظن **﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾** (سورة النجم: آية ٢٣).

لقد اتهموا رسول الله فى عقله فقالوا: ساحر أو مجنون، حوصر هو وأتباعه وعائلته فى شعب

أبى طالب ثلاث سنوات يعانون الحرمان ولا يجدون من الطعام إلا القليل ولم يكن النبى ﷺ والذين معه يخالطون الناس إلا فى الأشهر الحرم حين يفد العرب إلى مكة حاجين، فى هذه الأشهر كان النبى ﷺ ينزل مكة يخالط الناس ويدعوهم إلى الإيمان وقريش ترى الصبر الأبى والإيمان العميق مع ما يتحمله الصحابة من الحرمان والمقاطعة فلا تزداد فى الأذى إلا تماديا حتى ثارت بعض النفوس الطيبة على هذا الوضع غير الإنسانى ووقف زهير ابن أمية ينادى : يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم؟! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. وتصايح أئمة قريش خوفا على العهد الظالم الذى كتبوه بمقاطعة بنى هاشم وتعاهدوا على تنفيذه، ولما أخرجوا العهد من جوف الكعبة راعهم أن الأرضة قد أكلته إلا فاتحته «باسمك اللهم» لقد تحملوا الأذى النفسى والعاطفى، ففى أيام المقاطعة حرم على بنى هاشم رهط النبى ومن معه من الصحابة أن يتزوجوا من قريش وأشياعها أو يزوجوهم، تحملوا سخرية قريش ومن معها - وبلغ الأمر ذروته عندما خرج النبى ﷺ إلى الطائف يستنفر ثقيفا بعد المقاطعة فردته ردّا غير كريم وأغرت به عبيدها وسفاءها يرجمونه بالحجارة حتى دميت قدماه فلجأ إلى ظل شجرة فى بستان ولما اطمأن أخذ يناجى ربه: **«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى، إلى من تكلنى؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك»** نعم إنها بحق حمية الجاهلية وعبادة وثنية وغلظة وجفوة وبغى واستكبار فى الأرض بغير الحق ورسولنا الكريم ﷺ لم يغب عن فطنته شىء من ذلك، بل علمه وأكثر منه، فلم صبر عليهم طوال هذه المدة وهو يرى دعوته تتحرك فى بطء غريب ويرى من آمن به يلقى كل إيذاء وتعذيب؟ إنما مكث فى هذا الجو الخانق ليسجل على المشركين جحودهم وعنادهم وصلفهم البالغ، وليستنفد كل ما لديهم لمعارضته وليسجل للمصلحين من بعده والقادة من أمته كيف يكون الإيمان الكامل بالحق والتفانى فى سبيل الواجب والصبر على المكاره ودفع ضريبة الإصلاح من الجسم والمال والراحة ومن العمر، فما كان الكلام وحده بموصل لحق حتى يتبعه العمل، وما كان القول بمقنع أهل الطغيان حتى يلمسوا أن قائله لا يعبأ فى سبيله بعذاب ولا يحسب لما يصيبه أى حساب، بعد هذا كله لم يبق إلا الانتقال بالدعوة إلى بلد طيب يخرج نباته بإذن ربه وخصوصا بعد أن أعجزت قريش الحيل وحارت فى أمره ﷺ فتآمروا على قتله فأمره ربه بالهجرة ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**﴾ (سورة الأنفال: آية ٣٠).

كانت الهجرة منطلقا للإسلام فى الجزيرة العربية لتكون يثرب قاعدة لنشر دين الله الخاتم

لم تكن الهجرة مجرد ترك مكة إلى المدينة، ذلك لأن الهدف الكبير منها كان البحث عن قاعدة ومنطلق للإسلام فى الجزيرة العربية، ولو كانت

الهجرة إلى المدينة مجرد فرار من مكة أو بحث عن بيئة آمنة - أى أمن - لكان النبى ﷺ من بين المهاجرين إلى الحبشة حيث ملك لا يظلم عنده أحد فهو قد ندب أصحابه إلى ذلك ولم يهاجر بنفسه بينما هاجر حين كانت الهجرة فى داخل الجزيرة العربية حيث نزل الوحى وقام الإسلام، ومن هنا كان لازما أن نفرق بين هجرة الإيواء التى كانت إلى الحبشة وهجرة الانطلاق التى كانت إلى المدينة حيث اتخذ النبى منها قاعدة لنشر الإسلام فى الجزيرة العربية وخارجها. ومن هنا جاء جبريل عليه السلام بالأمر من السماء قائلا للنبى ﷺ : **لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه.** ومن ثم ترك الرسول فراشه، وقال لعلى ابن أبى طالب : **«نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم...»** ثم تجلت آية الله فى حفظ رسوله وحمايته وقت خروجه من بيته والمحاصرون يطوقونه وهو يتلو من أول سور يس إلى قوله تعالى : ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾، (سورة يس : آية ٩)، فلم يبق منهم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، والتقى بصاحبه أبى بكر حسب الاتفاق وانطلقا مستخفين عن أعين المتحفزين لقتله، وفى الطريق إلى غار ثور وقف ﷺ ينظر إلى مكة وهو يقول: **«والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت»**، وفى رواية أخرى: **«ما أطيبك من بلد وأحبك إلىّ ولولا أن قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك»** كلمات تفيض شجنا وأسى تمتزج بالدمع وتقترن باللوعة؛ لأن الوطنية حب وصدق من القلب وتضحية بالعرق والمال والدم، وحب الوطن من الإيمان.

لقد كانت هجرته ﷺ آية من آيات حسن التدبير وإحكام التخطيط والإعداد السليم مع الثقة فى الوقت نفسه فى معية الله سبحانه وتعالى، فلم يشأ الله جل جلاله أن يجعل هجرة رسوله معجزة خالصة فينقله من مكة إلى المدينة فى لحظات كما أسرى به من مكة إلى بيت المقدس وأعاده قبل أن يبرد فراشه، ولكن الله جل شأنه أراد أن يجعلها هجرة بشرية بجهود وأسباب ووسائل بشرية ليعلم الأمة العناية بالأسباب ثم الاعتماد على مسبب الأسباب، ورسولنا لم يقصر فى هجرته فى الأخذ بالأسباب، فقد أخفى موعد الهجرة ولم يعلم به إلا صاحبه أبا بكر وعليّا رضى الله عنهما وعندما ذهب إلى أبى بكر ليعلمه بأمر الهجرة ذهب إليه فى ساعة لم يكن يأتيه فيها - ساعة الظهيرة فى شدة الحر والناس فى بيوتهم للقيلولة ومن عنده - خرج ليلاً ومن فتحة غير مألوفة واتجه إلى جهة غير مألوفة ولم يستمر فى السير طويلاً بل لجأ إلى غار ثور ليحقق مزيدًا من التضليل لقريش، كلف عبد الله بن أبى بكر لينقل إليه ما تقوله قريش فى مكة ليأخذ حذره وكان يأتيه ليلا، وكان ابن فهيرة يسير خلفه بالغنم حتى تزيل الغنم آثار أقدامه، أعد للرحلة دليلا هو عبد الله بن أريقط رغم أنه لم يكن مسلمًا زيادة فى التمويه على قريش وكان محل ثقة النبى ﷺ، كان النبى وصاحبه يسيران ليلا ويتخذان النهار للراحة، فأى تخطيط محكم بعد هذا؟

أما جانب الإعجاز الإلهى الذى بدأ فى دخول الغار، فأولا يتمثل فى ثقة النبى من رعاية ربه له فهذا الغار معروف لقريش وليس له باب ولا عليه حرس ولا جند، يأوى إليه الرسول وهو يعلم أن العرب يقصون الأثر وسيبلغون الغار حتما، فهل هناك وسيلة بشرية يمكن بها دفع الشر ورد المشركين؟ وهل هناك حيلة تنفع أو عمل ينجى؟ إنها الثقة الكاملة فى الله عز وجل ثقة فى نصر سماوى وفتح إلهى ومعجزة ربانية ما دامت لا تغنى وسيلة بشرية ﴿**إلا تنصروه فقد نصره الله إذ**

أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾ (سورة التوبة: آية ٤٠)، وقد كان من جنود الله على باب الغار عنكبوت نسج خيوطه وحمامة باضت وشجرة مال غصنها بمدخل الغار، وعندما أدرك المشركون غار ثور حيث كان النبى ﷺ وصاحبه أبو بكر، قال أبو بكر للنبى ﷺ: لو نظر أحدهم إلى موضع قدميه لرآنا، فيجيبه النبى ﷺ:«**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**». ويرى القرشيون على فم الغار شجرة تدلت فروعها وعنكبوتا وحماما وحَشيّا فينصرفون وتتحطم آمال المشركين فى اقتناص رسول الله ﷺ وثبت جند الله وانهزم جند الشيطان ونجا نبى الإسلام ﴿**حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**﴾ (سورة يوسف: آية١١٠)، ولكن جانبا آخر يحتاج منا إلى وقفة وتأمل... فالنصر الإلهى لم يأت إلا بعد أن بذل الرسول ﷺ ومن معه غاية الجهد فى التنظيم والإعداد وهذا الجانب التنظيمى هو المفتاح الذى يستطيع به الفرد كما تستطيع به الجماعة - أن تلتمس إلى النجاح والتقدم طريقًا، فاختيار هذا الغار دون غيره فى غاية الدقة والتخطيط السليم، وإذا كان الرسول ﷺ من الغار استطاع أن ينظم أمر الاتصال بمكة والحصول على الأخبار والطعام والشراب، فقد كان الشق الآخر من الخطة منظمًا أيضا وهو الاتصال بالمدينة، فالرواحل والدليل سبق إعدادهما وكان الدليل ينتظر الإشارة للاقتراب من الغار ليبدأ الرسول وصاحبه رحلتهما إلى المدينة. وصفوة القول أن تنظيم الهجرة لم يترك أى شىء للصدفة وإنما بذل الرسول غاية الجهد ورتب التفاصيل الدقيقة ثم من وراء ذلك كله تأييد الله ورعايته، فإذا عرفنا أن الهجرة كانت - على الراجح - فى شهر ربيع الأول وكان هذا الشهر فى ذلك العام موافقًا لشهر يوليو استطعنا أن ندرك صعوبة الطريق وشدة الحر واختيار أصعب الأوقات وأصعب المسالك ليكون تأمين الرحلة غاية فى الدقة وحسن التنظيم، وقد استغرقت الرحلة النصف الأول من شهر ربيع الأول وأدرك الرسول ﷺ أطراف المدينة الجنوبية وأسس مسجد قباء ثم دخل المدينة وأسس فيها مسجده واتخذ منها قاعدة لنشر الإسلام.

الهجرة مثال لحسن التدبير وإحكام التخطيط والإعداد السليم مع الثقة فى معية الله سبحانه

إن العبرة المتجددة من الهجرة هى هذا التنظيم الدقيق والإيمان العميق.. الإيمان الذى تجلى فى هجرة الصحابة من موطنهم الأصلى المكى إلى القاعدة الجديدة، كما تجلى فى الإخاء الكريم والإيثار من الأنصار حتى تكونت منهم سبيكة إنسانية استطاعت أن تفعل الكثير من أجل الحق والخير وإشاعة روح من أمر الله يسعد بها الناس وينعمون.

لقد أسست الهجرة مجتمع المدينة تقوده عقيدته وأخلاقه، مجتمعا تطهر من نزوات الطيش والبطش والاستغلال واستقرت فيه الفضائل حتى أشربت بها عقول المسلمين وقلوبهم فكانوا هداة صالحين قادة، بهم تم البناء وفيهم كمل الدين وأصبحت بهم المدينة قاعدة لأمة فاضلة لم تلبث أن عبرت هدايتها إلى الآفاق فى كل اتجاه.

إن ثبات صاحب الهجرة ﷺ وبقاءه فى مكة

ثلاثة عشر عاما فى وسط أعدائه وصبره على ما لقيه منهم وحميته وتمسكه فى نشر رسالته لدليل قاطع على أنه ﷺ كان وراءه يقين فى قلبه وعقيدة صادقة لتحرير الإنسانية من الظلم والهوان، فقد خاض معركة الحياة الصحيحة فى وجه الهمجية الجاهلية مصرّا على تبليغ رسالته التى أسس بها أمة هى خير أمة أخرجت للناس وأقام دينا خالدا يدعو إلى الإيمان بالله وحده وترقية عقول البشر بإشرابها الأصول الأولية للأخلاق الفاضلة **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»** ، يقول الكونت كاتيانى فى كتابه «تاريخ الإسلام»: «**أليس الرسول محمد جديرًا بأن تقدم سيرته للعالم حتى لا يطمسها الحاقدون عليه وعلى دعوته التى جاء بها لينشر فى العالم الحب والسلام؟**».

إن الهجرة لنصرة الحق وسيلة من وسائل النصر وسبيل الفوز والفلاح. نعم إن الهجرة من مكة إلى المدينة انتهت بفتح مكة ومدح الله المهاجرين والأنصار، ولكن الهجرة من ديار الظلم والاستعباد لتحطيم البغى والاستبداد ما زالت باقية يأمر بها الله ولا يغفر لتاركيها ولا يقبل عذرهم فى إهمالها **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾** (سورة النساء: آية ٩٧)، وبين أن الخوف من خطر الهجرة لا يتفق مع الإيمان فقال: **﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾** (سورة النساء: آية ١٠٠)، وهناك جوانب من هجرة الرسول ﷺ علمنا إياها فى حديثه الشريف فقال: **«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»** ومن هنا تأتى العبرة المتجددة من الهجرة: تركًا لما هو أدنى وطلبًا لما هو أعلى وإشاعة للخير وبذلا دائبا للجهد من أجل حياة أفضل وقربة إلى الله واتباعًا لمنهج نبيه، فحقيقة الهجرة تحصل لمن هجر ما نهى الله عنه، فليست الهجرة هجر المجتمع وترك الأعمال والنزوح إلى الصحراء بدعوى الفرار من الفتن فليست هذه هجرة؛ لأن رسالة الإسلام العلم والعمل والمعرفة والإعلام لا سيما من أهل الاختصاص **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** (سورة آل عمران: ١٠٤)

أجل كانت الهجرة النبوية وستظل موردًا عذبًا تقدم الدروس والحلول للمستجدات والإبانة عن المستحدثات التى لها اتصال بالحياة العملية وستظل معلما يهتدى به فى الإبانة عن حقيقة الإسلام، فهى بحق غيرت وجه التاريخ ومحت آثار الظلم والجبروت، ولكى تستفيد أمتنا من ذكريات أمجاد الهجرة لابد لها من أن تصنع لنفسها مسلكا آخر تواجه به ذكريات الأمجاد، وعلينا أن نسأل أنفسنا فى صراحة وصدق: ماذا علينا أن نفعل ونحن فى رحاب ذكرى الهجرة؟ نحن مطالبون بعمل نقدمه إن كنا أمة حريصة على استعادة قوتها وكرامتها، فالإيمان عطاء وبذل، فما أحرانا أن نأخذ من الهجرة عبرتى التنظيم والإيمان وأن تسرى روح الهجرة فى حياة الفرد وفى كل مشروع. إننا إذا نقلنا هذه الروح إلى حياتنا وعمقنا مسيرها فى نفوسنا وحولناها إلى تطبيق عملى... كنا حقّا قد احتفلنا بالهجرة واستفدنا منها فى تجديد رسالة الإسلام وتحديد معالم الطريق حتى تكون الأمة الإسلامية كما أرادها الله هى حاملة اللواء وقائدة العالم إلى كل خير وفلاح **﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله...﴾**

وما ذلك على الله بعزيز. نسأل الله عز وجل أن يعيد علينا الأعياد ونحن أكثر اقترابا من أهدافنا. والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الهجرة جزء من حركة الدعوة

د / سالم عبد الجليل

مع مطلع العام الهجرى الجديد من كل عام يعيش المسلمون أجواء إيمانية عالية، يتذكرون خلالها جهاد النبى الكريم ﷺ وصحبه الكرام، وصبرهم الجميل على أذى قومهم، وتضحيتهم بالغالى والنفيس. بالأهل والمال والوطن. من أجل هذا الدين.

لقد كان بوسع النبى ﷺ أن يعيش فى مكة ملكًا مطاعًا، وأميرًا مهابًا لا يُقطع أمر دونه بشرط أن يتخلى عن الدعوة المباركة، لكنه أبى إلا أن يكون عبداً لله يبلغ كلمته.

بل لقد كان بوسعه ﷺ أن يعيش بإسلامه فى خاصة نفسه، دون أن يتعرض له أحد بسوء، لكنه رفض إلا أن يبلغ دعوة ربه، وتلك هى الغاية من بعثته.

عموم الرسالة وشمولها لمرافق الحياة البشرية:

لقد خص الله تعالى رسوله محمدا ﷺ وحده بأن يكون رسولا إلى كافة الناس، وجعله خاتم النبيين، ورحمة للعالمين.

وقد صرح القرآن الحكيم بهذا، فقال تعالى مخاطبا له: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ (سورة الأعراف: ١٥٨). وقال له رب العزة أيضا: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة: سبأ ٢٨).

وامتازت الرسالة التى أرسل بها سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ بعموميتها إلى كافة الثقلين، وشمولها لجميع مرافق الحياة البشرية؛ فى حين كانت كل الدعوات السابقة عليه: بيئية، محلية، محدودة، مصدقة، ومكملة، وممهدة.

كما أن فى الإسلام ظاهرة يمتاز بها على غيره من الأديان التى تموج أقطار الأرض بأتباعها، فأهل الديانات الأخرى ينحصر معنى الدين عندهم فى العقيدة والعبادة، فإذا ضُمنتا لهم فى أى نظام من أنظمة الحكم اكتفوا بهما، وأذعنوا لذلك النظام مهما كان، ولا يعرفون دينهم إلا ساعة الاجتماع فى المعابد.

أما الإسلام فكما أنه دين عقيدة وعبادة - فإنه يشمل أيضًا الآداب فى المنازل والمجتمعات، والتعاون بين الأفراد والجماعات، ويتناول العقود والمصالح والالتزامات، وتتسع دائرته فتحيط بنظام الحكم كله .

الهجرة حتمية ودائمة :

لقد عرف رسول الله ﷺ منذ أول يوم جاءه الوحى أنه سيهاجر، وسيخرج من مكة المكرمة، إذ لما ذهبت خديجة رضى الله عنها إلى ورقة بن نوفل، فأخبره رسول الله ﷺ بما قد رآه، قال له ورقة: «ليتنى أكون حيّا إذ يخرجك قومك». صحيح البخارى .

ولهذا أدرك النبى ﷺ منذ أول يوم أوحى إليه فيه أنه سيُخرج من بلده، وأن الهجرة لا تختص بفئة معينة من المؤمنين فى زمن معلوم يأتى عليه زمن آخر فتنسخ، بل إنها دائمة ما دام الباطل والحق والباطل وما دام الكفر والإسلام، ولهذا قال النبى ﷺ: **«لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها»** أخرجه أحمد فى المسند بسند صحيح.

ولم يكن وعد الله سبحانه بتعظيم أمر الهجرة وثواب المهاجر فى سبيله إلا بسبب ما يحتمل المهاجر من عناء ومشقة وشدائد ومكابدة الأخطار، لذلك قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ • لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾** سورة الحج: ٥٨، ٥٩.

وقد أوجب الله عز وجل الهجرة على كل مؤمن؛ لتكثير سواد المسلمين، ولنصرة النبى ﷺ ومواساته بالنفس والنفيس، إذ كانت الدولة الإسلامية الناشئة فى المدينة بحاجة إلى المهاجرين من المؤمنين؛ ليتوطد سلطان الإسلام فيها، حيث يتربص به اليهود والمنافقون، وتحيط به قوى الأعراب المشركين من حول المدينة،

لا يمكن للمسلمين أن يكون لهم وجود فعلى إلا إذا صبغ الإسلام جميع مرافق حياتهم وساد نظامه أرضهم

ويترصده كفار قريش الذين أقضت الهجرة مضاجعهم، فمضوا يخططون ويعملون للإجهاز على كيان الإسلام الفتى؛ لذلك تتابعت الآيات فى الأمر بالهجرة وبيان فضلها وعظيم أجرها، حتى وعد الله المهاجرين فى سبيله بتمكينهم من مراغمة أعدائهم، والتوسعة عليهم فى أرزاقهم بقوله سبحانه: **﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِى الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** سورة النساء: ١٠٠.

ولقد ظل شرط الهجرة قائمًا حتى فتح مكة، حين دانت أرض العرب للإسلام وقيادته، وانتظم للناس فى مجتمعه، فلا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد وعمل.

الوعيد الشديد لمن تباطأ عن الهجرة :

إن الحكمة الأساس من الهجرة هى أن رسالة الإسلام جاءت لتنظم شئون الناس فى شتى مجالات الحياة، فهى دستور ومنهج شامل لا بد لتطبيقه من أمة وأرض تقام فيها أحكام الشريعة، والمسلمون لا يمكن أن يكون لهم وجود فعلى إلا إذا صبغ الإسلام جميع مرافق حياتهم، وساد نظامه أرضهم، وقامت فيها أحكامه وآدابه، كما تقوم فيها شعائره، وتسود فيها عقائده.

لذا جاء الوعيد شديدًا فيمن تباطأ وتثاقل عن الهجرة والجهاد فى سبيل الله، وآثر متاع الدنيا على التضحية فى سبيل الله، فى مثل قوله تعالى: **﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِىَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾** سورة التوبة: ٢٤.

فما من أحد يترك الهجرة، إلا وهو يتعذر بشىء من هذه الثمانية، وقد سدّ الله على الناس باب الاعتذار بها، وجعل مَن ترك الهجرة لأجلها أو لأجل واحد منها فاسقًا .

وحسمًا لأمر الهجرة وجعله فرض عين؛ قطع الله عز وجل الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر، وذلك فى قوله تعالى: **﴿فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** سورة النساء: ٨٩. وفى قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾** سورة الأنفال: ٧٢. والذين دخلوا فى هذا الدين عقيدة، لكن لم ينضموا إلى المجتمع الذى يقوم على هذه العقيدة، ولم يلتحقوا به فعلاً، لا يعدّون أعضاءً فى المجتمع المسلم، ولذا: لم يجعل الله عز وجل بينهم وبينه ولاية وتناصراً بمعناه الأعم، ولما كانت الهجرة بهذه المنزلة، وجب على كل من أسلم أن ينتقل إلى مهاجر رسول الله ﷺ بالمدينة، إلا من استثنى من أهل الأعذار من الأطفال والنساء والشيوخ.

قال القاضى عياض: «واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم، وأن سكنى المدينة كان واجبًا؛ لنصرة النبى ومواساته بالنفس» (فتح البارى) ، ج٧، ص ٢٦٧

حرمة الإقامة فى مكة قبل الفتح:

إن الإقامة بعد ذلك فى مكة كانت حرامًا على من هاجر منها قبل الفتح؛ وعن شأن هؤلاء روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه فى قصة أصحاب بدر: أن أناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ، يأتى السهم فيُرمى به، فيصيب أحدهم فيقتله، أو يُضرب فيقتل، فأنزل الله عز وجل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ سورة النساء: ٩٧.**

ولما كان الإسلام دين يسر، ومن مبادئه وأحكامه أن تقدر الضرورات بقدرها، وأن يعذر أهلها، كان تمام الآيات السالفة قول الله عز وجل: **﴿إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً • فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾** سورة النساء: ٩٨، ٩٩.

ولقد رثى النبى ﷺ لسعد بن خولة أن مات بمكة، ففى صحيح البخارى عن سَعْد ابْن أَبِى وَقَّاص رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُنِى عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِى، فَقُلْتُ: إِنِّى قَدْ بَلَغَ بِى مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِى إِلاَّ ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَىْ مَالِى؟ قَالَ: «لاَ». فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ، فَقَالَ «لاَ» ثُمَّ قَالَ «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِى بِهَا وَجْهَ الله إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِى فِىّ امْرَأَتِكَ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِى، قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلاً صَالِحًا إِلاَّ ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لأَصْحَابِى هِجْرَتَهُمْ، وَلاَ تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ، يَرْثِى لَهُ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ» وسعد بن خولة كان قد هاجر وعاد إلى مكة عام حجة الوداع وتوفى بها، فرثاه النبى ﷺ.

لم تكن الهجرة فرارًا :

يحلو للبعض أن يصف الهجرة بالفرار، ويستدل على ذلك بالمكيدة التى دبرها المشركون لقتله ﷺ، قال تعالى: **﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** سورة الأنفال: ٣٠، وهذا صحيح فيما يتعلق بالزمان فقط، أما ما عداه فلا .

الهجرة ليست مجرد مرحلة تاريخية انقضت ولكنها صفحة من صفحات السيرة المضيئة

فلقد سبق القول بأن رسول الله ﷺ عرف منذ أول يوم جاءه الوحى، أنه سيهاجر، وسيخرج من مكة المكرمة، إذ لما ذهبت خديجة رضى الله عنها إلى ورقة ابن نوفل، فأخبره رسول الله ﷺ بما قد **رآه، قال له ورقة: يَا لَيْتَنِى أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلا عُودِى، وَإِنْ يُدْرِكْنِى يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا».** صحيح البخارى .

إن الحكمة الأساس من الهجرة هى أن رسالة الإسلام جاءت لتنظم شئون الناس فى شتى مجالات الحياة، فهى دستور ومنهج شامل لا بد لتطبيقه من أمة وأرض تقام فيها أحكام الشريعة، والمسلمون لا يمكن أن يكون لهم وجود فعلى إلا إذا صبغ الإسلام جميع مرافق حياتهم، وساد نظامه أرضهم، وقامت فيها أحكامه وآدابه، كما تقوم فيها شعائره، وتسود فيها عقائده.

فلما تعذر على المسلمين فى مكة تطبيق أحكام دينهم، وإقامة نظامه الاجتماعى والاقتصادى وآدابه الخلقية فى بلدهم، وجب عليهم الانتقال إلى بلد آخر يستطيعون فيه إقامة الدين ويعملون فيه بأحكام الإسلام وآدابه.

ولهذا لجأ النبى ﷺ إلى الطائف بعد أن يئس من إسلام قومه ولم يكن خروجه عندئذ خوفًا أو هروبًا؛ فلما لم يجد استجابة من أهل الطائف عاد يعرض نفسه على قبائل العرب فى موسم الحج، ويقول: من يحملنى إلى قومه فأبلغ دعوة ربى.

فهذا هو الهدف: تبليغ الدعوة بمعناه الواسع وليس الفرار .

والنصوص القرآنية التى وردت بصدد الهجرة ما كانت تعالج أمر الهجرة فى تلك المرحلة من الزمن فحسب، ولكنها تعالج حالة قائمة فى أمر الدعوة، ولو كانت الهجرة فرارًا لاختلفت طريقة المعالجة القرآنية، وهذا ما يفسر نزول الآيات الأشهر فى الهجرة بعد حصولها بتسع سنين ولم تنزل فى ذات الشهر أو حتى العام الذى حصلت فيه، وهذه الآيات من سورة التوبة وقد نزلت فى العام التاسع للهجرة جملة واحدة. قال تعالى: **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** سورة التوبة: ٤٠.

والسُّنة كذلك تحدثت عن الهجرة كمرحلة من مراحل الدعوة التى لا تنقطع، فعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنما ستكون هجرة بعد هجرة»** أخرجه أبو داود فى سننه وأحمد فى المسند، وفى حديث آخر: **«لا تنقطع الهجرة ما كان الجهاد»** أخرجه أحمد فى المسند، والجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة كما جاء فى حديث أبى داود: **«والجهاد ماضٍ منذ بعثنى الله إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال»**.

إن الهجرة ليست مرحلة تاريخية انتهت بمضى وقتها وأهلها، وأصبحت مَعْلَمًا وصفحة من صفحات التاريخ فحسب، وإنما هى صفحة من صفحات السيرة المضيئة التى خلّدها القرآن والسنة، وستظل جزءًا من حركة الدعوة إلى الله تعالى.

المهاجر لبنة فى المجتمع الجديد :

نعم، فالمجتمع الجديد يحتاج لكل مسلم، ولم يكن يسع المسلم عندئذ إلا أن يهاجر، وقد غفل عن هذا بعض المسلمين على عهد رسول الله ﷺ، فلبثوا فى وطنهم (مكة) مستضعفين فيها، لا يستطيعون إعلاء كلمة الله لغلبة الباطل يومئذ على الحق، ولا يهاجرون منها إلى المدينة فيقوى بهم الإسلام، فنزل فيهم قول الله عز وجل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** سورة النساء :٩٧.

وفى تفسير قوله تعالى: **﴿فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُم**

بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً • وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ سورة النساء: ٨٨، ٨٩، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: نزلت فى قوم كانوا قد تكلموا بالإسلام، وكانوا يظاهرون المشركين، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم، فقالوا: إن لقينا أصحاب محمد فليس علينا منهم بأس، وإن المؤمنين لما أخبروا أنهم قد خرجوا من مكة، قالت فئة من المؤمنين: اركبوا إلى الجبناء فاقتلوهم فإنهم يظاهرون عليكم عدوكم، وقالت فئة أخرى: سبحان الله ! أو كما قالوا - اتقتلون قومًا قد تكلموا بمثل ما تكلمتم به من أجل أنهم لم يهاجروا ولم يتركوا ديارهم، نستحل دماءهم وأموالهم ؟ !، فكانوا كذلك فئتين، والرسول عندهم لا ينهى واحدًا من الفريقين عن شىء، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾... الآية (تفسير ابن كثير، ج١، ص ٥٣٢).

هجر المعاصى أفضل الهجرة :

إن الإسلام لا يكتفى من أهله بالصلاة والصوم فحسب، بل يريد منهم - مع ذلك - أن يقيموا أنظمته وآدابه فى بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجامعهم ودواوين حكمهم، وأن يتوسلوا بجميع الوسائل الممكنة لتحقيق هذا الغرض الواجب.

كما ينبغى أن نعلم أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأنه تكاليف وتبعات، وأنه إقرار وامتثال وطاعة، وإذ هو كذلك؛ كان لزامًا أن ينعكس أثره على اللسان

الهجرة لم تكن فراراً إذ لو كانت فراراً لاختلفت طريقة المعالجة القرآنية لهذا الحدث العظيم

والقلب والجوارح، علمًا، وعملاً، وسلوكًا. روى مسلم فى صحيحه عن أبى عثمان النهدى أن مجاشع بن مسعود السُّلمى قال: جئت بأخى (أبى سعد) إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت: يا رسول الله ! بايعه على الهجرة، فقال ﷺ: **«قد مضت الهجرة بأهلها»** قال مجاشع: فبأى شىء تبايعه؟ قال: **«على الإسلام، والجهاد، والخير»**.

قال أبو عثمان النهدي: فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع، فقال: صدق.

وفى كتب السُنن أن النبى ﷺ قال : **«المهاجر من هجر السيئات»**.

وقيل لرسول الله ﷺ: ما أفضل الهجرة ؟ قال: **«من هجر ما حرم الله»**.

وفى مسند الإمام أحمد أن النبى ﷺ قال فى حجة الوداع: **«ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم. والمسلم ؟ من سلم الناس من لسانه ويده. والمجاهد ؟ من جاهد نفسه فى طاعة الله. والمهاجر ؟ من هجر الخطايا والذنوب»**.

فإلى هجر الخطايا والذنوب فى أعمالنا، وأخلاقنا وتصرفاتنا .

وإلى هجر ما يخالف أنظمة الإسلام فى بيوتنا، وما نقوم به من أعمالنا .

وإلى هجر الضعف والعطالة والإهمال والسرف والكذب والرياء ووضع الأشياء فى غير مواضعها .

وإلى هجر الأنانية والصغائر والسفاسف مما أراد نبى الرحمة أن يطهر منه نفوس أمته حتى تكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها .

بهذا، وبهذا وحده نحيى ذكرى الهجرة الشريفة، ونحقق مقاصدها، ونستمطر رحمة الله على بيوتنا، وأوطاننا .

خطوات نسائية على طريق الهجرة (١)

الهجرة المباركة لم تكن مجرد انتقال من وطن الى وطن آخر، ولكنها بكل المقاييس حدث تاريخى كبير، أثر فى كل الوجود حوله، ومازال أثره يمتد إلى اليوم رغم مرور أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان، وامتداده فى المد الإسلامى الكبير الذى يجتاح العالم اليوم فى صحوة مباركة مثل الهجرة المباركة التى مهدت لقيام الدولة الإسلامية فى يثرب - المدينة المنورة -، وقد كانت الهجرة عميقة الأثر فى النفوس، كأسمى تجربة إنسانية - مرت بها الإنسانية - عنيفة، بالغة الثمن، لا يقدم عليها، ولا يقدر على احتمالها غير مؤمن أحب الله تعالى ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أكثر من حبه لنفسه، وقد برز فى الهجرة المباركة أسماء كثيرة كان لها دور بارز إلا أننا إذا أعملنا الفكر فى الأحداث بعمق، تبين لنا أن النساء كان لهن دور أكثر من بارز فى أخطر أحداث التاريخ الإسلامى، بل كان لهن حلقات متصلة من البطولة والشجاعة والفداء والحكمة والعقل قد يعجز بعض الرجال عن مثلها، وإذا كان التاريخ قد ظلم الكثيرين ومنهم بعض النساء اللاتى ساعدن فى الحدث الكبير الشامخ، فلعلنا نقترب بهذه الصفحات من التاريخ ونستأذنه - رغم أنفه - فى رد بعض الظلم الذى وقع عليهن ٠

حلمى الخولى

الخطوة الأولى: (التدريب على الهجرة)

آمنة بنت وهب

• أول النساء اللاتى شاركن فى هذا الحدث الكبير، السيدة «آمنة بنت وهب» أم النبى ﷺ، فقد اصطحبته وهو فى سن السادسة من عمره إلى - يثرب - فى رحلة ذهاب، وعودة، وكان الهدف من الزيارة هو التعرف على أخوال جده من بنى النجار، وزيارة قبر أبيه فى - يثرب - وكل شىء كان يمر بالنبى ﷺ ويحدث له، إنما كان إعداد من الله له ليتحمل فيما بعد مهام أسمى رسالة إلى البشر، وبهذه الرحلة التى اصطحبته فيها أمه يكون النبى ﷺ قد عرف طريق يثرب وهو فى سن مبكرة، وكأن الله - سبحانه وتعالى - كان يعده إعدادا عمليا، وتمهيدا لرحلة أخرى سوف تأتى بعد هذه الرحلة التدريبية التمهيدية بسنوات.

• وبعدما أمضى النبى ﷺ - مع أمه - شهرا فى يثرب - بدأت رحلة العودة مرحلة أخرى إلى مكة، فرحل مع أمه وحاضنته أم أيمن - فى رحلة العودة، وعلى الطريق بين مكة ويثرب مرضت الأم، وتوفيت، ودفنت فى «الأبواء» مكان يبعد عن المدينة نحو أربعين كيلو مترا ٠ وهكذا أودع المصطفى ﷺ أعز إنسانة لديه بين ربوع تلك الأرض القريبة من يثرب حيث أودع أبوه من قبل فى المدينة.

• وكان المصطفى ﷺ يقص على صحابته الكرام حديث هذه الرحلة الأولى إلى المدينة مع أمه حديث محب للمدينة، وحديث محزون لما تحوى القبور من أهل أعزاء لديه، وظل لهذه الرحلة أثر كامن فى نفسه ﷺ حتى بعد هجرته، فعندما وصل هو وصحبه إلى يثرب بدأ الأنصار يناقشون أين ينزل المصطفى ﷺ، فحسم الأمر بقوله: أنزل على أخوال جدى «كأثر باق لتلك الرحلة البعيدة، التى كان شرف التدريب العملى عليها للسيدة

العظيمة"«آمنة بنت وهب» وتكون من النساء اللاتى شاركن فى الهجرة بطريقة غير مباشرة وذلك بالتدريب عليها وإن كان قبلها بسنوات، وأثر تلك الرحلة عاطفيا ونفسيا على النبى ﷺ ليظل ذلك الأثر ممتدا حتى يأذن الله بما مهد له.

الخطوة الثانية: (التمهيد للهجرة)
نسيبة بنت كعب المازنية، وأم منيع أسماء بنت عمرو السلمية:

• بُعث النبى ﷺ فى مكة، وأخذ يدعو قومه، فأسلم منهم قليل، وبسطت قريش أيديها وألسنتها بالسوء، فأخذ النبى ﷺ يعرض نفسه على القبائل عله يجد من بينها ناصرا، فلم يجد منها جميعًا أذنا صاغية ولا قلبا واعيا حتى لقى فى موسم الحج نفرا من الخزرج فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فصدقوه وآمنوا به، وقالوا: إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك، ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين فإن يجمعهم الله إليه، فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ وقد بايعوه.

• فلما عادوا إلى المدينة أذاعوا بها الإسلام فأجاب داعيتهم خلق كثير، حتى إذا كان موسم الحج من قابل ذلك العام خرج من المدينة ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان إلى رسول الله ﷺ ليبايعوه ويأتوه عهدهم وذمامهم بأن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم، فتوافدوا جميعا إلى العقبة إخفاء لأمرهم، وبايعوا النبى ﷺ بيعة العقبة الثانية التى كانت النواة الأولى فى لبنة الدولة الإسلامية ٠٠ وما يهمنا من أمر هذه البيعة هو ما كان من أمر المرأتين وهما:

(أ) نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف من مبذول بن عمرو من بنى النجار، وتكنى «أم عمارة الأنصارية»، وهى زوج زيد بن عاصم الصحابى الجليل، وكانت بطلة مجاهدة من أبطال الإسلام ويحفظ لها التاريخ وقفتها يوم أحد وهى تقاتل دون النبى ﷺ حتى قال: «**ما التفت يمينا وشمالا إلا وأنا أراها تقاتل دونى**» وقد جرحت ثلاثة عشر جرحا والدم ينزف منها، فنادى المصطفى ﷺ لابنها عمارة قائلا: **أمك أمك، أعصب جرحها، بارك الله عليكم من أهل بيت، مقام أمك خير من مقام فلان وفلان»،** فلما سمعت أمه قالت: ادع الله أن نرافقك فى الجنة فقال: «**اللهم اجعلهم رفقائى فى الجنة»،** فقالت: ما أبالى ما أصابنى فى الدنيا.

ويحدث التاريخ عن موقفها فى حروب الردة ومقاتلة ـ مسيلمة الكذاب ـ الذى قتل ابنها خبيب وقطعه قطعا، وشاركت فى الحرب كأحد الأبطال الميامين حتى قطعت يدها، فهذه المرأة وما اتصفت به من صفات تفوق الخيال كانت أول المبايعات للنبى ﷺ، وامرأة بمثل هذه القوة والشجاعة لا بد وأن يكون لها فى قومها رأى ومكانة، ولا بد وأن يكون لها تأثير على نساء قومها الذين عرفوا فيما بعد بالأنصار.

(ب) أم منيع: أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى بن سواد بن سلمة، وتعرف بأم منيع الأنصارية، وهى أم معاذ بن جبل، أحد الأئمة المعدودين من أصحاب النبى ﷺ، أسلمت حين تنفس صبح الإسلام بالمدينة المنورة، قبل بيعة العقبة الثانية، وجاءت مع وفد البيعة وكانت من أتم القوم عقلا، وأحكمهم رأيا، ومن المشاركات فى الجهاد فى غزوة «خيبر».

• ولم يكن اختيار الله تعالى لهاتين المرأتين اختيارا عشوائيا، بل كان اختيارا إلهيا محكما، فكانت المرأتان مثالا فى قومهما للرأى والحكمة والعقل والشجاعة، ولا بد وأن يكون لذلك تأثير على من سواهما من نساء يثرب، فقامتا مع الرجال بتعبئة الجو العام اليثربى وتهيئته للإسلام حتى كانت الهجرة فكان المجتمع اليثربى مستعدا لتكوين وتشييد وإقامة الدولة الإسلامية التى تكونت نواتها الأولى ببيعة العقبة٠

الخطوة الثالثة: (طليعة الهجرة)
ليلى بنت أبى حثمة العدوية

• هى ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن كعب بن لؤى القرشية العدوية، زوج عامر بن ربيعة العنبرى، قبل مبعث النبى ﷺ كان زوجها مهيأ نفسيا لرؤية النبى ﷺ والإيمان بدينه، وذلك لأن زيد بن عمرو بن نفيل قال لعامر زوجها: أنا أنتظر

نبيا من ولد إسماعيل ثم من بنى عبد المطلب، ولا أرانى أدركه، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبى فإن طالت بك مدة - ياعامر - ورأيته فأقرئه منى السلام ·وكذلك كانت ليلى مهيأة لقبول الدين الجديد، لأن زوجها كان يردد كثيرا قول زيد بن عمرو بن نفيل،

• فلما سرى فى مكة أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الله الواحد الأحد أقبل عامر وليلى وأسلما، وكانا فى طليعة المهاجرين إلى الحبشة لما اشتد أذى قريش وقال لهم النبى ﷺ: **«اخرجوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق»** وتقول ليلى: كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا فى إسلامنا، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة، جاءنى عمر وأنا على بعيرى نريد أن نتوجه، فقال: أين يا أم عبد الله - وهى أم عبد الله بن عامر وبه كانت تكنى - فقلت: آذيتمونا فى ديننا، فنذهب فى أرض الله حيث لا نؤذى فى عبادة الله، فقال: صحبكم الله، ثم ذهب فجاءنى زوجى عامر بن ربيعة، فأخبرته بما رأيت من رقة عمر، فقال: ترجين أن يسلم - فقلت نعم - «وهاجرت هى وزوجها إلى الحبشة، ولما علم المهاجرون بإسلام عمر عادوا أملا فى أن يكون فيه المنعة والحماية، فلما اشتد أذى الكفار، هاجرت ليلى وزوجها مرة أخرى، ولما علم المهاجرون باتفاق بيعة العقبة بين الرسول ﷺ مع الأوس والخزرج على أن يمنعوه فيما يمنعون منه نساءهم فعاد كثير من مهاجرى الحبشة منهم «ليلى» وزوجها «عامر» فأذن النبى ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى يثرب، وقال: **«من أراد أن يخرج فليخرج إليها»** وكانت «ليلى بنت أبى حثمة، هى أول امرأة هاجرت إلى المدينة، فقد كان أول المهاجرين - أبو سلمة، ثم تبعه «عامر بن ربيعة» وزوجه «ليلى» وتعد أول ظعينة تهاجر إلى المدينة، ويظن الكثيرون أن أول مهاجرة كانت أم سلمة ولكنها كانت «ليلى» وليست - أم سلمة - كما سيتضح من عرضنا لأم سلمة فيما بعد.

• ولم تكن هجرة «ليلى بنت أبى حثمة» إلى يثرب - المدينة - مجرد انتقال من مكان إلى مكان ولكن كان لها دور إيجابى هى وباقى المهاجرات والمهاجرين فى توطيد دعائم الدين الإسلامى فى قلوب اليثربيين، وليس أدل على ذلك ما رأيناه من خروج الأنصار والمهاجرين ونسائهم للقاء النبى ﷺ بعد علمهم بهجرته المباركة.

الخطوة الرابعة «بداية الهجرة»

رقيقة بنت صيفى:

• هى رقيقة بنت صيفى - وقيل بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد مناف بن قصى، عمها عبد المطلب بن هاشم وكانت أسن منه، وتتصل رقيقة برسول الله ﷺ فى هاشم بن عبد مناف فهو جدها وجد أبيه، ولما أدركها الإسلام كانت قد تطاول عليها القدم، وجاوزت حد الهرم، والتاريخ الإسلامى يحفظ لها وقفة مع الإسلام كثيرا ما يغفلها المؤرخون، فلقد كانت ترقب ما يدور على الساحة من حولها وترى أن عدد المسلمين فى ازدياد، وكذلك عذاب المشركين يحمى وطيسه كلما أسلم مشرك، وقد اجتمع كبار المشركين ليلا ومعهم - إبليس اللعين فى صورة شيخ نجدى - وانتهى أمرهم أن يقتلوا النبى ﷺ فى داره، بيد فتية، من كل قبيلة فتى فيتوزع دمه فى القبائل، تلك المرأة المسنة - رقيقة - هى التى استشفت خبر قريش يوم ائتمروا بالنبى ﷺ، وذهبت العجوز تجر أثقالها حتى انتهت إلى النبى ﷺ، وحذرته من المبيت فى داره، وأشارت عليه بالنقلة والرحيل، وحدثته بحديث القوم الذى لا يعلمه إلا الله ثم هى ومن تآمروا عليه، ذهبت العجوز التى أنافت على المائة وأشرفت على ثنية الوداع، لتنقل الخبر ولم تأمن على نقله ابنها «مخرمة بن نوفل» وهو من لحمة النبى ﷺ وذوى صحبته، وأيضا إن الشك فيها وهى العجوز المسنة مستبعد لدى المشركين، ففارق النبى ﷺ لساعته وطنه الأعز، مدرج طفولته، ومقعد ألفته، ومهبط نبوته، ومرتقى مناجاته وعبادته، وترك ربيبه وابن عمه على بن أبى طالب رضي الله عنه فنام على فراشه، وتسجى ببردته، وشغل بنومه جماعة المتآمرين المترصدين الضاربين النطاق حول داره.

• ولعل هناك من يقول: وأى عظمة تجدها فى امرأة سمعت خبرا فألقته كما سمعته - ذلك قول من لم يستبطن الأمر، ويتبين دخيلته،

فإن فئة قليلة العدد خطيرة الغرض، من هامات القوم، واشداء فتيانهم، بيتوا أمرهم واحتجزوا خبرهم عن بقيتهم، والممالئين لهم، وتعاهدوا وتعاقدوا ألا يذيعوه حتى يمضوه، فئة ذلك شأنها، وتلك غايتها، ليس بالهين اليسير كشف أمرها والوقوف على ذوات نفوسها، واستنقاذ رسول الله ﷺ من كيدها وشر غائلتها.

• وتكون «رقيقة» أول مشاركة فى أعظم حوادث الإسلام خطرا، وأبقاها أثرا، وأدومها على مر الدهور ذكرا، وأقومها ببناء الإسلام، وبنقلها خبر قريش يكون البدء الفعلى للهجرة.

الخطوة الخامسة: (الفداء والبطولة)

أسماء بنت أبى بكر:

• هى أسماء بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة القرشية التيمية، وأمها قتيلة بنت عبد العزى بن أسد، وهى شقيقة عبد الرحمن بن أبى بكر، وأم «عبد الله بن الزبير» وأخت «عائشة أم المؤمنين» لأبيها، أسلمت بعد سبعة عشر مسلما، وأصبحت بطلة ضربت أروع الأمثلة فى البطولة والفداء.

• تنقلت العظائم من يد طاهرة إلى يد طاهرة، فبعد أن دعمت العجوز «رقيقة بنت صيفى» أثرها أقامت الفتاة الحدثة «أسماء بنت أبى بكر» أثرها أيضا، لقد أعجل النبى ﷺ وصاحبه عن ابتغاء الزاد، وشغلهما الغرض الأسمى عن الغرض الأدنى، فسارا خفيفين إلى غار فى الذروة العلياء من جبل «ثور» إخفاء لأمرهما، وإعياء للذاهبين فى أثرهما ·

• وقامت الفتاة بحمل أمانة يُشفق على الرجال من حملها،فكانت تقطع ثلاثة أميال إلا قليلا، وهى الصبية الناشئة فى جوف الليل، ووحشة الطريق بين أسنة الصخر، ومساخات الرمال، تمشى متخفية حذرة مترقبة حتى تصعد إلى هامة، ثم تنحدر فى جوفه فتوافى رسول الله ﷺ وصاحبه كل ليلة بالزاد والماء وبما عسى أن تكون قد سمعته، أو رأته، من حديث القوم وخبرهم.

• فقد قامت البطلة الصغيرة بدور فدائى وحملت أمانة الإمداد والتمويل للرحلة المباركة، ونقل أخبار الكفار، ولما أراد النبى ﷺ الرحيل من الغار متجها إلى يثرب جهزت الزاد والماء، ولم تجد ما تربطهما به، فشقت نطاقها، وربطتهما به، وحين فعلت ذلك قال النبى ﷺ: **«أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة»**، فقيل لها ذات النطاقين.

• تلك هى الصبية التى تركت الولدان والولائد من لداتها وأترابها يغدون إلى ملاعبهم ويأوون إلى صدور أمهاتهم، وذهبت إلى حيث يعجز أشداء الرجال وأبطالهم، فأى قوة تلك التى أمدها الله بها، وأى قلب ذلك الذى أودعه الله بين ضلوعها، وأية عزمة تلك التى خفقت فى نفسها ـ فلعمرى لئن سلمت الفتاة " أسماء" من عثرات الطريق، ووعثاء الصحراء تحت جنح الليل البهيم، فلم تسلم من أذى قريش وكفارها، فجاءها نفر واقتحموا عليها وداعتها وهددوها وأحاط بها رجال القوم وهى فريدة بينهم لا يحمى ظهرها رجل، وسألوها فى عصبية: أين أبوك يا بنت أبى بكر ـ فردت فى صمود وشموخ وثقة وإباء: لا أدرى فرفع النذل أبو جهل يده ولطمها لطمة قاسية طار لها قرطها، ولم يوهن ذلك شيئا من عزيمتها ولا عبث بمكنون سرها.

• وتعد هذه الفتاة البطلة الفدائية مثلا لتلك النفوس التى استخلصها الله لدينه، واصطنعها لدعوته، ونفث فيها من روحه، فكانت مستقرا للفضائل العظمى ، ويحدثنا التاريخ بإسهاب لمواقفها البطولية بعد ذلك فى مجال الجهاد والدعوة، وليس أعظم من قولتها لابنها «عبد الله بن الزبير» حين خاف من القتل والتمثيل، فقالت: «يابنى إن الشاه لا يضيرها سلخها بعد ذبحها فامض واستعن بالله»، قالت هذا وهى تعلم مصير ابنها، ولكنها تعلمت أن تضحى منذ الصغر، ولا تبخل فى سبيل الله بالجهد والمال والولد.

الخطوة السادسة: (البلاغة والفصاحة وحلقة الوصل بين المهاجر العظيم ومكة)

عاتكة بنت خالد الخزاعية :

• هى عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن كعب بن عمرو من خزاعة، وتعرف بأم معبد الخزاعية " من ربات الفصاحة والبلاغة وكانت امرأة برزة جلدة تسقى وتطعم، فمرالرسول ﷺ عليها فى خيمتها، هو «وأبو بكر» رضي الله عنه، ومولاه " عامر بن فهيرة" والدليل «عبد

الله بن أريقط»، وسألوها لحما وتمرا ليشتروه، فلم يصيبوا عندها شيئا، وفى كسر الخيمة شاة فقال رسول الله ﷺ **«يا أم معبد هل بها من لبن»** قالت: هى أجهد من ذلك، فقال: «أتأذنين لى أن أحلبها» قالت :نعم إن رأيت بها حلبا، فمسح ﷺ بيده ضرعها وسمى الله ودعا لها فى شاتها فدرت واجترت فدعا بإناء فحلب فيه حتى علاه البهاء ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ثم حلب فيه ثانيا ثم غادره عندها وارتحلوا عنها.

• وما لبثت «أم معبد» حتى جاء زوجها يسوق أعنزا عجافا فلما رأى اللبن قال فى عجب: من أين لك اللبن ياأم معبد والشاة عازب حيال، ولاحلوب فى البيت ـ قالت عاتكة: لاوالله إنه مرَ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، فقال: صفيه لى، فوالله إنى لأراه صاحب قريش الذى تطلب، وخُلدت «عاتكة»" فى التاريخ بما قدمته من وصف للمصطفى ﷺ فهو أعظم وصف وصف به، فلم يصفه الواصفون بمثل ماوصفته به أم معبد.

•وقالت فى وصفه: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه لم تعبه نُجلة ولم تزر به صُعلة، قسيم وسيم، فى عينيه دَعج، وفى أشفاره وطفٌ، وفى صوته صَحَل أحول أكحل أزج أقرن، فى عنقه سطع وفى لحيته كثاثة، إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم ينحدرن، أبهى الناس وأجمله من بعيد، وأحسنه من قريب، ربعة لاتشنأه عين من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدًاما، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محفود محشود، لاعابس ولامفند.

فقال ـ يعنى بعلها ـ هذا والله صاحب قريش الذى تطلب ولوصادفته لالتمست أن أصحبه، ولأجهدنً إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

وأى محدث يريد أن يصف النبى ﷺ يعود إلى وصف أم معبد البليغ، وقد كان لها دور أيضا فى الهجرة، فخيمتها معروفة على الطريق من مكة إلى المدينة، وبعد رحيل النبى ﷺ من الغار، انقطعت أخباره عن أصحابه فى مكة فلم يعلموا الوجهة التى قصدها النبى ﷺ وبعد ماحل فى خيمة أم معبد عرف كل من بمكة ذلك وعن هذا تحكى الفدائية «أسماء» فتقول: مكثنا ثلاث ليال ماندرى أين وجه رسول الله ﷺ حتى أصبح صوت بمكه عال بين السماء والأرض يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب، وإن الناس ليتبعونه، يسمعون الصوت ولايرون صاحبه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلاً خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمدَ
فيا لقصى مازوى الله عنكم
به من فعال لاتجازى وسؤدد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح، ضرة الشاة مزبد
فغادره رهنا لديها لحالب
يدر لها فى مصدرثم مورد

قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ، وأن وجهه الى المدينة، وأخذ المهاجرون يتوافدون على خيمتى أم معبد حتى لحقوا بالنبىﷺ.

•وهكذا كانت خيمتى أم معبد هى حلقة الوصل لتصل ما انقطع من أخبار النبى ﷺ عن المسلمين فى مكة، وفى الخيمة كانت الراحة للمهاجرين، ثم الترحال للحاق بالنبى ﷺ.

•وفى الحلقة القادمة إن شاء الله نواصل الحديث عن نساء أخريات كان لهن دور بارز فى أعظم حدث فى تاريخ الإسلام والبشرية .

مشاهد جلية ... من الهجرة النبوية !!!

سعيد عبد العظيم السيد

كانت الهجرة ميلاد أُمة عظيمة، وبداية تاريخ مجيد، ومنطلق أمجاد رائعة.. وهى أول جولة بين الحق الذى يريد أن يجد لنفسه مكانًا مستقرًا فى الوجود، واضحًا فى الأفق.. وبين الباطل الذى يريد أن يعلو بغير حق، ويتطاول فى سفاهة وحمق. لم تكُن الهجرة هروبًا من الموت بل كانت برهانًا على صدق العقيدة، ودليلاً على قوة الإيمان، كما كانت الهجرة رحلة فى سبيل الله لإرساء العقيدة، وإعلان حقوق الإنسان.. لذا تعتبر نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الإسلامية.

المشهد الأول:

علمت قريش بإسلام فريق من أهل المدينة؛ فاشتد أذاها للمؤمنين بمكة؛ فأمرهم النبى ﷺ بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجروا متسللين إلا الفاروق عمر رضي الله عنه فإنه أعلم مشركى قريش بهجرته وقال لهم: من أراد أن تفقده أمه فليلحق بى غدًا ببطن هذا الوادى.. فلم يخرج له أحد. وعندما تأكدت قريش أن المسلمين قد أصبحوا فى المدينة فى عزة.. أقامت مؤتمرًا فى دار الندوة للتفكير فى القضاء على الرسول ﷺ نفسه؛ فاستقر رأيهم على أن يختاروا من كل قبيلة فتى قويًا؛ فيقتلوه جميعًا فيتفرق دمه فى القبائل ولا يقدر بنو عبد مناف على محاربتهم جميعًا؛ فيقبلوا الدية.. ووقف الفتيان على باب الرسول ﷺ ليلة الهجرة ينتظرون خروجه ليقتلوه.

وهنا نقول: حين ييأس المبطلون من إيقاف دعوة الحق والإصلاح يلجأون لأسلوب آخر وهو قتل الداعية المُصلح، ظنًا منهم أنهم إن قتلوه تخلصوا منه وقضوا على دعوته.

المشهد الثانى:

لم ينم الرسول ﷺ تلك الليلة على فراشه، وإنما طلب من علىٍّ رضي الله عنه أن ينام مكانه، وأمره إذا أصبح أن يرد الودائع إلى أصحابها.

وهنا نقول: إن الجندى الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يُفدى قائده بحياته ففى سلامة القائد سلامة للدعوة، وفى هلاكه ضياع الدعوة.. فما فعله على رضي الله عنه من مبيته على فراش الرسول ﷺ تضحية بحياته فى سبيل الإبقاء على حياة رسول الله ﷺ وفى إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له وتصميمهم على قتله دليل على أن أعداء الله يوقنون فى قرارة نفوسهم بأمانته أنه خير منهم سيرة.

المشهد الثالث:

غادر الرسول ﷺ بيته دون أن يراه الموكلون بقتله، وذهب إلى أبى بكر رضي الله عنه وكان قد هيأ من قَبْلُ راحلتين له وللرسول ﷺ فعزما على الخروج، واستأجر أبو بكر عبد الله بن أريقط وكان مشركًا ليدلهما على طريق المدينة.. على أن يتجنب الطرق المعروفة، ويسلك طرقًا أخرى لا يهتدى إليها كفار قريش.

وهنا نقول : إن تفكير قائد الدعوة أو رئيس الدولة فى النجاة من تآمر المتربصين، وعمله لنجاح خطة النجاة لتستمر دعوته لا يعتبر جبنًا ولا فرارًا من الموت.

المشهد الرابع :

خرج رسول الله ﷺ، وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه يوم الخميس الموافق أول يوم من شهر ربيع الأول لسنة ثلاث وخمسين من مولده ﷺ، ولم يعلم بأمر هجرته إلا علىّ رضي الله عنه وآل أبى بكر.. فقامت عائشة وأسماء بنتا أبى بكر بإعداد الزاد لهما..

وقطعت أسماء قطعة من نطاقها النطاق هو ما يُشد به الوسط فربطت به على فم الجراب (وعاء الطعام) فسميت بذلك «ذات النطاقين».

واتجها الرسول ﷺ وأبو بكر مع دليلهما عن طريق اليمن حتى وصلا إلى غار «ثور» فمكثا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر، ويخرج من عندهما بالسَحَرْ، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائمًا فى مكة، ثم يعود إلى الغار فى المساء بالأخبار.

وهنا نقول: إن موقف عائشة وأسماء رضى الله عنهما أثناء الهجرة يثبت حاجة الدعوات الإصلاحية إلى النساء فهن أرق عاطفة وأطيب قلبًا والمرأة إذا آمنت بشىء لم تبال فى نشره والدعوة إليه. أما موقف عبد الله بن أبى بكر فهو يثبت أثر الشباب فى نجاح الدعوات فهم عماد كل دعوة إصلاحية.

المشهد الخامس :

قامت قيامة قريش لنجاة الرسول ﷺ من القتل، وخرجوا يبحثون عنه فى طريق مكة المعتاد فلم يجدوه، واتجهوا إلى طريق اليمن ووقفوا عند باب «غار ثور» يقول بعضهم لبعض لعله وصاحبه فى هذا الغار.. فيجيبهم آخرون: ألا ترون على باب الغار نسيج العنكبوت، وكيف تعشش فيه الطيور.. مما يدل على أنه لم يدخل هذا الغار أحد منذ زمن بعيد. وأبو بكر يرى أقدامهم وهم واقفون على باب الغار فيرتعد خوفًا على حياة الرسول ﷺ ويقول له: والله يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى موضع قدمه لرآنا؛ **فيطمئنه بقوله: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!.**

لم تكن الهجرة هروبًا من الموت بل كانت برهانًا على صدق العقيدة ودليلاً على قوة الإيمان

وهنا نقول: إن مشهد عَمَى أبصار المشركين عن رؤية رسول الله ﷺ ، وصاحبه فى غار ثور، وهم عنده... مشهد تخشع له القلوب.. وهو من مشاهد العناية الإلهية برسله، وفى مشهد خوف أبى بكر وهو فى الغار من أن يراهما المشركون وهو من المشاهد المؤثرة لأن أبا بكر لا يخاف على نفسه من الموت ولكنه كان يخاف على حياة الرسول الكريم ﷺ وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول فى قبضة المشركين وفى جواب الرسول لأبى بكر تطمينًا له على قلقه «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» مشهد من مشاهد الثقة بالله والتوكل عليه عند الشدائد وهو دليل واضح على صدق الرسول ﷺ فى دعوة النبوة.. وصدق رب العزة فى قوله تعالى: **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾**.. سورة التوبة: ٤٠.

المشهد السادس :

لما فشلت جهود قريش فى العثور على الرسول ﷺ وصاحبه... رصدت قريش جائزة كُبرى قدرها مائة ناقة لكل من عثُر على

الرسول وصاحبه أو قتله أو أسره، وعندما عَلِمَ سُراقة بن جعشم بتلك الجائزة أخذ على نفسه أن يتفقدهما ليظفر وحده بالجائزة. وعلى الفور ركب سُراقة فرسه وقطع مسافة بعيدة فأدركهما فلما اقترب منها ساخت قوائم فرسه فى الرمل فلم تقدر على السير، وحاول سُراقة ثلاث مرات ففشل، وعندئذ تأكد سُراقة أنه أمام رسول كريم... فطلب سُراقة من الرسول أن يعِدَهُ بشىء إن نصره الله؛ فوعده بسوارى كسرى يلبسهما ثم عاد سُراقة إلى مكة فتظاهر بأنه لم يعثُر على أحد.

وهذا المشهد يوضح لنا فى موقف سُراقة حين أدرك الرسول ﷺ وعجزه عن الوصول إليه دليل على نبوة الرسول ﷺ ورضى سُراقة أن يخسر الجائزة ويفوز بالوعد... ولقد تحقق وعد الرسول له وطالب سُراقة عمر بن الخطاب بتنفيذ وعد الرسول ﷺ له حين رأى سوارى كسرى فى الغنائم .. فألبسهما عمر سُراقة على ملأ من الصحابة، وقال الحمد لله الذى سلب كسرى سواريه وألبسهما سُراقة بن جعشم الأعرابى.

المشهد السابع:

وصل الرسول ﷺ بسلامة الله وصاحبه المدينة المنورة فى اليوم الثانى من ربيع الأول بعد أن طال انتظار أصحابه له... فلما رأوه فرحوا به فرحًا عظيمًا وأخذوا ينشدون بالدفوف :

طالع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيُها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وفى هذا المشهد نقول: كانت فرحة المؤمنين من سُكان المدينة من أنصار ومهاجرين بقدوم رسول الله ﷺ ووصوله فرحة أخرجت النساء من بيوتهن، وحملت الرجال على ترك أعمالهم.. لا عجب فيها لأنه هو الذى أخرجهم من الظُلمات إلى النُور.

المشهد الثامن:

كان الرسول ﷺ وهو فى طريقه إلى المدينة المنورة قد وصل إلى قباء وهى قرية جنوب المدينة على بُعد ميلين منها؛ فأسس فيها أول مسجد بُنى فى الإسلام، وأقام فيها أربعة أيام ثم سار صباح الجمعة إلى المدينة؛ فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف.. فبنى مسجدًا هناك وأقام أول صلاة جمعة فى الإسلام، وأول خطبة ألقاها فى الإسلام، ثم سار إلى المدينة فلما وصلها كان أول عمل عمله بعد وصوله أن اختار المكان الذى بركت فيه ناقته ليكون مسجدًا له.. وكانت الأرض ملكًا لغلامين يتيمين فاشتراها منهما بعشرة دنانير ذهبًا أدّاها من مال أبى بكر.. ثم أمر المسلمين الاشتراك فى بناء المسجد؛ فأسرعوا إلى ذلك.. وكان الرسول ﷺ ينقل معهم الطوب اللبن حتى تم بناء المسجد.. جدرانه من طوب لبن وسقفه من جريد النخيل مقامًا على الجذوع.

وهذا المشهد يدلنا على أهمية المسجد فى الإسلام لأن فيه تقام صلاة الجماعة والجُمعة والعيدين.. كما أنه مظهر من مظاهر اجتماع المسلمين ووحدة كلمتهم وتعاونهم على البر والتقوى. كما أن المسجد يقوم بتربية الرجال وإخراج الأبطال وإصلاح الفساد وبناء المجتمع على أساس من تقوى الله ورضوانه.

وفى النهاية أسدل الستار على هذه المشاهد الجلية من الهجرة النبوية.. وتحقق وعد الله عز وجل بحفظ نبيه ﷺ -، ورعايته والنجاة من مكرهم... وكانت النتيجة كما قال تعالى: **﴿وجعل كلمة الذين كفروا السُفلى وكلمة الله هى العليا﴾**... وكلمة الله هى كلمة التوحيد.. وقد حقق الله عز وجل الذيوع والانتشار.

قال تبارك وتعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدّار والإيمان من قبلهم ..... ﴾

(صدق الله العظيم)

يا طيبة الفيحاء

شعر / عمر موسى موسى البرعى

يا طيبة الفيحاء حياك الحيا ... يا واحة فيها تزول همومنا
بسموك الإسلام يسطع نوره ... وبنوره دوما يجلجل صوتنا
إن الحنين إليك قد بلغ المدى ... وإلى ثراك الطهر طال حنينا

أنت السعادة والهناءة كلها ... فبفضلك الميمون أصلح بالنا
لك كل عرفان وحب صادق ... بهما يشارك فرحة أبناؤنا
الله أكبر إن يثرب دوحة ... تاقت إليها بالحنين قلوبنا

فيها تفضل ذو الجلال بنعمة ... كبرى بها تزكو وتصفو روحنا
هيا إليها نرتوى من حوضها ... فلحوضها نمضى ونسعد كلنا
أنوارها غزت القلوب بحسنها ... وبهديها المنشود جاء نبينا

يا يثرب الهادى ومهجر نوره ... فى ظل طه قد تحقق شملنا
بشرى لنا بمحمد فى يثرب ... فببعثه المرجو يسمو عزنا
نعمى بها جاد الكريم على الورى ... فى طيبة يهفو لها وجداننا

حيث البشير وقد تخلد ذكره ... وعلى ضياه قد تأسس حبنا
مثواه عطر أرضها وسماءها ... وبه تحقق فى الحياة رجاؤنا
والعطر نَنشقُ بالسرور عبيره ... وأريجه الفواح قد جلب الهنا

وتعطرت فى المشرقين مبادئ ... وبها تنسم واستراح فؤادنا
وبه صعدنا للنجوم بعزة ... من نال فضلا فى البرية مثلنا

إسلام واحد ورؤى متعددة (٢)

د/ محمد شامة

أليس اختلاف آراء العلماء فى المسألة الواحدة، وتمسك أهل كل قطر بمذهب دون آخر، بحيث أصبح لكل بلد من البلاد الإسلامية مذهبه الذى لا يرضى به بديلاً ـ يوحى للبعض من غير المسلمين بأن الإسلام ليس واحداً فى كل البلاد الإسلامية، فهناك إسلام فى السعودية يختلف عما هو فى مصر، وهذا بالتالى يختلف بدوره عن مفهومه فى أقطار أخرى؟

قد يكون ذلك هو واقع مفهوم الإسلام عند من لم يدرك حقيقة الإسلام وأهدافه؛ إذ لما كان الإسلام لكل الناس على اختلاف بيئاتهم ونظم حياتهم، حيث تختلف ظروف الحياة فى كل عصر وقطر، وتتجدد الأحداث وتتشعب عبر الأيام والسنين، فلا بد أن يكون التشريع ملبيًا لكل ما يحتاج إليه الفرد، وتسلتزمه حياة المجتمعات، ولهذا جاء كل ما يتعلق بهذه المتغيرات فى صورة مبادئ كلية وقواعد تصلح لكل المجتمعات الإنسانية، ويمكن تطبيقها أيضًا فى كل أقطار الأرض على اختلاف أساليب حياة من يسكنوها، وتباين معيشتهم، ثم ترك الفروع ـ وهى مركز الاختلاف بين سكان المناطق المختلفة ـ وعلاج ما يجد من أحداث ـ وهى لازمة من لوازم الحياة الإنسانية ـ للفقهاء، يستنبطون أحكامها من الأصول العامة، قياسًا، أو حملاً للخاص على العام، أو حملاً للمطلق على المقيد، أو غير ذلك من طرق استنباط الأحكام داخل الإطار العام للأحكام الإسلامية.

وبذلك تصبح الشريعة الإسلامية صالحة لكل المجتمعات الإنسانية فى جميع الأقطار، وفى كل العصور؛ إذ يمكن أن تطبق على الناس جميعًا على اختلاف أساليب حياتهم، ونظمهم المعيشية، فالاختلاف بين المجتمعات ليس إلا فى أمور فرعية، أما الشكل العام للحياة، فالناس جميعًا سواء، ولهذا جاءت شريعة الله دقيقة ومحددة فيما يتعلق بهذا الجزء الذى لا يختلف فيه الناس، أما الفروع التى يتناولها التغيير بسبب اختلاف المناطق، أو بسبب تجدد الأحداث وتعاقب العصور، فقد تُرِك أمر استنباطها للفقهاء بشرط ألا تخرج عن الإطار العام للتشريع الإسلامى.

فالاختلاف فى هذا الجانب إيجابى وليس سلبى؛ إذ هو يساعد على تحقيق مبدأ العالمية فى الإسلام، فيتيح لكل إنسان على وجه الأرض أن يعتنقه دون حرج، ويلتزم بتأدية تشريعاته بسهولة ويسر، ولا يقف عقبة فى طريق التقدم والرقى. ومن يعارض صلاحيته للعصر الحاضر بأن أساليب الحياة قد تغيرت تغيرًا جذريًا، بحيث أصبح من المتعذر تطبيق مبادئ وتعاليم العصور القديمة فى المجتمع المعاصر؛ إذ كيف يمكن أن يتعامل إنسان العصر الحديث بأسلوب يتنافى مع طبيعة حياته المعاصرة؟ وكيف يخضع إنسان القرن العشرين لأحكام صيغت لتنظيم حياة إنسان القرون الأولى، حيث البداوة والبساطة وعدم التعقيد؟! وبالإضافة إلى ذلك فإن ما كان مقبولاً لدى المجتمعات البدائية، فإنه أصبح غير مستساغ لدى الإنسان المعاصر، بل إن

من القضايا التى كانت من المسلمات الأولية التى لا تقبل الشك فى الماضى ترفضها العقول الآن رفضًا باتًا، ولا تتجاوب معها المشاعر والأحاسيس؛ لأنها لا تتفق مع درجة الحضارة الحالية، ولا تلبى مطالب الحياة المعاصرة، ولا تتناغم مع معطيات العصر، بل تنفر منها ولا تستسيغها.

هذا غير صحيح؛ لأن القضايا الكلية فى الإسلام هى قواعد التشريع الأساسية التى تصلح لكل الشعوب، وتلبى احتياجات كل المجموعات البشرية، على اختلاف ألوانها وأجناسها، وتتناسب مع كل عصر وبيئة؛ إذ يتخذها الجميع أساسًا تُسْتَنْتَج منه أحكام لكل القضايا، وعلاج لكل المشاكل التى تواجه الإنسان والمجتمعات، فكانت هذه المبادئ الرئيسية فى التشريع أساسًا للاجتهاد فى مجال الأحكام الشرعية الذى بمقتضاه تكونت المذاهب الفقهية، فزخرت بالأحكام والتفريعات التى كانت منها فروض مقدرة الحدوث فى الأزمان المستقبلة.

كان هذا العمل فى مجال التشريع دليلاً على مرونة الفقه الإسلامى، وصلاحيته لمواجهة الأحداث التى تظهر نتيجة لديناميكية الحركة فى مجالات الحياة المختلفة، وعنصرًا جوهريًا فى مفهوم عالمية الإسلام.

فقد جاء فى القرآن الكريم آيات كثيرة رسمت قضايا كلية فى مجالات الحياة المتعددة، نذكر منها على سبيل المثال قوله تعالى : **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾** (الشورى : ٣٨).

فهذه قضية توضح أن الإسلام يحث على ألا يكون الأمر فى المجتمع ديكتاتوريًا، بل ينبغى أن يقوم على أساس الشورى، ولم يحدد لهذه الشورى صيغة معينة، بل تركها لظروف كل عصر، وطبيعة كل بيئة.

كذلك لم يحدد فى قوله تعالى : **﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا .....﴾** (الأعراف : ٣٢) ـ أنواع الزينة، أو أشكالها وهيئاتها، بل ترك ذلك لمقتضيات الزمان والمكان، بشرط ألا يكون فى ذلك اقتراف لمعصية، أو تناول لخبيث، كما فى قوله تعالى : **﴿... ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ....﴾** (الأعراف : ١٥٧).

الفروع قد يتناولها التغيير بسبب اختلاف نظم المعيشة والمناطق وتجدد الأحداث وتعاقب العصور

فهذه وأمثالها ـ وهو كثير فى التشريع الإسلامى ـ أمور كلية وضعت الأساس الذى يحفظ كيان المجتمع، وحددت الإطار الذى يتحرك بداخله الفقهاء والمشرعون لمواجهة متطلبات العصر والبيئة، بحيث لا يقف الدين الإسلامى عقبة فى طريق التقدم والرقى.

ولم يقتصر الأثر السلبى لاختلاف العلماء فى استنباط الأحكام على غير المسلمين، بل تعداه إلى المسلمين، وخاصة الذين لا يملكون القدرة العلمية على فهم فلسفة هذه الظاهرة فهمًا صحيحًا، بل إن العامة من المسلمين لا يتقبلون هذا الاختلاف؛ إذ يحدث عندهم بلبلة فى تقبله، فيقعون فى حيرة من أمرهم، عندما يطلبون الفتوى فى مسألة ما، فيفتيهم أحد المتخصصين برأى، فإن سألوا آخر أعطاهم رأيًا مخالفًا للأول، وقد يسمعون رأيًا ثالثًا من مصدر ثالث ... وهكذا، الأمر الذى يصيبهم بالحيرة، فيتساءلون : أى الأجوبة المتعددة هو الصحيح فيتبعونه، وأيها الخطأ فيرفضونه.

ظهر هذا فى المجتمع الإسلامى نتيجة الأمية الدينية التى انتشرت فى أرجاء العالم الإسلامى، وتغلغلت فى جنباته، بحيث أصبح الأمر فى حاجة إلى جهود جبارة لشرح هذا الجانب من

الفكر الإسلامى، وإلى بيان عدم وجود آلية تبين أن أحد هذه الآراء صحيح مطلقًا، وما عداه خطأ محض؛ لأن كل عالم استند فى استنباط الحكم الذى ارتآه إلى قواعد مسلم بها فى البحث العلمى، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم .....**﴾ (المائدة آية ٦)، فقد اختلف العلماء فى كيفية مسح الرأس إلى ثلاثة آراء :

الأول : من يرى أن مسح كل الرأس واجب فى الوضوء مستدلاً على ذلك بأن الباء فى ﴿**برءوسكم**﴾ زائدة للتأكيد ـ وهى قاعدة لغوية ـ، والمعنى : وامسحوا رءوسكم، أى كل الرأس.

الثانى : من يرى أن الواجب هو مسح بعض الرأس فقط؛ لأن الباء فى ﴿**برءوسكم**﴾ للتبعيض، وأقل البعض عنده هو الربع.

الثالث : اتفق مع الرأى الثانى فى أن مسح بعض الرأس هو الواجب، ولكنه اختلف معه فى تحديد مساحة البعض، فرأى أن البعض يطلق فى اللغة على أقل جزء من الكل، وعليه فيجزئ مسح شعرة واحدة فى المفروض مسحه فى الوضوء؛ لأنها ـ أى الشعرة ـ تعتبر جزءًا من الرأس.

هل يستطيع أحد أن يجزم بأن أحد هذه الآراء الثلاثة صحيح مائة فى المائة، والآخرين باطلان بطلانًا محضًا؟

لا يجرؤ أحد على التصريح بذلك، حتى صاحب الرأى نفسه لم يَدَّعِ أن رأيه هو الصحيح وما عداه فهو باطل، فلم يخرج الأمر عن دائرة الاحتمال، **قال الشافعى : رأيى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب.**

أضف إلى ذلك أن فى تعدد الآراء رحمة للمسلمين، وهو لازم من لوازم حياتهم، فقد تعترى الإنسان حالة لا يستطيع معها مسح كل الرأس فيلجأ للرأى الآخر، وقد يرى البعض أن مسح شعرة واحدة سهل التطبيق، فيلتزم به، **ولذلك روى فى الأثر أن اختلافهم (أى الفقهاء) رحمة، أى تيسير للمسلمين، حتى لا يصيبهم حرج لو اتفق الفقهاء على رأى واحد لا يناسب حالة البعض، أو لا يتلاءم مع متطلبات العصر.**

وخلاصة القول : أن الإسلام هو نص القرآن الكريم، والسنة العملية، والحديث المتواتر. وهذا هو ما أجمع عليه المسلمون؛ فهو القاعدة الأساسية لكل الآراء والاتجاهات الفكرية فى جميع الأقطار الإسلامية؛ إذ هو بمثابة الدستور التى لا تخرج عن نصوصه ـ ولا تعارضها ـ جميع القوانين، رغم اختلافها، وتعددها وتشعبها. فالفكر الإسلامى بمذاهبه الفقهية، ومواقف علمائه من قبول الأحاديث النبوية غير المتواترة، وتعدد مدارسه فى تفسير القرآن الكريم، وتنوع اتجاهاته الفلسفية، هو نتاج بشرى متنوع، يلبى احتياجات كل المجتمعات الإنسانية، ويتناغم فى آرائه مع ما تحتاج إليه مسيرة التقدم الحضارى، وهو بذلك:

- **يدحض حجة من يرى أن الإسلام متعدد بتعدد البلاد والأمصار.**
- **كما يقيم الدليل على أنه ـ أى الإسلام ـ صالح لكل الناس، مهما اختلفت نظم حياتهم، وتنوعت درجة تقدمهم الحضارى، وتعاقبت عليهم الأزمان والعصور.**
- **ويوضح أن آراء العلماء ليست مقدسة، لا يجوز معارضتها، ولهذا يجوز لكل مسلم أن يلتزم برأى دون آخر، حتى ولو كان رأيًا مخالفًا لكل المدارس الإسلامية، ما دام موافقًا لنص القرآن الكريم بأى وجه من وجوه البحث العلمى.**

الفكر الإسلامى هو نتاج متنوع يلبى احتياجات كل المجتمعات الإنسانية ويتناغم مع ما تحتاج إليه مسيرة التقدم الحضارى

منهجية التغيير الاجتماعى فى القرآن الكريم

للدكتور عبد الصبور مرزوق

عرض : فتحى الإبيارى

●●● يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (سورة الرعد الآية ١١)

حين شاء الحق عز وجل أن يجعل الإنسان خليفة فى الأرض قالت الملائكة:

﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون﴾

(سورة البقرة آية ٣٠).

د. عبد الصبور مرزوق

وكتاب المرحوم الدكتور عبدالصبور مرزوق «منهجية التغيير الاجتماعى فى القرآن الكريم» من الكتب المهمة التى يعالج فيها موضوعات مهمة معاصرة من خلال فصول أربعة هى سمات المجتمع الأمثل فى المنظور القرآنى. وبالكلمة .. لا بالقوة يكون التغيير.. وفساد المجتمع وضرورة التغيير. وكيف يكون التغيير.

وكانت البداية هى عداء الشيطان للإنسان، وهو عداء صنعته نزعة الكِبْر، ونزعة الاستعلاء العنصرى بتفضيل عنصر النار الذى منه إبليس على عنصر الطين الذى خلق الإنسان منه، والذى علل به إبليس رفضه السجود لآدم ـ الإنسان ـ وقد توارث اليهود هذه النزعة الإبليسية، نزعة الاستعلاء بغير الحق زاعمين أنهم شعب الله المختار، ويرتبون لهذه الخيرية المزعومة قداسات وحقوقا ما أنزل الله بها من سلطان، لكن لها قوة القانون فى المجتمعات الغربية تحت شعار ما يسمى معادات السامية.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين ● قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين**﴾

(سورة ص الآيتان ٧٥، ٧٦)

وكانت هذه البداية بداية العداء الشديد من الشيطان للإنسان والتى كتب لها أن تتصل منذ آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وتحمل الإنسان مسئولية عظمى فى التمكين لكلمات الله فى الأرض والعمل الدءوب لإعمارها، وإرساء قوانين العمران والاجتماع الإنسانى بالمنظور والرؤية التى تحدث عنها القرآن الكريم، والتى هى موضوع هذه الدراسة التى سجلها الدكتور عبد الصبور مرزوق فى كتابه.

وحتى لا يضعف الإنسان فى مواجهة «الشيطان» فقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يشعر الإنسان أنه محروس برعاية مولاه وأن يؤكد له أن عداوة الشيطان لا ينهزم أمام كيدها إلا الضعفاء إيمانا وعقيدة، والذين يغفلون ـ فى زحمة الحياة الدنيا وشهواتها ـ عن أن كيد الشيطان ضعيف أمام صنائع الإيمان، وأن بحسب الإنسان إذا أحس

بكيد الشيطان أن يستعيذ بالله منه، وأن يكون على ثقة عظمى فى أنه لا سلطان للشيطان على أهل الإيمان كما قررته الآيات: **﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ● إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ● إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾** (سورة النحل الآيات: ٩٨ ـ ١٠٠) ثم قوله سبحانه: **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾** (سورة الإسراء آية ٦٥).

كيف تكون الشخصية المسلمة

وقد وضع الإسلام مجموعة من الضوابط، والثوابت التى تبنى فى ظلها الشخصية المسلمة التى يكون أفرادها مؤهلين لممارسة هذا التغيير الرشيد وهى:

أولاً: تربية الوجدان الدينى للفرد المسلم بما يجعل مصلحة الأمة والمصلحة العامة أسبق فى مناط الاهتمام عنده على المصلحة الخاصة بحيث يربى على الإيثار لا على الأثرة.

ثانيا: أن تكون **«القيم»** و **«الثوابت»** الإيمانية والأخلاقية هى محور الارتكاز الذى تبنى عليه الشخصية الإسلامية بعيداً عن الاغترار بزينة الدنيا وبعيداً عن المصالح الشخصية الزائلة والزائفة.

وموقف الحبيب ﷺ من «الدنيا» وقوله لعمر رضي الله عنه لما رآه ينام على حصير قد أثر فى جنبه ﷺ فقال عمر: لو اتخذنا لك فراشًا لينًا؟. فيكون رد الحبيب **«يا عمر .. ما لى وللدنيا، إنما مثلى ومثلها كمثل راكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»**

هذا الموقف النبوى الشامخ، ثم مواقف الراشدين بعده من زينة الدنيا أعظم ما يمكن به شحن الطاقة الإيمانية وإذكاؤها بحيث تصنع رجالاً لا تكون الدنيا أكبر همهم ـ ولا أصغره أيضًا ـ بل تكون همومهم أن يمكنوا لكلمات الله فى الأرض، وحسب امرئ منهم لقيمات تقمن صلبه!!

ثالثا: بناء الوجدان الدينى للفرد المسلم على خشية الله ومخافته بحيث يمتلك رقابة داخلية تصنع له حس التمييز الدقيق بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ، وبين ماهو فساد، وماهو صلاح، فينتصر للحق ويناهض الباطل وإن لم يدعه الى ذلك أحد.

رابعاً: وهو ماينبغى اعتباره بمثابة الإطار الذى يقام عليه كل ماسبق أى إعتماد «العلم» بمفهومه المطلق سبيلا للحكم عن الأحداث والتصرفات، وصولا إلى الحكم الصحيح والقياس الصائب الذى يستحيل معه الانخداع أو سوء الحكم.

● ● ويقول الدكتور عبد الصبور مرزوق إنه عندما تتم تربية الفرد المسلم على مثل هذه الأسس يكون المجتمع الذى بنى من هذه الخلايا النظيفة والإيجابية مع الحق، يكون قادراً على استشعار الخلل فور حدوثه، ويكون أيضا قادراً على التغيير ممتلكا لأدواته الآمنة والرشيدة والتى اعتمدها القرآن الكريم فى تغيير ما بالنفس، وليس فى مجرد تغيير الأشكال والأشخاص.

غفلتنا عن معطيات المنهج القرآنى أفقدتنا ريادتنا وجعلت ثرواتنا لقمة سائغة لأعدائنا

فساد المجتمع وضرورة التغيير

وتناول الدكتور عبدالصبور فى الفصل الثالث فى كتابه موضوعًا هامًا هو فساد المجتمع وضرورة التغيير. فيقول: «كانت غفلتنا وإهمالنا للأخذ بمعطيات المنهج القرآنى مقدمة لنتيجة حتمية هى دخولنا فى حالة «جَزْر» سياسى واقتصادى واجتماعى رهيب، ففقدنا ريادتنا، ولم نعد نملك حتى الاستقلال بقرارنا فضلا عن أن يكون لنا رأى أو قرار فى توجيه سياسة العالم.

واضطربت أحوالنا الاقتصادية بحيث ذهبت مصادر ثرواتنا وإمكاناتنا غنيمة سائغة لأعدائنا، يبسطون عليها سلطانهم ويوظفونها بما يخدم مجتمعاتهم هم ومصالحهم. فى مثل حالة الوصى اللئيم على مال اليتيم، وتسربت إلى مجتمعاتنا غيلان الفقر والعجز والتخلف وأكثر من هذا أننا فقدنا القسمات الأساسية التى هى ملامح المجتمع القرآنى كما ينبغى أن تكون، ودخلنا ـ غافلين تائهين ـ فى نفق التبعية للآخرين، نعيش كما يعيشون، دون هوية، يجرفنا غزوهم الفكرى والثقافى إلى تبعية سلوكية واجتماعية بغيضة، وأصبحنا نعيش اليوم عصر النبوءة النبوية التى تحدث عنها الحديث النبوى المشهور :

«يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال ﷺ: لا .. بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل!»

وعلل الرسول ﷺ هذه الحالة بأنها نتيجة لما يسيطر على الأمة من «الوهن».

فلما سألوه ﷺ عن «الوهن» ماهو؟ قال ﷺ: حب الدنيا وكراهية الموت».

وحيث من المعروف أن الإسلام لا يعادى الدنيا ولا يأمر أبدًا بأن ندير لها ظهورنا، فالمراد هنا أننا ـ فى علاقتنا بهذه الدنيا ـ انحرافنا عن منهج القرآن الكريم فى التعامل المتوازن مع زينتها بحيث بات متاع الحياة الدنيا غاية، لا مجرد وسيلة لاستبقاء الوجود كى تؤدى الرسالة، وتنهض بالواجب الضرورى الذى ناطه القرآن بنا كخير أمة أخرجت للناس.

والمخزى ـ والمؤسف معا ـ فى هذا أننا بضعفنا المجتمعى أضعفنا عقيدتنا وأطفأنا بريق عظمتها، وبعد أن كان الناس فى الماضى يدخلون فى الإسلام لمجرد أن يروا مسلما ملتزما يتعامل معهم فيجدون فيه القدوة، أصبح العالم كله خارج ديار الإسلام عندما نحدثهم عن عظمته ومزاياه وعطائه الحضارى يقذفون وجوهنا بذلك التعبير القاسى: إذا كان دينكم هذا ـ كما تقولون ـ فلماذا أنتم فى ذيل الأمم؟؟؟

الاستعلاء بالباطل الذى مثله الجبابرة عادة وثمود لايزال موجوداً بشكل أشد وأخطر

● كيف يكون التغيير

● ● ويستعرض الدكتور عبدالصبور مرزوق عملية التغيير الاجتماعى التى قام بها الإسلام فى المجتمع الجاهلى حدثت فى مكان وزمان وواقع شديد الاختلاف عن واقعنا وعن أيامنا .. فهل ستظل المنهجية التى استخدمت فى التغيير صالحة للتأثير فى عالم مختلف وزمان .. وواقع مختلف؟؟

إن السابقين ـ فى زمن الجاهلية ـ لم يكونوا مجرد أشخاص بل كانوا نماذج للمجتمع الذى ظهر فيه ـ أو كان فيه ـ الفساد وانقضت الحكمة تغييره.

وهذه النماذج ليست مختصة بزمان أو مكان بعينه ولكنها قابلة للتكرار فى أى عصر ولو بصورة مغايرة، وعليه أن تكون المنهجية التى استّخدمت لتغييرهم ما تزال صالحة للاستخدام عن تغيير غيرهم.

ويضرب الدكتور عبدالصبور مرزوق عدة أمثلة:

● إن الاستعلاء بالباطل الذى مثله الجبابرة «عاد» و «ثمود» لايزال موجودًا وربما بشكل أشد وأخطر مما كان عليه السابقون.

● وعبادة غير الله التى كانت عقيدة المشركين توحدها نماذج فى عصرنا، فالأقدمون كانوا يعبدون «الأصنام» أما أهل أيامنا فقد نسوا الله وَأَلَّهُو العلم، وأشركوا مع الله بعض عباده.

● والاغترار بسلطان «المال» الذى كان عليه «قارون» له فى زماننا «قوارين» لا تعد ولا تحصى، وتمارس نفس الفكر والمنطق «القارونى»

الذى حكاه القرآن الكريم فى قوله: **﴿قال إنما أوتيته على علم عندى﴾** (سورة القصص الآية ٧٨).

● والانحراف عن سواء الفطرة الذى مثلة «قوم لوط» لا يزال متكررا وفى أكثر دول العالم المعاصر سلطانا وهيمنة، وأصر رئيس إحداها على أن يعود الشواذ إلى الخدمة فى الجيش.

● والمظاهرون للسلطان الجائر الذين مثلهم «هامان» فى الماضى موجودون وبكثرة كاثرة، بل إن هؤلاء «الهامانات» فى عصرنا ليسوا فقط من يعينون السلطان عن فساده، بل إنهم مفسدوه! وهم الذين يزينون له المنكر حتى يستمر عليه.

ففى زماننا ـ ونحن على أبواب القرن الحادى والعشرين ـ «فراعنة» و «قوارين» و «هامانات» ومالا يحصى من «البطانات السيئة» التى تفسد كل صالح فى كل أنحاء الدنيا.

وعليه فإن «المنهجية» التى أرساها القرآن الكريم لعملية «التغيير» كانت وستبقى صالحة لتحقيق نفس النتائج التى أحدثتها فى المجتمع الجاهلى قبل الإسلام.

ذلك لأن قوام المنهجية القرآنية هو مجموعة السنن والقوانين والثوابت المحكمة التى لاتختل أبداً نتائجها إذا حدثت مقوماتها. وما بقى القرآن الكريم موجودًا إلى نهاية العالم، فستبقى سننه وقوانينه فاعلة وحاكمة.

وخلاصة دراسة الدكتور عبد الصبور مرزوق تتلخص فى هذه النقاط:

أولا: إن القرآن الكريم من خلال سننه وقوانينه وضع بين أيدينا معالم وقسمات المجتمع الأمثل والأرشد الذى يجب أن نكون عليه وتكون عليه البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانيا: حدد القرآن الكريم من خلال سننه وقوانينه الأسباب التى تؤدى إلى فساد المجتمع وإلى إنهياره.

ثالثا: حدد القرآن الكريم معالم الإصلاح ومقومات التغيير، وكيفية تهيئة المناخ للتعبير المنشود كما تبين ذلك فى الدراسة.

رابعا: رسم القرآن الكريم ـ بالوضوح الحاسم، السبيل الأمثل، والأسلوب الأرشد والأمن والأبقى لإحداث تغيير لاشر فيه ولا ضرر من ورائه، وقوامه تغيير ما بالنفس، **﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**. سورة الرعد آية ١١.

رسائل د. مرزوق الأخيرة

إن المفكر الإسلامى الراحل الدكتور عبدالصبور مرزوق نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية والأمين العام السابق له، والمساعد السابق للأمين العام لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة، ومدير المركز الثقافى الإسلامى بالصومال سابقًا والأستاذ بجامعه أم القرى لفترة ست سنوات وأحد رواد الفكر الإسلامى فى العقود الأخيرة.

إن مكانة هذا الرجل واعتلاءه لهذه المناصب المرموقة لم تكن له من فراغ، ولكن من اجتهاده وتفرده على صعيد العلوم الشرعية، وهذا كله ما نتج عنه ذلك التراث العلمى الذى تركه فأثرى به المكتبة الإسلامية فإسهامات الدكتور عبدالصبور مرزوق متعددة يجد فيها دوما الباحث المنصف دواء شافيا لكل مايؤرق خلده قبل رحيله بفترة قليلة صدر له رحمه الله كتاب جديد بعنوان «رسائل إلى عقل الغرب وضميره .. عالمية الإسلام وإنسانيته».

وله أعمال كثيرة منها: الفرد الفكرى أهدافه ورسائله. السيرة النبوية فى القرآن الكريم، وقد تحدثنا عنه فى عدد سابق من منبر الإسلام. وأدب الدعوة فى عصر النبوة، ومعجم الإعلام والموضوعات فى القرآن الكريم (٣ مجلدات). القرآن والرسول، ومقولات ظالمه والموسوعه القرآنيه (٦ مجلدات) وآخرين والتعريف بأداب التأليف للسيوطى (تحقيق). وثائر من الصومال المجاهد محمد بن عبدالله حسن» وكتب أخرى.

رحم الله د. عبدالصبور مرزوق على عطائه فى خدمة الفكر الإسلامى وإثرائه المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب الخالدة.

الأوقاف الإسلامية ورعاية ذوى الاحتياجات الخاصة

د. أحمد عوف محمد عبدالرحمن

كان الوقف ولا يزال، المصدر الرئيسى لبناء المساجد فى مختلف البقاع الإسلامية، كما لعب الوقف أدواراً أساسية فى مختلف أوجه الحياة وفى تنميتها ومن ذلك على سبيل المثال تطوير الأنشطة الاقتصادية والرعاية الصحية والاجتماعية، كما أفادت المجتمعات من الوقف فى تأمين وسائل العيش داخل المدن، وحفر الآبار وبناء الملاجئ والربط والزوايا من أجل تمكين المسلمين المجاهدين لصد غارات أعداء الإسلام، وبناء صحة المسلم وتنشئته كإنسان قادر بدنيا وعقليا على أن يعيش بحرية وبكرامة.

ولقد أحسن البارئ «كل شىء خلقه»، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ سورة التين: الآية ٤، لكن ولحكمة يعلمها، خلق المعاقون أو قدر إصابتهم بإعاقة أو إعاقات بعد ذلك. ولذا فإن من واجب المجتمع الإنسانى المسلم أن يكون كل فرد معاق موضع عناية ورعاية حفاظاً على كرامته، مهما كانت ظروفه فيما يبتلى به من عوائق.

وتعتبر الإعاقة ـ بكل المقاييس ـ كارثة فردية وعائلية وذلك لما يحمله مفهوم الإعاقة من تعقيدات صحية واجتماعية ونفسية وما تسببه الإعاقة من تأثيرات اجتماعية واقتصادية كونها تحد من مزاولة الفرد أوجه الحياة المعتادة وتنعكس سلبياً على حياة الأسرة، ومع اختلاف أسبابها تختلف أنواع الإعاقات ومدى تأثيرها وتتباين، ومع ذلك فإن الغالبية تنظر إلى الإعاقات بمنظور صحى ـ كمرض مزمن ـ وقد يكون مقعداً، وتأتى صدمة أو "عقدة" الإعاقة من القصور فى كمال التأهيل ,فمن النادر أن يكون بالإمكان إعادة الشخص المعاق إلى قدراته السابقة قبل حدوث الإعاقة.

ولم تكن الإعاقة فى الحياة العملية حاجزاً ، يقف أمام إنجازات المعاقين فى مختلف مجالات العلم، واشتهر كثير من علمائنا البارزين بما ابتلاهم الله به من عاهة وغلب ذلك على أسمائهم التى لا تعرف إلا بالرجوع إلى كتب التراجم.

لقد قرر الإسلام الحقوق الإنسانية العامة فى تكريم الإنسان لذاته وليس جماله أو كمال جسمه وقدراته.

ومن هنا تأتى الدلالة على أهمية البحث العلمى كاستثمار لتحسين طرق وسبل الوقاية من الإعاقة من جهة واستجلاء

الوقف هو الصبغة المثلى للإنفاق على أوجه الخير وتحرى المصارف الشرعية فى ذلك

مـجـالات الإفـادة من مـخـتلف أوجـه التـقنيـات الحـديثـة والتـقـدم العلمى فى المجالات الصحية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية لتحسين طرق التأهيل والإفادة من مـعطيـات البـحث العلمى وتخـفـيف الإعاقات. وليس من شك أن الأخذ بأسباب الوقـاية أسـهل الطرق لتـجنب الإعـاقـات بمختلف أنواعها وتأثيراتها ومضاعفاتها، كما أن مـخـرجـات البـحث العلمى فى مـجـالات التقييم والتشخيص ووضع الخطط المناسبة للتـأهيل من جـهـة وإعـداد القـوى البـشـرية وإثراء معـارفها وتطوير قدراتها للتعامل مع الإعاقة والمعاقين وتأصيل الخدمات بمختلف أنواعها على أسس علمية ومعلومات دقيقة وإحصـائيات مـوثقة، تعتبـر أساس الكفاءة العملية فى مجال خدمات المجتمع.

ومع أن البحث العلمى بطبيعته مُكلف اقـتـصـادياً، كـمـا أن الفـائدة العـمـلـيـة من مـخـرجـاته فـى مـجـال التـقـانة التـأهيلية مكلفة على وجه الخصوص،إلا أنه لا بديل عن البـحث العلمى، منهـاجاً وطريقـةً، ولا عـوض عن تطوير المعـرفـة واكـتـسـاب الخبرات العملية وتقييمها.

والخـيـار الأمـثل لمجـابهـة مـشكلات الإعاقة المتعددة الجوانب يتمثل فى توفير المعلومـات إلى جـانب الخـبـرات واتبـاع الطرق الملائمـة لخـدمـات الرعـايـة والتـأهيل. حيث تقـيـيم أوضـاع المعـاقـين الصـحـيـة والاجـتـمـاعـيـة والنفـسـيـة والاقتصادية، وتحسين أحوالهم والإفادة من قـدراتهم بقـدر الإمكان فـى المجـتـمع، يتطلب سلوك طرائق البـحث العلمى وتسـخـيـر وسـائله وأدواته فى المجـالات الصحية والتعليمية والتدريبية والتأهيلية بمختلف أنواعها. ونحن فى هذا العصـر، عـصـر العلوم والتـقـنيـة والنمـو المطرد للمعـارف والتقنية، لا بد لنا أن نواكب هذه المسيرة وأن نحث الخطى للسير معها طلباً لتحقيق ما يمكن تحقيقه لخدمةالمعاقين وتنمية مشاركتهم كأعضاء نافعين فى المجتمع.

وحـيث إن الوقف يسـتند على مـبـادئ الشـريعـة الإسـلامـيـة والتوجيه السديد من هدى القرآن والسيرة النبوية المطهرة. فمن هذا المنطلق، وتحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعى قامت العديد من الدول الإسـلامـيـة بتـخـصـيص البـعض من عـائدات أوقـافـهـا واستثماراتها لهذا الهدف.

كما قامت المؤسسات الخيرية ببناء الدور وتوفير مطاعم تقدم الطعام للمحتاجين ومؤسسات لرعاية اللقطاء واليتامى والمقعدين ومكفوفى البصر والعجزة يعيشون فيها موفورى الكرامة.

كـمـا خـصصت بعض المؤسسـات جـزءاً من أوقـافـهـا للصـرف على مجالات البحث العلمى ـ والذى يعد كاستثمار طويل الأجل ـ يهدف إلى التعرف على مسببات الإعاقة والعمل على تلافى حدوثها قدر الإمكان.

وأرشـد الإسـلام إلى المصـادر الماليـة لسـد حـاجـات الفـقـراء والمحتاجين وجعل القيام بها من فروض الكفاية وما نصت عليه الشـريعـة من الفئـات ذات الاسـتـحـقـاق جـاء على سـبيل المثال لا الحصر، ودخل المعاقون معهم بناء على القاعدة الفقهية المعروفة (العـبـرة بعـمـوم اللفظ لا بخـصـوص السـبب) بل إن الفـقـراء منهم يدخلون فى مصرف الزكاة الواجبة وجرى المجتمع الإسلامى على ذلك فى تاريخنا الحافل بالمؤسسات الخيرية، وبهذا أحرز الإسلام قصب السبق فى رعاية المعاقين.

وحـالـيـاً تـتـجـه مـعـظم المجـتـمـعـات إلى إسناد أدوار مـتـنـامـيـة للمؤسسات غير الهادفة إلى تحقيق الربح والوقف أحد المؤسسات المهمة فى هذا القطاع التطوعى، ومنها:

١- الإفادة من معطيات الصيغة الوقفية فيما فيه الصالح العام.

٢- تنشيط وتنمية فعالية ودور الوقف فى تحقيق التكافل الاجتماعى وأن ينطلق العمل الوقفى المعاصر من خلال تخطيط استراتيجى تنموى، قائم على أسس علمية مدروسة.

٣- إيجاد آلية للتنسيق وتبادل المعلومات وإقامة الندوات والمؤتمرات والدراسة والبحث عن أنجع السبل لإدارة واستثمار الوقف.

٤- دعم برامج وأنشطة ومشروعات ومؤسسات متخصصة فى رعاية بعض فئات المجتمع (الأسرة و المرأة والشباب والطفولة وذوو الاحتياجات الخاصة ومنهم المعاقون).

٥- العمل على أن يكون الوقف صيغة مثلى للإنفاق فى أوجه الخـيـر وتحرى المصـارف الشـرعـيـة فى ذلك، كـمـا هو كـذلك إطار للتنمية وزيادة الموارد وصولاً لتحقيق المقاصد الخيرية للواقفين (المنفعة الدنيوية والأجر الأخروى).

من معارك القرن الماضى

وقفات فكرية للأستاذ محمد فريد وجدى مع علمـــاء الأزهـــر

الدكتور محمد رجب البيومى

كتبتُ من قبلُ فصلاً خاصًا بعمل الأستاذ محمد فريد فى القيام على إدارة مـــجلة الأزهر وتحـــريرها، فـأشـرت سـريعًـا إلى أنه قـام على رئاسة التحرير خلفًا للأستاذ الإمام محـمـد الخضـر حسين رحمه اللّه، وقد كانَ من ديْدن الخضر أنْ يتعقّب الآراء الشاذة فى البحوث العربية، خـارج مـجلة الأزهر، ليـردّ عليـهـا بلسـانه المبين، إذ إنّ من أهداف هذه المجلة أن تُقَـوِّم المعـوّج، وأن تُرشـد الضـال، فلمّـا تولَّى الأسـتـاذ وجـدى امـتـدّ ببـصـره أوَّلاً، إلى مـا يفـد من أُوروبا من آراء مناوئة، عـالماً أنّ فى بعـضـهـا مـا قـدْ يُزعـزعُ القـارئ فى اعـتـقـاده ممنّ لا يميّزون بين الخطأ والصـــواب، ولابّد أن تَقـــوم المجلة بدوْرها فى مُـحـاصَـرة هذه الآراء المريضة منْعاً لانتشار عدواها القاتلَة، لذلكَ وجْدنا الأستاذ يتجّه بكلّ قوته إلى دَحْض هذه الأراجيف، ومُتابعتها فى دقّـة واسـتـيـعـاب، والرجلُ بنور بصيرته يعرفُ مَن انْحَرَفَ عن قَصد، ومَن انْحـــرف عن غَـــرض، ولكنّه لا يَعْنفُ بأحد، بل يقدّم رأى مُخالفه، فى إيجاز مستوعب كيْلا يفـتـرى عليـه مـا لمَ يقل، ثم يعـقّب على كلّ فـقـرة بما يبـيّن انحرافها المخطئ فى هدوء نفسى، مع أنّ بعض من يُناقشُونه يفوهون بعبارات متسرّعة ليسَ لها مكانٌ فى مجال النقد الموضوعى النزيه، وهو يُفْضِى عنْ ذلك دُون تعقيب على هذه اللجاجات!

قلتُ إنه امتّد ببصره أولاً إلى ما يَفد من أوروبا من شبهات، لأذكَر أنّ هذا البصر الممتد، قد شمل ما يُرْسله الكاتبون إلى مجلة الأزهر ممّا يصلحُ أن يكون موضعاً لاختلاف وجهات النظر، وموقفُ الأستاذ فى هذه الناحية موقُف الشجاع الّذى يَحرْص على إيضاح الحقيقة ولا يُجامل فى مسألة علمية تستدْعى الجلاء، وهكذا رأْيناَ تعقيبات كثيرة للأستاذ وجدى على نَفرٍ من كبار أساتذة جامعة الأزهر لم نعهد مثيلها من قبل فى عهدِ الأستاذ الخضر حسين، والذّى دعا الأستاذ وجدى إلى هذه المواجهة العلمية المحمودة علمُهُ الراسخ بأنّ الحقيقة بنت البحث، وأنّه شخصياً يْنشرُ بارتياح ما يَبعثه ناقدُوه بخصوص بعض مقالاته، ويردُّ عليها شاكراً مقدّراً، وصاحُب هذه الروح الصّافية الوفية قد يجد مغاضَبةً من بعض من لاَ يْذهبون مع حرّية الفكر مذْهبَه، فيتطاولون عليه فى غير مجلة الأزهر وهَذا مـا حـصل فـعـلاً، ولكنّه كـان لا يُلقى بالاً إلى هذه التـرهات، ويعدُّها مما لا حيلة فيه أمامَ الضّعف الإنسانى الذى لا سبيل إلى إنكاره.

ويحّق لنا فى هذا الكتاب الخاصّ بالرجل، وفى هذا الباب الخاص بِنُفُوذه العلمية أن نَعرض هنا لبعض هذه المصاولات

العلمية بينه وبيّن الكبار من هؤلاء، إذ نجدُ أستاذيّةً جديرةً بالتقدير، وذاتَ نظرٍ مستقل فى كلّ ما تَعرض له من شئون البحث وليسَ الذّى يخصهّم بالتعقيب ـ إلا من ندر ـ رجالاً مَحدودى النظر، بل هُمْ من حملة أكبر الدّرجات العلّمية من جامعات الغرب وممنّ طارَ لهُ ذكرٌ بالبحْث النظرى إنْ لم يكن من أصحابِ هذه الدرجات ومن الفريق الأول من تخصيص فى أدق فروع الفلسفة فى أعرق الجامعات الأوروبّية، ولَسْنا نُضائل مِنْ فضْلهم حين نَذكرُ أن الأستاذ وجدى قد تعقّب بحوثهم بالملاحظة كما تعقّبُوه أيضاً فى أكثر ما جاء به، ولكّننَا نعرضُ صورةً من السماحة العلمية الباهرة استُلقتْ بملامحها الزّاهية على صفحات مجلة الأزهر حين شَاهدنْا رأياً يصول على رأى، ونظراً يختلف عن نظر.

لقد كتبَ الأستاذ الدكتور محمد البهى ـ وهو من الشهرة بحيثُ يُغنى اسمه عن التعريف به ـ مقالات تحت عنوان «الفلسفة بينْ الوجود والفكر» ذهبَ فيها إلى أنّ الفلسفة الدينيّة، يَهوديّةً أو مسيحيةً أو إسلاميةً. كانَت مهمتها التوفيقَ بين ما نُسب إلى فلاسفة الإغريق من ناحية، وبيّن ما يقولُ الدين من ناحية أخرى دُون استمرارٍ فى البحث على أساسِ الاستقلال، وهو الأساسُ الذى تميّزتْ به الفلسفةُ عن الدين، ولكنَّ عهد النهضة الأوروبية حوّل البحث فى الفلسفة عما وراءَ الطبيعة إلى الطبيعة نفسها، لأنّ نتائج البحث فى الإلهيات، تَبْعد كثيراً عما يطلبهُ المقياس العلمىّ الحديث، فَتعرُّضُ الباحث لها وحدها، حُكْمٌ بالعُزلةِ عنِ التيار الفكرى الجديد.

هذا لبابُ ما اتّجه إليه الدكتور محمد البهى، وقد عارَضَه الأستاذ وجدى قائلاً : إن حديَثه هذا لا شبهةَ فيه، من ناحية تصوير النزعة الإلحادية للفلسفة الماديّة، ولكنّى أقرّر أنّه لا تُوجد فى الإسلام فلسفة مستمدة من الخارج، يُمكن أن توصف بأنّها إسلامية! وكّل ما وُجد فى عهد نهضة المسلمين أنّ أفراداً منهم أُغرِموا بالثقافة اليونانية القديمة، فأخذُوا إخذَها فى الفلسفة، واشْتغلُوا بدراسة مَذْهَبىْ أفلاطون وأرسطو وأوْسعوهما تفْليةً وشرحا، حتى صارُوا من زعماءِ الفكر علَى عهدهم، ولستُ أُنكر أن هؤلاء حَاولُوا تطبيقها على الإسلام، ولكنّ أئمة الدين فى كلّ زمانٍ ومكانٍ أنكروا عليهم ذلك، وجاءَ حجة الإسلام فى القرن الخامس الهجرى، فبيّن قصر نظرهم، وضَعْفَ أدلتهم فى كتابٍ مشهور ذائع، فإذا كانَ قد حَدثَ فى الفلسفة تطوّرٌ منذ عهدٍ النهضة الحديثة، فلن يُصيب الإسلام منه شىء، لأنّه بفكره مستقلٌ عن فلسفة الإغريق، وقد قَاوَمَ أئمةُ الإسلام الفلسفة اليونانية فى أوّل ظهورها لأن الإسلام نفسه أتاهُمْ بالحكمة التى تُغنى عن هذه الفلسفة.

والدكتور البهى فيما تحدّث به عن صلة الفلسفة الإسلامية بفلسفة الإغريق، ومحاولةِ بعضِ الفلاسفة من الإسلاميّين السّيرْ فى ضوئها للتّوفيق بينها وبين معتقدات الإسلام مما يسميّه الغربيون بالفلسفة الإسلامية يميل إلى الاقتناع بهذه الصلة بين الفلسفتين، ولكن المجادلات التى بدأها الأستاذ وجدى لدحض هذه الفكرة، جعلت الدكتور البهى يعدل عن وجهته، فيقرر أن الفلسفة الإسلامية شىء وما صنعه بعض المفكرين فى الإسلام من إدخال مقرراتها على الفكرة الإسلامية شىء آخر، لا يمت إلى الإسلام، وأذكر فى هذا المجال أن الأستاذ الشهيد سيد قطب كان قد عاب على الأزهر اشتغاله بالفلسفة الإغريقية على أنها هى الفلسفة الإسلامية، فرد عليه الدكتور البهى بخطاب قال فيه[1] :

«وأود أن أطمئن الكاتب على أن الأزهر فى تاريخه لم يدرس الفلسفة الإسلامية، على اعتبار أنها تمثل الإسلام، أو

تحكى مبدأ من مبادئه، أو هدفاً من أهدافه، ففى ماضيه كان يحرم دراسة هذا النوع الإلهى من الفلسفة الإسلامية، لأنه كان يرى فيها انحرافاً واضحاً عن الإسلام، ومن أجل ذلك كان يلوم فلاسفة المشرق من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا» وجارى الغزالى فى كتاب (تهافت الفلاسفة) إذ كَفر هؤلاء الفلاسفة جميعاً لمسايرتهم الفكر الإغريقى فى القول بقدم العالم، وقصر علم الله على الكليات، وإنكار بعث الأجسام، وفى العصر الحديث يدرس الأزهر فى كلياته الفلسفة الإسلامية، كما يدرس أنواع الفلسفات الأخرى من الإغريقية إلى الدينية فى العصور الوسطى إلى المذاهب الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة على أنها اتجاهات للفكر الإنسانى فى أزمنة متعاقبة، وفى بيئات مختلفة، وقد يكون بعضها ترديداً لبعض، أو إضافة جديدة لما سبق، وهو فى هذه الدراسة يوازن بين إنتاج الفكر الإنسانى فى عصوره المختلفة، وبين الإسلام كدين أوحى به من قبل من له الكمال المطلق، وأن الأزهر الحاضر تسيطر عليه فى البحث والتوجيه روح إسلامية شرقية، وعت ما فى الإسلام من مبادىء، ودرست ما كان لشعوبه من خصائص، فى الأدب والحكمة».

وهذا كلام قاله الدكتور البهى فى ١٩٤٩/٥/٢٣م، وكانت مجادلته مع الأستاذ محمد فريد وجدى فى سنة ١٩٤١م ولو اتجه هذا الاتجاه فى مقالاته التى عقّب عليها الأستاذ ما اتسع مجال الخلاف.

وقريب من مجادلة الأستاذ وجدى للبهى مجادلته للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى وهو أحد أفاضل المبعوثين إلى السوربون الذى نالوا دكتوراه الدولة عن جدارة وتقدير، فقد كتب الدكتور موسى بحوثاً تحت عنوان (بين رجال الدين والفلسفة) ذهب فيها إلى أن رجال الدين فى الإسلام قد جافوا الفلسفة اليونانية وحاربوا أنصارها بلا هوادة ولا إنصاف، وعدّ الدكتور ذلك خطأ كبيرا كان الواجب ملافاته، فرد عليه الأستاذ وجدى قائلاً : إن المسلمين لم يجافوا الفلسفة اليونانية سذاجة وبلاهة منهم، ولكن لأنه كانت لديهم فلسفة أتاهم بها القرآن، تسمو على كل فلسفة فى الأرض، وهى الحكمة، ولا عبرة بالتسمية، ونحن إذا نظرنا إلى أصول الحكمة فى القرآن نجدها تبزّ ما نعرفه من مقررات الفلسفة، لأن الحكمة القرآنية تتناول جميع ما يتصل بحياة الإنسان المادية والأدبية، وهى تبتدىء من قواعد الآداب العامة، وموجباتها الحيوية، إلى الحالات العالية للنفس الإنسانية، وبواعثها من العوامل الروحية، ومن أوليات الأصول الاجتماعية، إلى نهاية الوحدة الإنسانية بل العالمية، ومن بسائط الأسس الإدارية والاشتراعية إلى أعلى مبادئ الحكومة الدستورية، ومن أوضح القواعد الثقافية، إلى أسمى وأدق القوانين الفلسفية والعلمية، وهذه الأصول كلها مبثوثة فى القرآن الكريم.

وبعد أن ذكر الأستاذ بالتفصيل عشرة أصول من أصول الحكمة فى القرآن، قرر أن الحكمة القرآنية بطبيعة تركيبها، وبمقتضى أصولها هى من الضرب الذى

أوجدت الحكمة القرآنية أمة من العدم لا عهد لها بكتاب أو حكمة فنالت زعامة العالم فى قرنين من الزمان

استقامت الأمة العربية بفضل الإسلام على نهج الأمم التى كتب لها بلوغ أقصى الغايات من النظام والتوسع واحتمال التبعات

اتفق على تسميته حديثاً بالفلسفة العملية، وهى التى تقرر أنها الفلسفة الحقة التى لا يجوز تجاوز حدودها، وقد تتابع الرد والتعقيب فى هذا النطاق على نحو ما يعرفه المتتبعون لهذه الجولات الفكرية الرائعة حقاً، ومن أصدق ما قاله الأستاذ وجدى فى هذا المجال «إن هذه الحكمة القرآنية هى التى أخذت بها أمةٌ بدوية، لا عهد لها بكتاب ولا حكمة، فنالت زعامة العالم فى العلم والسلطان والسياسة والصناعة فى قرنين من الزمان، فإن كان يضن عليها بكلمة فلسفة، فربما كان للضانين بذلك الحق اعتبار بأنها أرقى من الفلسفة بما لا يقدر، إن الفلسفة اليونانية لم تخلق أمما، ولكن الأمم هى التى خلقتها، وهذه الحكمة القرآنية أوجدت من العدم أمة كان لها أثر فى الأرض لا تشتبه بغيره، ولا تزال الحكمة التى أوجدتها حية، وسينتهى الأمر بسيادتها على كل فلسفة فى الأرض».

هذا فحوى ما يقال عن الفلسفة الإسلامية، واستقلالها عن فلسفة الإغريق، والمتتبع لمناقشات الأستاذ وجدى فى جميع أدوار حياته يجدها تتعلق بالكليات العامة فى أكثرها فهو لا يناقش كاتبا ما، لملحظ جزئى، يندرج فى بحث شامل، فيجعله موضع لجاجٍ لا يتحمل الحوار، كما لا يستطرد لأدنى مناسبة إلى معنى يفهم تلميحاً لا تصريحاً، فيجعله مثار الضجة والشجار، مما نعهده لدى كثير من المعقبين، ولكن الناقد الفيلسوف يجنح إلى القضايا الكلية التى يقف أمامها الباحث موقف الملاحظة، ليتخذها موضوعاً للمجاذبة الهادفة، إذ يحرص على أن يصل بها إلى حد يجعلها صواباً، بعد أن يفند كل شبهة تخالف اتجاهه النظرى، لقد كتب الدكتور أحمد موسى مقالاً بمجلة الأزهر تحت عنوان (الشعوبية وأثرها فى الأدب العربى) جرى فيه دون قصد ما مجرى ذوى الاستشراق ممن يحبون أن يبذروا الفرقة بين الأمة المؤمنة بإحياء نوع من العصبية القاتلة، فيجسمون، ما يقعون عليه من حادثة فردية، أو بيت شعرى لقائل متسرع، ليجعلوا منه أدلة على البغض الكامن بين الفُرس والعرب، مع أن الأمة العربية نفسها قد وجد من ذويها من ناصبها العداء، فلم يدل ذلك على شعور عام، بل دل على شذوذ فردى لا ينبغى أن يتخذ قاعدة مطردة، وفى الحديث عن أثر الفُرس فى الكيان الإسلامى ذكر الأستاذ ما لهم من قدمة فى العلوم والآداب والسياسة إذ سبقوا غيرهم من الشعوب الإسلامية فى النظر والتفكير، ونبغ منهم أئمة فسروا الكتاب، وأقطاب حفظوا سنة الرسول، وأعلام جمعوا لغة العرب، ووضعوا علومها وآدابها،فلم يشعر المسلمون وفيهم العرب بأدنى مضض من ذلك، إذ محا الإسلام من بينهم عوامل الاختلاف الجنسية واللغوية واللونية.

يقول الأستاذ وجدى «إنك لو سألت أية جماعة إسلامية فى أية بقعة من الأرض ومن بينهم العرب، من سلفكم الصالح الذين حفظوا

القرآن والسنة وآثار الصحابة ودونوها وبوبوها وشرحوها، ولقنوها للشيوخ والأئمة لعدوا لك عشرات الأسماء فى مقدمتهم الحسن البصرى وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والأعمش ومكحول وميمون بن مهران وربيعة الرأى ونافع وابن أبى ليلى، وهذه الأسماء قد لمعت فى العصر الأموى، الذى ادعى عليه أنه تعصب على الفرس، وهذا الانحراف فى التفكير فى رأى الأستاذ وجدى قد نشأ من خطأ جلل وقع فيه الدكتور طه حسين، فتلقفه الطلاب فى البلاد العربية لا عن فحص، ومضى الأستاذ إلى غايته، التى تقر أن الإسلام قد غرس فى أبنائه المساواة والإخاء، وأن الحكم العام لا يكون باصطياد الشواذ والنوادر من كتب الأدب والمسامرات، ودواوين المتطرفين من مجان الشعراء وإذا كان الدكتور طه حسين قد أتى بهذا البدع فى محاضراته بكلية الآداب، فقد عرفت هذه الكلية باحثاً أميناً جاداً هو الدكتور عبد الوهاب عزام ردد ما عناه الأستاذ وجدى، وجاء بالأدلة الداحضة لما سبق من خطأ صريح، وإذا كان الأستاذ وجدى قد اقتصر على أعلام العصر الأموى من أئمة الإسلام، فقد بسطت هذه القضية فى كتابى (النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين[٢]) وذكرت خلفاء الأئمة الأمويين فيما تلاهم من العصور من أمثال البيهقى والنيسابورى والخوارزمى والجرجانى والتفتازانى والرازى والزمخشرى والشيرازى والبيضاوى والبخارى والقزوينى والطوسى والسمرقندى والترمذى والسجستانى والنسفى والهمذانى ومن لا أستطيع أن أقف بسردهم عند حد، ليعلم الذين يتلقفون شطحات الاستشراق دون فحص أنهم متسرعون.

وشبيه بدعوى الشعوبية دعوى التقدم الفكرى لدى الجاهلين، وقد تحدث الأستاذ وجدى عن جانب منها فى رده على الفيلسوف (جوستاف لوبون) فى الفصل القادم، ونكمل الجانب الآخر بالإشارة إلى الرد الحاسم الذى كتبه الأستاذ وجدى تعليقاً على مقال نشره الأستاذ محمد صادق عرجون تحت عنوان (الحياة الأدبية عند العرب) وقد نحا فيه منحى الفيلسوف الفرنسى، فعقب عليه الأستاذ وجدى بمقال جيد قال فيه : «إن الإسلام وحده هو الذى وحد قبائل العرب، وأسقط ما بينهم من فروق قبلية، ومن إحن وضغائن جعلت جماعتهم أشبه بالأمم المتعادية، لا تفتر عن التناحر والتناهب طرفة عين، والإسلام هو الذى رفع عنهم طابع الأمية، ودفعهم لطلب العلم دفعاً لا هوادة فيه، وبفضل الإسلام استقامت الأمة العربية على نهج الأمم التى كتب لها بلوغ أقصى الغايات من النظام والتوسع واحتمال التبعات، وفوق هذا فنحن أبناء الإسلام لا أبناء العرب ولا الفرس ولا غيرهم، وقد وحد بيننا الإسلام تذرعاً لتكوين أمة عالمية، كانت وستكون مثالاً أعلى للاجتماع الإنسانى الصحيح، وقد مضت تلك الجاهليات مرذولة مذمومة إلى حيث لا تعود».

هذا بعض ما جال به قلم الأستاذ فى مجلة الأزهر تعقيباً على بحوث جديدة رأى فيها ما يستأهل النظر والتعقيب، وهى مثال جيد لتعقيبات كثيرة قام بها الأستاذ على مدى خمسين عاماً هى عمره الأدبى السعيد، وليس الاستقصاء فى وسعى، ولكنى أمثل فقط، راجياً أن تكون نظرات الرجل الكبير فى هذه الاتجاهات موضع المعاودة والترديد[٣].

هامش :

(١) مجلة الرسالة (العدد (٨٢٩) - ١٩٤٩/٥/٢٣م.

(٢) النهضة الإسلامية فى سير أعلامها المعاصرين للدكتور محمد رجب البيومى ط دار القلم جـ (١) ص ٣٩٤.

(٣) تيسيراً على القارىءالكريم أشير إليه بالرجوع إلى كتابى (مناقشات وردود) الذى جمعته من مقالات الأستاذ وجدى، وفيه كل ما أشرت إليه من بحوث الأساتذة البهى وموسى وأحمد موسى وعرجون. وردوده عليها وفيه أيضاً ما كتبه عن آراء جو ستاف لوبون، وهو مجال الحديث فى الفصل التالى، وقد صدر الكتاب عن المؤسسة المصرية اللبنانية بمصر.

الشيخ عبد العزيز البشرى أديباً وناقداً

د. محمد مصطفى سلام

البشرى علم من أعلام الثقافة العربية، عاش فى مصر فى زمن العمالقة من أمثال شوقى، وحافظ، والعقاد، والمازنى، وشكرى، والرافعى، وزكى مبارك، وغيرهم من أصحاب المواهب الفذة الذين أناروا حياة الأمة بأدبهم، وعايشوا المجتمع بوجدانهم ومشاعرهم، فى هذا العصر الزاهر المشرق عاش (الشيخ عبد العزيز البشرى) أديباً مرموقاً، كان لأدبه مذاق خاص فى انتقاء الكلمة، وسلامة العبارة، كان يصور ما يراه وما يحسه فى دقة وإبداع.

وكانت لديه ميزة خاصة تميزه عن سواه، لأنه كان خفيف الظل مرحًا «فكهًا» يمزج أدبه بالفكاهة، ولذا فإنه قد انفرد بروح أدبية بديعة، نراها فى كل ما كتبه فى الصحافة الأدبية وفى كل ما جادت به موهبته، وكان يقدم الأحاديث الرائعة فى الإذاعة، يوجه بها المجتمع ويرشده على طريق التقدم والازدهار، وقد تحدث عنه عميد الأدب العربى «الدكتور طه حسين» فقال مبينًا ذكرياته مع الشيخ «عبد العزيز البشرى» :

كان «عبد العزيز» يزورنى فى الغرفة التى كنا نعيش فيها فى ربع من ربوع خان الخليلى، وكنا نلتقى فيها حين نتفرق عن درس الفقه، وحين يرتفع الضحى لنقرأ بعض كتب الأصول أو بعض كتب البلاغة.

وكان عبد العزيز يلهينا بدعاباته وفكاهاته عن جد البلاغة والأصول.

وإنى لأرانى مع «عبد العزيز»، و «على عبد الرازق»، فى هذه الغرفة نفسها بعد أن نصلى العصر نقرأ كتاب «الكامل» للمبرد ونحصل بهذه القراءة اللغة والأدب، وكان «عبد العزيز» يجلس معنا يمرح ويمزح، ويتفكه بنوادره الطريفة، ليسرى عن أنفسنا عناء التعب والمشقة التى لاقيناها من القراءة فى هذه الكتب العميقة المعنى والبديعة الأسلوب.

وكان «عبد العزيز» يحب التنقل ومعايشة الأصحاب، فكنت تراه مصبحًا فى هذا الحى من أحياء القاهرة فى الأزهر، أو قريبًا منه، فإذا صليت الظهر رأيته فى حى آخر من أحياء القاهرة قريبًا من دار الكتب، أو فى مقهى من مقاهى باب الخلق التى كان يجلس عليها الأدباء، أو فى حى الأزبكية، فإذا صليت العشاء الأخيرة رأيته فى حى آخر من أحياء القاهرة، تلقاه عند آل عبد الرازق فى عابدين، وتلقاه عند غيرهم من ذوى المكانة والجاه، وقد تلقاه فى قهوة من قهوات الناصرية مع جماعة من الأدباء يتصدرهم (حافظ إبراهيم).

وكان أسلوب البشرى أسلوبًا أدبيًا ممتعًا. فكان يصور الشخصيات عن طريق «مرآته» فيبين خصائصهم ونقائصهم، فى صور «كاريكاتيرية» ساخرة تريك المزايا والعيوب، وكتابه (فى المرآة) فريد فى نوعه وحيد فى فنه وأسلوبه، تجد فيه صورًا ساخرة ضاحكة غاية فى البراعة والروعة، كما تجد فيه صورًا فنية رائعة تعبر عن إحساسه ووجدانه.

وقد صور البشرى كثيرًا من الشخصيات الأدبية والسياسية فى مرآته مثل: (شوقى) و (حافظ) و (إمام العبد)، فمما قاله عن (شوقى) قوله: «لو خلق الله الناس كلامًا لكان شوقى نفسه قطعة شعرية جميلة نظمت فى الحب والرحمة، كان دقيق الجرم، لطيف الحجم، متناسق الأعضاء، مستدير الوجه، لا تزال عليه ملامح الصبا، إذا أقبل عليك يحدثك مالت حدقتاه عنك عن يمينك أو شمالك، أو ظلتا تضطربان بينهما حتى لتحس أنه يوجه الحديث إلى غيرك، ولقد ينقطع عن المجلس وهو فيه المرتين أو الثلاث، فلا يسمع ولا يرى ما يدور بين يديه فإذا رأيته على هذا الحال فاتركه لأن القريض بدأ يأتيه.

وهو خفيف الروح، نبيل الخلق واللسان، ترى فيه رقة العصفور، وترى فيه وداعة الحمام، وهو كما قلت لك قطعة من الحب والرحمة، لقد عارض الفحول وبزهم فى كل ما قال و «شوقى» هو «شوقى» من يوم ما شدن بالشعر ومن يوم ما تحرك به لسانه آية من آيات البيان يدوى بها السهل والجبل».

أما «حافظ إبراهيم» شاعر النيل العظيم فقد صوره تصويرًا «دقيقًا» لأنه كان صديقًا حميمًا له فيقول عنه :

«إن حافظ شاعر يحب الجمال ويكره القبح، كان جهم الصوت، جهم الوجه، كأنما قد قُد من صخرة فى فلاة موحشة.

كان خفيف الظل عذب الروح، حلو الحديث، حاضر البديهة، رائع النكتة، بديع المحاضرة، إذا كتب لك يومًا أن تشهد مجلسه أخذك عن نفسه حتى ليخيل إليك أنك فى بستان تعطفت جداوله، وهتفت على أغصانه بلابله، وهو كذلك شديد الفطنة، حلو الملاحظة، لا يكاد يعرض لسمعه أو بصره شىء إلا وجه له رأيًا «طريفًا» يصوغه فى نكتة.

وهو أجود من الريح المرسلة، لو أنه ادخر قسطًا مما أصابت يده من الأموال لكان اليوم من أهل الثراء.

على أنه ما فتئ طوال أيامه يشكو البؤس، حتى إذا طالت يده الألف جن جنونه إذا لم ينفقها، ولو استطاع أن ينفقها فى يوم لأنفقها، فإذا استغلقت عليه وجوه الإنفاق عد هذا من سوء الحظ، ولذا فإنه شكا الزمان أو قال فيه ما لم يتعلق بغباره شاعر».

وهكذا نرى قلم البشرى يفيض رقة وجمالاً، فى الحديث عن أدباء عصره

كان أسلوب البشرى أسلوبًا أدبيًا ممتعًا فقد كان يبرز خصائص ونقائص شخصياته فى صورة كاريكاتورية ساخرة

الذين عايشهم وأحبهم وأخلص لهم، حتى لنرى ذلك الإخلاص وهذه المحبة فى كلماته.

ومن الشعراء الذين عايشهم وصورهم فى مرآته : الشاعر «إمام العبد» الذى كان جيد الإلقاء، جهير الصوت، إذا أنشد الجمهرة هز الناس ورجهم وبعث بالتصفيق أكفهم وأطلق بالهتاف حناجرهم.

كان إمام العبد - رحمه الله - خفيف الروح، حاضر البديهة، مرسل النكتة لا يكاد يفتر عنها، يقفش لكل إنسان ولكل شىء.

ومن مزايا إمام العبد أنه كان عف اللسان لا يفحش ولا يقذع.

لقد كان إمام العبد ينظر إلى لونه، فكيف جعله هذا اللون فى هذا المجتمع مهضومًا «غريبًا» فتثور نفسه ويرى أن هذا اللون قد ضيع حظه فى الحياة فيقول :

نسبونى إلى العبيد مجازًا
بعد فضلى واستشهدوا بسوادى
ضاع قدرى فقمت أندب حظى
فسوادى على ثوب حدادى

لقد كان إمام العبد صاحب شاعرية رحبة صاخبة كموج البحر، شفافة كصفحة الغدير، وإنه لمن الشعراء الجديرين بالذكر حقًا.

رحم الله البشرى لقاء ما قدم لأمته من أدب رائع وبديع بين مكانته الأدبية التى نراها فى كل ما تركه من تراث خالد، يضىء للأجيال القادمة طريق التقدم والارتقاء على مر الأزمان والدهور.

المراجع :

١ - فى المرآة - البشرى.
٢ - النقد والنقاد المعاصرون، د. محمد مندور.
٣ - تاريخ الأدب العربى، الزيات.
٤ - النقد الأدبى، د. غنيمى هلالى.
٥ - بين الأدب والنقد، د. محمد مصطفى سلام.

من أعلام الآثار والفنون الإسلامية

حسن عبد الوهاب

(١٨٩٨-١٩٦٧م)

د/ عبد الفتاح مصطفى غنيمة

ولد بالقرب من مصر القديمة بمنطقة كثرت فيها الدور ذوات المشربيات والنوافذ من الخشب الخرط الرقيق. وأبوه من علماء الأزهر، وجده من أعلام القراءات ورسم المصحف وأستاذ العلامة الجليل أحمد باشا تيمور، فى هذا البيت نشأ حسن عبد الوهاب فحفظ القرآن ودرس مبادئ العلوم فى الأزهر ثم تجهيزية دار العلوم.

التحق بخدمة لجنة الآثار العربية فى عهد السلطان حسين كامل، وعمل مع السويسرى «هرتس باشا» ومع الفرنسى «جاستون فييت»، ومع المهندس المصرى «محمد باشا أحمد» أول من تولى الآثار العربية من المصريين. وكان لهؤلاء فضل صيانة وترميم كثير من مساجد مصر الإسلامية، ومدارسها، ومشاهدها، على أسس علمية وفنية حتى منتصف الأربعينيات. وكانت مصر تزخر بأجيال الصناع والمزخرفين.. وبين أيديهم اشتغل حسن عبد الوهاب مفتشاً للآثار، ثم كبيراً للمفتشين، حتى أحيل إلى المعاش عام ١٩٥٨م. ولكن حاجة الدولة إلى خدماته وعلمه أعادته خبيراً فنياً للآثار الإسلامية والقبطية.

كانت ميزة من ميزات هذا العالم الجليل منذ بدء اشتغاله بالآثار اهتمامه البالغ بعملية التصوير الضوئى لأى قطع أثرية رغم بدائية آلات التصوير فى أوائل القرن العشرين، وقد دعم كل أعماله الأثرية بتصويرها قبل العمل فيها وبعد الانتهاء منها، مما ساعد على اجتلاء محاسنها وتتبع رقيها وتطورها، فقد تأكد له أن الصورة الضوئية أهم تقنيات الاتصال البصرى فى مجالات التوثيق العلمى، وفى تسجيل الأحداث والأحوال الفنية، ومن المؤكد أن الصورة تغنى عن ألف كلمة، فهى تستخدم لأغراض الفن والمتعة والجمال والمعرفة، وهى لا تتطلب معرفة مسبقة بلغة معينة، فهى بذلك تستوعب اللغات جميعًا، بالإضافة إلى ذلك فإن أثرها يبقى عالقًا بالذهن، وأنه من الممكن العودة إليها فى أى وقت نريد، والمعلومات التى تحملها الصورة يمكن تحليلها وتفسيرها وهو ما نطلق عليه قراءة الصورة، وقد ارتبط استخدام الصورة عند حسن عبد الوهاب فى توثيق المعلومات الخاصة بالمساجد الأثرية، وأن الصورة تختزن فى

مساحة صغيرة قدرًا كبيرًا من المعلومات البصرية يمكن أن تصل إلى الرائى بأسلوب مبسط ومنطقى، يمكن من خلاله استيعاب المعلومات الواردة فى الصورة وتحليلها بمصداقية وكانت له البحوث العلمية الطيبة، فى حياة الصناع.

فقد اهتدى حسن عبد الوهاب إلى وضوح شخصية الفنان الصانع على التحف، وهى من الظواهر اللافتة للنظر فى الصناعات الخزفية والخشبية والمعدنية، ودراسة إنتاج هؤلاء الصناع يتضح أن لكل منهم أسلوبه الصناعى وطابعه الخاص الذى يتفرد به عن غيره.. والحق أن تمسك هؤلاء الصناع بمميزات خاصة وأسلوب شخصى من جهة أخرى يدحض الافتراء الذى اعتاد بعض المستشرقين أن يوجهوه إلى الفنانين المسلمين، حتى يتهموهم بانعدام الشخصية الفنية، ولقد استطاع حسن عبد الوهاب بصفته من علماء الفنون والآثار من دراسة الكثير من الفنون الإسلامية الزخرفية، كما اهتم بالعمارة الإسلامية ونظم البناء فى العصور الإسلامية وتخطيط المدن. وذلك لاهتمامه بمدينة القاهرة التى أسست على يد الفاطميين عام ٩٦٩م والتى تشمل الفسطاط والعسكر والقطائع، فضلاً عما أضيف إليها من أراض خارج أسوار القاهرة القديمة.

ومما لفت نظر حسن عبد الوهاب وغيره من أساتذة الآثار والفنون الإسلامية أن مدينة القاهرة كانت عند تأسيسها مدينة ذات طابع حربى يسكنها الجند، ومن ثم كانت أسماؤها ترتبط بهذا المعنى، فالفسطاط: تعنى مخيمات الجند، والعسكر: هى اسم الجند، والقطائع: تشير إلى الأقسام التى اقتطعها ابن طولون لجنده، أما القاهرة: فاسمها يرتبط بأمل المعز لدين الله الفاطمى وجنده فى قهر أعدائهم والانتصار عليهم. ولاتزال أحياء القاهرة تحتفظ بمعالم أثرية وفنية ترمز إلى عصورها. فى مصر القديمة نجد جامع عمرو بن العاص.. رمز فتح العرب لمصر.. وخلف جامع عمرو تقع أطلال الفسطاط، وبها جامع ابن طولون رمز الدولة الطولونية، وبالإضافة إلى هذين المسجدين هناك معالم أخرى كثيرة ترمز إلى مراحل مختلفة من

حياة القاهرة العظيمة مثل الأزهر، وقلعة صلاح الدين، وخانقاه فرج بن برقوق وغيرها.. وكل حى من أحياء القاهرة يمثل معالم أثرية متميزة من تاريخها.

وقد ألف حسن عبد الوهاب كتاب «تاريخ المساجد الأثرية» من جزأين، الجزء الأول للمادة العلمية، والجزء الثانى للصور لواجهات ومناظر داخلية لتلك المساجد. كما حوى الكثير من التفاصيل المعمارية التى تساعد على بيان دقائق العمل الهندسى واجتلاء محاسنه، وهذه المجموعة من المساجد التى ضمنها حسن عبد الوهاب كتابه هى أهمها وأكبرها، وقد جمعت بين المسجد الجامع، والمدرسة، والخانقاة، وتنوعت فيها العمارة الإسلامية فى عصورها المختلفة بمصر تنوعًا يساعد القارئ والباحث للوقوف على تطور تصميماتها، وزخارفها، وتفاصيلها المعمارية، وقد تناول أيضًا فى هذا الكتاب تاريخ منشئ المسجد وتحقيق تاريخ إنشائه، وصفه، والأدوار التى مرت به من زيادات وتعمير، مع شرح الميزات الفنية لكل منها والتعريف بمواطن الجمال فيها، ومن المساجد التى ذكرها جامع عمرو بن العاص، والجامع الطولونى، والجامع الأزهر، والجامع الأقمر، والمشهد الحسينى، وجامع الصالح طلائع، ومدرسة وقبة المنصور قلاوون، ومدرسة السلطان حسن، ومسجد المحمودية، ومسجد سنان باشا، ومسجد الملكة صفية، ومسجد عثمان كتخدا، ومسجد محمد بك أبى الذهب، ومسجد الرفاعى، ومسجد على باشا الكبير.

وكتب فى التمهيد عن نشأة المسجد والجامع وأثر الدولة الإسلامية التى حكمت مصر فى العمارة الإسلامية، خاصة الأسرة العلوية التى اهتمت بالتراث والعمارة الإسلامية والمساجد والقصور والمدارس، ولعل أطرف بحث له كان مدعمًا بالصور، ألقاه بالمجمع العلمى بمصر، عن تخطيط شوارع القاهرة وتقسيمها ولافتاتها الأثرية على رءوس الشوارع منذ أكثر من مائتى عام، وربما كان على رأس الشارع لافتة كبيرة، ثم تحتها لافتة أصغر باسم ذلك القسم: الكحكين والمغربلين والسكرية والخيامية.. إلخ من باب زويلة إلى باب الفتوح حتى أوشكت تلك المثل والعلامات الأثرية الآن أن تضيع وتندثر، ولا من أحد يلتفت إلى أهميتها.

وليس من أثر إسلامى فى مصر بين رشيد وأسوان، إلا كان لید حسن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ فيه لمسة حنان تقاوم الاندثار والضياع، وقد شهد حسن عبد الوهاب ترميم المسجد الأقصى وقبة الصخرة ضمن اهتمامات الجامعة العربية الفنية التى شُكِّلت لذلك الأمر، ليعود إلى سابق رونقه، وظل طوال حياته مطالبًا بدراسة الآثار والأعمال الفنية والظروف المحيطة بها، لأن صيانة هذا الأثر أو ذاك تعتمد على تهيئة الظروف المناسبة لسلامته والحفاظ عليه قبل صيانة الأثر، وأن أى دراسة للآثار يجب أن تعتمد على دراسة تفصيلية لخواص الأثر والظروف المحيطة به، وبخاصة التغير فى درجات الحرارة والرطوبة النسبية.

يعود الفضل إلى حسن عبد الوهاب فى العديد من الاكتشافات التى تشهد له بالدقة العلمية، والملاحظة الواعية

وكان له الفضل فى العديد من الاكتشافات التى تشهد له بالدقة العلمية، والملاحظة الواعية، فكثيرًا ما كان يقرأ لمؤرخ أو رحالة عبارة ما، تقوده إلى كشف أثرى هام، من ذلك ما كتبه الرحالة «ابن جبير» عن تابوت خشبى دقيق الصنع، فى الغرفة السفلى للمشهد الحسينى ـ عندما زار مصر سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م فى طريقه إلى الحج، قادمًا من الأندلس، مما جعل العلامة حسن عبد الوهاب يراقب عناصر المشهد، وينتظر فرصة ليبحث عن ذلك الأثر الجميل، يقول أستاذنا الراحل فى كتابه تاريخ

المساجد الأثرية عن تابوت الشافعى: وقد بقى من عمارة صلاح الدين الأولى لقبر الشافعى تابوت فاخر من الخشب مساطيل، غطاؤه هرمى، حافل بالنقوش والكتابات الكوفية والنسخية، وجميع وجوه هذا التابوت مكونة من أطباق عربية كبيرة منقوشة بزخارف نباتية دقيقة، من غصون متفرعة وأوراق مفرقة، فى مجاميع متماثلة، تتخللها أشكال نجمية ومسدسة، ومن أهم الكتابات تاريخ صناعة التابوت، واسم الصانع ابن معالى، وهو من أسرة نبغت فى صناعة النجارة والدليل منبر مسجد نور الدين بالمسجد الأقصى صنعه «سليمان ابن معالى».

وقد كتب حسن عبد الوهاب مادة الاستطلاع عن شارع المعز لدين الله، أقدم شوارع القاهرة الآن وأحد شوارع ثلاثة، يضم كل منها ما يفوق المائة من الآثار لعهد الفاطميين والأيوبيين فى عصر الأتراك.

ولم يكن يغيب عن ذاكرة حسن «تابوت الإمام الشافعى» والمصنوع فى ٥٧٤هـ/١١٧٨م، وقد استنتج حسن عبد الوهاب أنه من صنعة الفنان الأيوبى المبدع النجار ـ عبيد النجار المعروف بابن معالى ـ أيام ملك السلطان الناصر «صلاح الدين الأيوبى».

كما اكتشف العلامة اسم المهندس الذى بنى مدرسة السلطان حسن بالقاهرة، وقد عنى «جاستون فييت» مدير دار الآثار العربية بجمع طائفة كبيرة من الآراء التى قيلت فى مدرسة السلطان حسن ونشرها ومن أقواله: «هذا الأثر بحاجة إلى قلم بليغ وأسلوب شاعرى حتى يمكن إبراز وقائعه وجزئياته حتى لا يكون ما يراه القارئ قاصرًا على الجزئيات، فحسب، وإن كانت بعض هذه الجزئيات فى الطرافة والابتكار وكأنها بيوت شعر من قصيدة عصماء..» والفنان فى هذا الجامع لم يوجه همه إلى الزخرفة كعامل جوهرى فى العمارة، بل اقتصد فيها وسيطر عليها وأخضعها لكل، فأدت أغراضها وقد يكون هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذى يجمع بين قوة البناء وعظمته، ورقة الزخرفة وجمالها. إن جامع السلطان حسن هو العمل العظيم فى الإسلام الذى روعى فى تشييده متانة البناء فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن.

ليس فى مصر كلها من أثر إسلامى إلا كانت له لمسة حانية تقاوم عوامل الاندثار والضياع

وكان «هرتس باشا» ومن أعقبه من الأثريين، ينسبون هذا المسجد لمهندس آخر، فلما قام حسن عبد الوهاب سنة ١٩٤٤م بمراجعة نصوص النقوش الكتابية بهذا الصرح الشامخ اكتشف نصًا من الكتابة فى بهو مدرسة الأحناف ـ إحدى المدارس الأربعة التى تضمنها عمارة المسجد ـ ينتهى بهذه العبارة: (وشاد عمارته محمد بن بيليك المحسنى).

رحم الله حسن عبد الوهاب، من جيل العمالقة.. الرافعى والعقاد وشوقى وحافظ وطه حسين.

المراجع:

حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد جزءان. مطبعة دار الكتب المصرية: القاهرة ١٩٤٦م.

حسن الباشا وآخرون: القاهرة. تاريخها. فنونها. آثارها. مؤسسة الأهرام ١٩٧٠م.

حسن الباشا: مدخل إلى الآثار الإسلامية. دار النهضة العربية. القاهرة ١٩٧٩م.

عبد الفتاح مصطفى غنيمة: ميادين الحضارة العربية الإسلامية ج٣ الفنون الإسلامية ـ مطبعة جامعة المنوفية ١٩٩٨م.

عندما دخلت مصر فى دين الله (٣)

فضائل مصر.. ومكانتها فى الإسلام

الدكتور/ محمد عمارة

تنبأ الرسول ﷺ بفتح الإسلام لمصر وبدورها الرائد والمتميز فى الجهاد لنصرة الإسلام وأمته

إذا كان الاصطفاء والتكريم مألوفا فى الناس .. وفى الأوقات والأزمنة .. فإنه وارد أيضًا فى الأمكنة والبلاد والأقطار .. وهذا ما التفت إليه أعلام المؤرخين الذين كتبوا عن «فضائل مصر» .. فلقد تتبعوا احتفاء القرآن الكريم بها، عندما ورد ذكرها فيه فى نحو من خمسة وعشرين موضعًا، .. «منها ما هو بصريح اللفظ، ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير» .. فأما صريح اللفظ، فمنه قوله تعالى:

١- **﴿اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم﴾** (البقرة ٦١).

٢- وقوله، يخبر عن فرعون: **﴿أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾** (الزخرف ٥١).

٣- وقوله تعالى: **﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة﴾** (يونس ٨٧).

٤- وقوله عز وجل مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام: **﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾** (يوسف ٩٩).

٥، ٦- **﴿وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكّنّا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** (يوسف ٢١).

وأما ما دلت عليه القرائن، فمنه: ٧- قوله عز وجل: **﴿ولقد بوأنا بنى إسرائيل مبوأ صدق﴾** (يونس ٩٣).

٨- وقوله عز وجل: **﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾** (المؤمنون ٥) - قال ابن عباس (٣ق.هـ - ٦٨هـ / ٦١٩ - ٦٨٧م)، وسعيد بن المسيب (١٣ - ٩٤هـ / ٦٣٤ - ٧١٣م)، ووهب بن مُنَبِّه (٣٤ - ١١٤هـ / ٦٥٤ - ٧٣٢م)، وغيرهم: هى مصر.

٩- وقوله تعالى: **﴿فأخرجناهم من جنات وعيون ● وكنوز ومقام كريم﴾** (الشعراء ٥٧ ، ٥٨) .. أى أخرجنا بنى إسرائيل من مصر.

١٠- وقوله تعالى: **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها﴾** (الأعراف ١٣٧). يعنى مصر.

١١- وقوله تعالى: **﴿كم تركوا من جنات وعيون ● وزروع ومقام كريم ● ونعمة كانوا فيها فاكهين ● كذلك وأورثناها قومًا آخرين﴾** (الدخان ٢٥-٢٨).

١٢- وقوله تعالى: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ● ونمكن لهم فى الأرض ونُرِىَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾** (القصص ٥ ، ٦).

١٣- وقوله عز وجل، مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام: **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾** (المائدة ٢١) .. أى لا ترتدوا إلى مصر.

١٤- وقوله عز وجل، مخبرا عن فرعون: **﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض﴾** (غافر ٢٩).

توجه الإسلام إلى أهل مصر بالخطاب المستقل إعلانا عن عزم دولته على تحريرها من القهر السياسى والدينى والحضارى

١٥- وقوله عز وجل: **﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾** (الأعراف ١٣٧).

١٦- وقوله تعالى، مخبرا عن فرعون: **﴿أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك﴾** (الأعراف ١٢٧). يعنى أرض مصر.

١٧- وقوله تعالى، مخبرا عن نبيه يوسف عليه السلام: **﴿اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾** (يوسف ٥٥).

١٨- وقوله تعالى: **﴿وكذلك مكّنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء﴾** (يوسف ٥٦).

١٩- وقوله تعالى، مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام: **﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً فى الحياة الدنيا﴾** (يونس ٨٨).

٢٠- وقوله تعالى، مخبرا عن نبيه موسى عليه السلام: **﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض﴾** (الأعراف ١٢٩).

٢١- وقوله تعالى، مخبرا عن فرعون: **﴿أو أن يُظهر فى الأرض الفساد﴾** (غافر ٢٦) .. يعنى أرض مصر.

٢٢- وقوله تعالى: **﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾** (القصص ٢٠).

٢٣- وقوله عز وجل: **﴿إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا﴾** (القصص ٤).

٢٤- وقوله تعالى، مخبرا عن ابن يعقوب عليه السلام: **﴿فلن أبرح الأرض﴾** (يوسف ٨٠) .. يعنى مصر.

٢٥- وقوله تعالى مخبرا عن رجل من بنى إسرائيل: **﴿إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض﴾** (القصص ١٩)»[١].

هكذا شرّف الله سبحانه وتعالى، مصر الكنانة عندما ذكرها فى قرآنه الكريم فى خمسة وعشرين موضعا .. وعلى هذا الدرب جاء فضلها فى سنة رسول الله ﷺ، بتلك المأثورات النبوية التى جمعها علماء التاريخ.

ولقد تنبأ رسول الله ﷺ، بفتح الإسلام لمصر .. وبدورها الرائد والمتميز - كدرة فى جبين دار الإسلام - فى الجهاد لنصرة الإسلام وأمته وحضارته .. فأوصى لذلك بأهلها، وقال: **«إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحما»**[٢].

وعن مسلم بن يسار، أن رسول الله ﷺ، قال: **«استوصوا بالقبط خيرا، فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم»**.

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن، أن رسول الله قال: **«الله الله فى قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانا فى سبيل الله .. إنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوكم بإذن الله تعالى»**.

وعنه ﷺ، أنه قال:

«إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا، فذلك الجند خير أجناد الأرض».

فقال له أبو بكر الصديق: ولم ذلك يا رسول الله؟

فقال: **«لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة .. ما كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته»**[٣].

شرّف الله - سبحانه وتعالى - مصر عندما ذكرها قرآنه فى خمسة وعشرين موضعًا

وعن أبى ذر الغفارى، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إنكم ستفتحون مصر - وهى أرض يُسَمىً فيها القيراط - فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما»**[٤].

هكذا توجه الإسلام إلى أهل مصر بالخطاب المستقل، إعلانا عن عزم دولته على تحريرها من القهر السياسى والدينى والحضارى الذى أوقعه بها الإغريق والرومان .. وهكذا كرمها القرآن الكريم، ونبى الإسلام، والسنة النبوية الشريفة، عندما بوأتها هذه المكانة المتميزة والعلية فى مصادر الإسلام.

❖ ❖ ❖

وإذا كانت هذه هى مكانة مصر فى الرؤية الإسلامية، وهذه هى قسمة البعد التحريرى فى السياسة الإسلامية نحو الشعب القبطى - المصرى - **فلقد كان الروم البيزنطيون يرون فى مصر الحصن الحافظ لاستعمارهم، والذى إذا سقط انحسر سلطانهم الاستعمارى عن الشرق كله، ذلك السلطان الذى دام نحو عشرة قرون (٣٣٢ق.م / ٦٤٢م) .. ففى المواجهة التى احتدمت بين الروم، بقيادة «هرقل (٦١٠ - ٦٤١م)»، وبين دولة الخلافة الراشدة، على عهد عمر بن الخطاب (١٣ - ٢٣هـ / ٦٣٤ -**

٦٤٤م)، شحن الرومان مصر بالجيوش والعدة والعتاد، وخاصة بعد أن انحسر سلطانهم وزالت دولتهم عن بلاد الشام .. حتى عبّر «هرقل» عن هذا الموقف صراحة عندما قال: «لئن ظهرت العرب على الإسكندرية، فإن فى ذلك انقطاع ملك الروم وهلاكهم؛ لأنه ليس للروم كنائس أعظم من كنائس الإسكندرية، وأعياد الروم بالإسكندرية ...»[٥].

وحتى نعرف حدة الصراع، وشراسة القتال، وطول المحاصرات، وقوة التحصينات، وشدة المعاناة التى اكتنفت الفتح الإسلامى لمصر - مع ملاحظة وقوف الشعب المصرى مع جيش عمرو بن العاص .. وتركز الصراع والقتال ضد حاميات الروم وحصونها .. حتى نعرف مبلغ ذلك، يكفى أن نتذكر أن الفتح الإسلامى للعراق والخليج وفارس، وأيضًا لكل أنحاء الشام - بما فى ذلك المعارك الكبرى فى «القادسية» و«أجنادين» و«اليرموك» - تمت كلها فى عام واحد (١٥هـ ٦٣٦م)، بينما استغرق فتح مصر وحدها نحو أربع سنوات! .. بل إن فتح مدينة الإسكندرية وحدها قد استلزم حصارا فرضه المسلمون عليها دام أربعة عشر شهرا، منها خمسة أشهر فى حياة هرقل وتسعة بعد وفاته .. فلقد كانت مصر درة الإمبراطورية البيزنطية، ومقر الجيوش الرومانية الحارسة لهيمنة بيزنطة على الشرق - من الشام وحتى شمالى إفريقيا.

ويبدو أن هذه الإمكانات العسكرية التى ركزها الرومان فى مصر، كانت هى سبب التردد الذى حدث لفكر وموقف عمر بن الخطاب فى اتخاذ قرار فتحها عندما اقترحه عليه وحسّنه له وأغراه به عمرو بن العاص (٥٠ق.هـ - ٤٣هـ / ٥٧٤ - ٦٦٤م) فى سنة ١٨هـ سنة ٦٣٩م، عندما التقيا فى الشام .. فلقد استخار عمر فى ذلك واستشار، واستمرت شوراه حتى بعد أن تحرك عمرو بن العاص بجيشه متوجها نحو مصر - وكان مما قاله عثمان بن عفان لعمر، فى هذه المشاورات: «يا أمير المؤمنين، إن عَمْرا لجرىء، وفيه إقدام، وحب للإمارة، فأخشى أن يخرج فى غير ثلة ولا جماعة فيعرّض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدرى تكون أم لا ..»[٦] .. فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص بالرجوع عن خطة الفتح إذا لم يكن قد دخل مصر، وبالمضى إلى الفتح إذا كان قد دخلها .. وجاء فى كتابه: «أما بعد. فإنك سرت إلى مصر ومن معك، **وبها جموع الروم، وإنما معك نفر يسير** .. فإن لم تكن قد بلغت مصر فارجع .. وإن أدركك كتابى وقد دخلتها فامض، **واعلم أنى مُمِدُّك ..**»[٧] .. فكان فتح عمرو بن العاص لكتاب أمير المؤمنين بعد تجاوزه لـ«رفح» وقبل دخول «العريش» .. ذلك أن مشيئة الله كانت قد نفذت، وحان الحين كى يجسدها على الأرض وفى ميادين الفتوحات التحريرية أولئك الذين استخلفهم الله للانتقال بالإنسانية إلى طور جديد **﴿الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾** (الحج ٤١).

الهوامش

(١) ابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة) جـ١ص٢٧، ٢٨. طبعة دار الكتب المصرية.
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير.
(٣) ابن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها) ص٣، ٤. طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م. و(النجوم الزاهرة) ج١ص٢٩.
(٤) رواه مسلم والإمام أحمد.
(٥) (فتوح مصر وأخبارها) ص٦٨.
(٦) المصدر السابق. ص٥٧، ٥٨.
(٧) المصدر السابق. ص٥٧.

فن الدعاء فى قصص القرآن الكريم (١)
دعاء إبراهيم عليه السلام

الشيخ / خالد الجندى

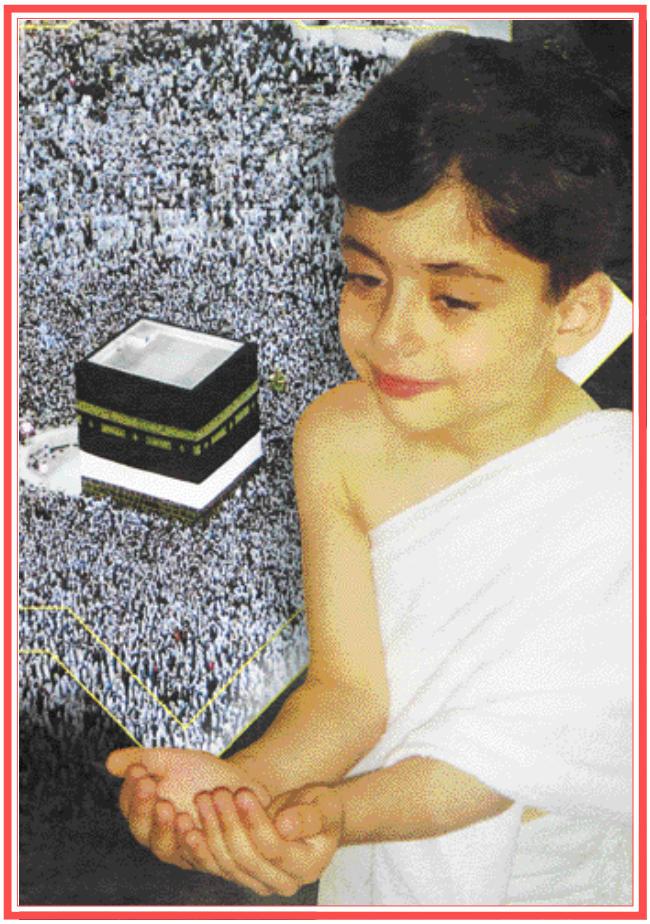

كلما تأمل العبد عزة ربه فى قضائه، بأن قلَّب قلبه وصرف إرادته على ما يشاء، فهو ذليل مقهور، ناصيته بيد سيده، لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته[١]، كلما تأمل هذا خشى أن يركن إلى زيغ فيزيغه الله، ويطبع على قلبه فلا يعود يعرف معروفاً أو ينكر منكراً، فيشتد خوفه ويلهج لسانه بالدعاء ضراعة واستغاثة وتوبة، فلسان الخائف يكون أبداً مستغفراً، داعياً متضرعاً، مستغيثًا مستعيذاً بربه أن يَكِلهُ إلى نفسه، أو يُخلِّى بينه وبين شهواته.

والدعاء من أقوى الأسباب فى دفع المكروه، وحصول المطلوب، وهو من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن، وللدعاء مع البلاء ثلاثة مقامات:

١ ـ أن يكون الدعاء أقوى من البلاء فيدفعه.

٢ ـ أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد، ولكن يخففه وإن كان ضعيفًا.

٣ ـ أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه.

وعن ابن عمر - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ قال: «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء»[٢].

وعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد فى العُمر إلا البر»[٣].

مفهوم الدعاء:

الدعاء لغة: الطلب والابتهال: يُقال: دعوتُ الله أدعوه دعاءً: ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير[٤] ودعا الله: طلب منه الخير ورجاه منه، ودعا لفلان: طلب الخير له، ودعا على فلان: طلب له الشر[٥].

والدعاء: سؤال العبد ربه على وجه الابتهال، وقد يطلق على التقديس والتحميد ونحوهما[٦].

فضل الدعاء:

جاء فى فضل الدعاء آيات كثيرة نذكر منها:

١ ـ قال الله تعالى: **﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾** (سورة البقرة آية: ١٨٦).

٢ ـ قال تعالى: **﴿وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾** (سورة غافر آية: ٦٠).

٣ ـ وقال تعالى: **﴿ادعوا ربكم تضرعًا وخفية إنه لا يحب المعتدين، ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعًا إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾** (سورة الأعراف آية: ٥٥، ٥٦).

٤ ـ وقال تبارك وتعالى: **﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾** (سورة غافر آية: ١٤).

٥ ـ وقال عز وجل: **﴿هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾** (سورة غافر آية: ٦٥).

اهتمام الرسل بالدعاء واستجابة الله لهم:

اهتم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم من عباد الله الصالحين بالدعاء، وكان من دعاء الأنبياء ما فيه تعليم للمؤمنين الصادقين مع الله تعالى، فاستجاب الله دعاءهم، وهذا كثير فى القرآن والسنة، وسوف نعرض بفضل الله تعالى فن الدعاء عند أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

يقول الله تعالى: **﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾** (سورة الممتحنة آية: ٤) هذا من دعاء إبراهيم وأصحابه، ومما فيه أسوة حسنة يقتدى به، وقيل: هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا هذا القول، والتوكل: هو تفويض الأمور إلى الله، والإنابة: الرجوع، والمصير: المرجع، وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة، والمصير على الله تعالى[٧].

للتسليم المطلق لله سمة ايمانية واضحة فى دعاء إبراهيم توجه قلوب المسلمين كحلقة من حلقات التربية والتوجة

ويكمل الخليل دعاءه معلمًا للمؤمنين فن الدعاء لله تعالى: **﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم، لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد﴾** (سورة الممتحنة آية: ٥، ٦).

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ قال الزجاج: لا تظهرهم علينا، فيظنوا أنهم على حق، فيفتنوا بذلك. وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا **﴿واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز﴾** أى: الغالب الذى لا يغالب **﴿الحكيم﴾** ذو الحكمة البالغة. **﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾** أى: لقد كان لكم فى إبراهيم والذين معه قدوة حسنة، وكرر هذا للمبالغة والتأكيد، وقيل: إن هذا نزل بعد الأول بمدة **﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾** بدل من قوله: **﴿لكم﴾** بدل بعض من كل، والمعنى: أن هذه الأسوة إنما تكون لمن يخاف الله، ويخاف عقاب الآخرة، أو يطمع فى الخير من الله فى الدنيا وفى الآخرة.

دعاء إبراهيم لأهل مكة بالأمن والتوسعة فى الرزق:

قال تعالى: **﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق**

أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير﴾ (سورة البقرة: آية: ١٢٦).

قال القاضى: فى هذه الآيات تقديم وتأخير، لأن قوله: **﴿رب اجعل هذا بلدا آمنا﴾** لا يمكن إلا بعد دخول البلد فى الوجود، والذى ذكره من بعد وهو قوله: **﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾** (سورة البقرة آية: ١٢٨) وإن كان متأخرًا فى التلاوة فهو متقدم فى المعنى[٨].

فإن قيل: ما الفائدة فى قول إبراهيم عليه السلام: **﴿رب اجعل هذا البلد آمنًا﴾** (سورة ابراهيم آية: ٣٥)، وقد أخبر الله تعالى قبل ذلك بقوله تعالى: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا﴾** (سورة البقرة آية: ١٢٥)؟

فالجواب: من وجوه:

أحدها: أن الله تعالى لما أخبره بأنه جعل البيت مثابة للناس وأمنًا، ووقع فى خاطره أنه إنما جعل البيت وحده آمنًا، فطلب إبراهيم عليه السلام أن يكون الأمن بجميع البلد.

وثانيها: أن يكون قوله تعالى: **﴿وإذ جعلنا البيت﴾** بعد قول إبراهيم عليه السلام **﴿رب اجعل هذا بلدًا آمنًا﴾** فيكون إجابة لدعائه، وعلى هذا فيكون مقدما فى التلاوة مؤخرًا فى الحكم.

وثالثها: أن يكون المراد من الأمن المذكور فى قوله تعالى: **﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنًا﴾** (سورة البقرة آية: ١٢٥) هو الأمن من الأعداء والخيف والخسف والمسخ، والمراد من الأمن فى دعاء إبراهيم هو الأمن من القحط، ولهذا قال: **﴿وارزق أهله من الثمرات﴾**.

فإن قيل: الأمن والخصب مما يتعلق بمنافع الدنيا، فكيف يليق بالرسول ﷺ المعظم طلبها؟

فجوابه من وجوه:

أحدها: أن الدنيا إذا طلبت ليتقوى بها على الدين كان ذلك من أعظم أركان الدين، وإذا كان البلد آمنًا مخصبًا تفرغ أهلها لطاعة الله تعالى وإذا كان ضد ذلك كانوا على ضد ذلك.

وثانيها: أنه تعالى جعله مثابة للناس، والناس إنما يمكنهم الذهاب إليه إذا كانت الطرق آمنة، والأقوات هناك رخيصة.

وثالثها: أن الأمن والخَصْب مما يدعو الإنسان إلى الذهاب إلى تلك البلدة، فحينئذ يشاهد المشاعر العظيمة، والمواقف الكريمة، فيكون الأمن تتمة فى تلك الطاعة.

ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوءة، فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضى العدل والعزة والرخاء، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة، فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام.

والتعريف فى الثمرات تعريف الاستغراق وهو استغراق عرفى أى من جميع الثمرات المعروفة للناس ودليل كونه تعريف الاستغراق مجىء من التى للتبعيض وفى هذا دعاء لهم بالرفاهية حتى لا تطمح نفوسهم للارتحال عنه.

وقوله: **﴿من آمن منهم بالله﴾** بدل بعض من قوله: **﴿أهله﴾** يفيد تخصيصه لأن أهله عام إذ هو اسم جمع مضاف وبدل البعض مخصص[٩].

فبذلك لا ينبغى للعبد أن يترك دعاءه أو يقطع رجاءه فى ألا يستجيب الله دعاءه، فإن إبراهيم الخليل عليه السلام دعا لأبويه فلم يُسْتَجَبْ له، ثم إنه لم يترك الدعاء، وسأل حينما لم يُجَبْ فيه. فلا غضاضة على العبد ولا تناله مَذَلة إنْ لم يُجبهُ مولاه فى شىء، فإنَّ الدعاء عبادة لا بد للعبد من فعلها، والإجابة من الحق فضل، وله أن يفعل وله ألا يفعل[١٠].

دعاء إبراهيم عليه السلام لإقامة الصلاة:

قال الله تعالى: **﴿الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾** (سورة إبراهيم آية: ٣٩ ـ ٤١).

فقوله: **(الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق)** على كبر سنه، والإعلام بأن الله تعالى سميع دعاء من يدعوه وينيب إليه، وقوله: **﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى﴾** أيضًا من يقيم الصلاة، لأن الصلاة هى علة الحياة إذ هى الذكر والشكر فمتى أقام العبد الصلاة فأداها بشروطها وأركانها كان من الذاكرين الشاكرين، ومتى تركها العبد كان من الناسين الغافلين وكان من الكافرين، وأخيرًا ألح على ربه فى قبول دعائه وسأل المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين يوم يقوم الناس للحساب وذلك يوم القيامة.

وقوله تعالى: **﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة﴾** دعاء إبراهيم عليه السلام فى أمر كان مثابرًا عليه متمسكا به، ومتى دعا الإنسان فى مثل هذا فإنما المقصد إدامه ذلك الأمر واستمراره.

قال السهيلى: قوله تعالى: **﴿رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى﴾** بحرف التبعيض ولذلك أسلم بعض ذريته دون بعض.

وقوله: **﴿ربنا اغفر لى ولوالدى﴾** اختلف فى تأويل ذلك فقالت فرقة: كان ذلك قبل يأسه من إيمان أبيه وتبينه أنه عدو لله فأراد اباه وأمه لأنها كانت مؤمنة، وقيل: أراد آدم ونوحا عليهما السلام.[11].

ونذكر من هداية الآيات:

١ ـ فضل مكة وشرفها وأنها حرم آمن من أى ذى.

٢ ـ الخوف من الشرك لخطره وسؤال الله تعالى الحفظ من ذلك.

٣ ـ علاقة الإيمان والتوحيد أولى من علاقة الرحم والنسب.

٤ ـ أهمية إقامة الصلاة وأثرها فى حياة المسلم.

٥ ـ بيان استجابة دعاء إبراهيم عليه السلام فيما سأل ربه تعالى فيه.

٦ ـ وجوب حمد الله وشكره على ما ينعم به على عبده.

٧ ـ مشروعية الاستغفار للنفس وللمؤمنين والمؤمنات.

٨ ـ تقرير عقيدة البعث والحساب والجزاء.

وقيل: المراد أدخلنى فى عداد الصالحين واجعلنى أذكر معهم إذا ذكروا وحاصله طلب الذكر الجميل الذى لا يستلزمه عمل الصالح إذ قد يتحقق من شخص فى نفس الأمر ولا يعده الناس فى عداد الصالحين وفى هذا الدعاء سمة من دعاء إبراهيم عليه السلام **﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾**.

الدعاء من أقوى الأسباب فى دفع المكروه وحصول المطلوب وهو يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله

ومقاصد الأنبياء فى مثل ذلك أخروية وقيل: يحتمل أنه أراد بعمل الصالح القيام بحقوق الله عز وجل وأراد بالصلاح فى قوله: **﴿فى عبادك الصالحين﴾** القيام بحقوقه تعالى وحقوق عباده فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص.

والصلاح من أخص أوصاف المؤمن وكفاك دعاء إبراهيم ويوسف عليهما السلام فى الإلحاق بالصالحين شاهدا وأما أنهم غير محتاجين إلى الدعاء فجوابه أنه لا يجب أن يكون للحاجة ألا ترى إلى قولنا: اللهم صلِّ على سيدنا محمد وما ورد فيه من الفضائل والمعلوم حصوله منه تعالى يحسن طلبه فإن الدعاء فى نفسه عبادة ويوجب للداعى والمدعو له من الشرف ما لا يتقاعد عن حصول أصل الثواب[12].

وفى موضع آخر ذك الله تعالى: **﴿فبشرناه بغلام حليم﴾** (سورة الصافات آية: ١١).

الفاء فى **(فبشرناه)** للتعقيب والبشارة: الإخبار بخير وارد عن قرب أو على بعد، فإن كان الله بشر إبراهيم بأنه يولد له ولد أو يوجد له نسل عقب دعائه كما هو الظاهر وهو صريح فى سفر التكوين فى الإصحاح الخامس عشر فقد أخبره بأنه

استجاب له وأنه يهبه ولدًا بعد زمان فالتعقيب على ظاهره، وإن كان الله بشره بغلام بعد ذلك حين حملت منه هاجر جاريته بعد خروجه بمدة طويلة فالتعقيب نسبى أى بشرناه حين قدرنا ذلك له.

﴿والحليم﴾: الموصوف بالحلم وهو اسم يجمع أصالة الرأى ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق. قيل: ما نعت الله الأنبياء بأقل مما نعتهم بالحلم.

وهذا الغلام الذى بشر به إبراهيم هو إسماعيل ابنه البكر وهذا غير الغلام الذى بشره به الملائكة الذين أرسلوا إلى قوم لوط فى قوله تعالى: **﴿قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾** فلذلك وصف بأنه **﴿عليم﴾**. وهذا وصف بـ **﴿حليم﴾**. وأيضا ذلك كانت البشارة به بمحضر سارة أمه وقد جعلت هى المبشرة فى قوله تعالى: **﴿فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا﴾** فتلك بشارة كرامة، والأولى بشارة استجابة دعائه فلما ولد له إسماعيل تحقق أمل إبراهيم أن يكون له وارث من صلبه[١٣].

فالبشارة بإسماعيل لما كانت عقب دعاء إبراهيم أن يهب الله له من الصالحين فالعطف هنا بفاء التعقيب وبشارته بإسحاق ذكرت فى هذه السورة معطوفة بالواو عطف القصة على القصة.

من دعاء إبراهيم عليه السلام فى التوكل:

ومن ذلك قوله تعالى: **﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾** هذا من دعاء إبراهيم وأصحابه ومما فيه أسوة حسنة يقتدى به فيها وقيل هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا هذا القول، والتوكل: هو تفويض الأمور إلى الله، والإنابة: الرجوع، والمصير: المرجع، وتقدير الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله[١٤].

وتأمل قول الله جل وعلا مخبرًا عن دعاء إبراهيم **﴿واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام﴾** (سورة إبراهيم آية: ٣٥)، **قال العلماء:** خاف على نفسه وهو إبراهيم خليل الله من عبادة الأصنام وخاف على بنيه، **قال إبراهيم التيمى فى تفسيرها:** ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم. إذا كنت لا تأمن البلاء فلا بد أن تضع حماية قوية، وسورًا منيعًا أن يتطرق إليك ذلك.

ولقد كان بعض المسلمين يجد فى استغفار إبراهيم لأبيه وهو مشرك ثغرة تنفذ منها عواطفهم الحبيسة ومشاعرهم الموصولة بذوى قرباهم من المشركين، فجاء القرآن ليشرح لهم حقيقة موقف إبراهيم فى قوله لأبيه: **﴿لأستغفرن لك﴾** (سورة الممتحنة آية: ٤).

فلقد قال هذا قبل أن يستيقن من إصرار أبيه على الشرك، قاله وهو يرجو إيمانه ويتوقعه: **﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه﴾** .. كما جاء فى سورة أخرى.

ويثبت هنا أن إبراهيم فوض الأمر كله لله، وتوجه إليه بالتوكل والإنابة والرجوع إليه على كل حال.

وقال تعالى: **﴿وما أملك لك من الله من شىء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾** (سورة الممتحنة آية: ٤).

وهذا التسليم المطلق لله، هو السمة الإيمانية الواضحة فى إبراهيم يبرزها هنا ليوجه إليها قلوب أبنائه المسلمين كحلقة من حلقات التربية والتوجيه بالقصص والتعقيب عليه، وإبراز ما فى ثناياه من ملامح وسمات وتوجيهات على طريقة القرآن الكريم.

ويستطرد لهذا فى إثبات بقية دعاء إبراهيم ونجواه لمولاه:

قال تعالى: **﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾** (سورة الممتحنة آية: ٦).

فلا تسلطهم علينا. فيكون فى ذلك فتنة لهم، إذ يقولون: لو كان الإيمان يحمى أهله ما سلطنا عليهم وقهرناهم! وهى الشبهة التى كثيرًا ما تحيك فى الصدور، حين يتمكن الباطل من الحق، ويتسلط الطغاة على أهل الإيمان لحكمة يعلمها الله فى فترة من الفترات.

والمؤمن يصبر للابتلاء، ولكن هذا لا يمنعه أن يدعو الله ألا يصيبه البلاء الذى يجعله فتنة وشبهة تحيك فى الصدور.

وبقية الدعاء قال الله تعالى فيه: ﴿واغفر لنا﴾ (سورة الممتحنة آية: ٥).

يقولها إبراهيم خليل الرحمن إدراكًا منه لمستوى العبادة التى يستحقها منه ربه، وعجزه ببشريته عن بلوغ المستوى الذى يكافئ به نعم الله وآلاءه، ويمجد جلاله وكبرياءه فيطلب المغفرة من ربه، ليكون فى شعوره وفى طلبه أسوة لمن معه ولمن يأتى بعده.

ويختم دعاءه وإنابته واستغفاره بوصفه ربه بصفته المناسبة لهذا الدعاء: **﴿ربنا إنك أنت العزيز الحكم﴾** (سورة الممتحنة آية: ٥).

﴿العزيز﴾: القادر على الفعل، **﴿الحكيم﴾**: فيما يمضى من تدبير.

وفى نهاية هذا العرض لموقف إبراهيم والذين معه، وفى استسلام إبراهيم وإنابته يعود فيقرر الأسوة ويكررها، مع لمسة جديدة لقلوب المؤمنين حيث قال الله تعالى: **﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد﴾** (سورة الممتحنة آية: ٦).

فالأسوة فى إبراهيم والذين معه متحققة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. هؤلاء هم الذين يدركون قيمة التجربة التى عاناها هذا الرهط الكريم، ويجدون فيها أسوة تتبع، وسابقة تهدى، فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتخذ منها أسوة، وهو تلميح موحٍ للحاضرين من المؤمنين.

فأما من يريد أن يتولى عن هذا المنهج ويحيد عن طريق القافلة وينسلخ من هذا النسب العريق، فما بالله من حاجة إليه سبحانه **﴿فإن الله هو الغنى الحميد﴾** (سورة الممتحنة آية: ٦).

وتنتهى الجولة وقد عاد المؤمنون أدراجهم إلى أوائل تاريخهم المديد، ورجعوا بذكرياتهم إلى نشأتهم فى الأرض، وعرفوا تجاربهم المذخورة لهم فى الأجيال المتطاولة، ورأوا القرار الذى انتهى إليه من مروا بهذه التجربة، ووجدوها طريقًا معبدة من قبل ليسوا هم أول السالكين فيها.

والقرآن الكريم يؤكد هذا التصور ويكرره ليتصل ركب المؤمنين، فلا يشعر بالغربة أو الوحشة سالك ولو كان وحده فى جيل، ولا يجد مشقة فى تكليف نهض به السالكون معه فى الطريق.

ثم بعد ذلك يعود فينسم على هذه القلوب التى يعلم الله ما بها من حنين ورغبة فى زوال حالة العداء والجفوة التى تكلفهم هذه المشقة، وينسم عليها بنسمة الأمل الندية فى أن ينضم هؤلاء الأعداء إلى راية الإسلام، وإلى صفوف المسلمين، فيكون هذا هو الطريق لزوال الجفوة وقيام الود على أساسه الركين، ثم يخفف عنهم مرة أخرى وهو يضع القاعدة الإسلامية الكبرى فى العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم، فيجعل المقاطعة والخصومة خاصة بحالة العداء والعدوان.

الهوامش:

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٥٠٢/١)
(٢) أخرجه الترمذى فى سننه ٥٥٢/٥ والحاكم فى مستدركه (٦٧٠/١)
(٣) أخرجه الترمذى فى سننه (٤٤٨/٤)، وصححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٢٨٦/١).
(٤) المصباح المنير (١٩٤/١).
(٥) المعجم الوسيط (٢٦٨/١).
(٦) القاموس الفقهى لغة واصطلاحًا ص (١٣١).
(٧) فتح القدير (٢٠٤/٧).
(٨) تفسير الرازى (٣٤٣/٢).
(٩) التحرير والتنوير (٤١٠/١).
(١٠) تفسير القشيرى (٥٦/٤).
(١١) تفسير الثعالبى (٢٨٥/٢).
(١٢) روح المعانى (٤٩/٢٤).
(١٣) التحرير والتنوير (٣٥٨٠/١).
(١٤) فتح القدير (٢٩٨/٥)

دور الشعر فى المسيرة الإسلامية (٤)

محمد التهامى

انتهى عصر الرسول [وقد لعب الشعر فيه - كما قدمنا - دوراً فى منتهى الأهمية، حيث كانت البلاغة والفصاحة سمة العصر وأكبر ميزة فيه، وكان الشعر فى العصر الجاهلى هو ديوان العرب بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وقد تولى الشعر على ألسنة كبار الشعراء الموهوبين حسن صياغة أسلوب اللغة العربية وإجادة اشتقاق الكلمات مما هيأ للغة العربية مدارها الرفيع الذى توّج بأن اختارها - سبحانه وتعالى - لسانا للقرآن الكريم الذى ارتفع بالتعبير القرآنى فوق الشعر ولكن ظلت للشعر مكانته الرفيعة تحت سماء القرآن الكريم... وكما قدمنا أدى الشعر دوره فى حياة النبى [فى مثل قصيدة الأعشى وقصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) وشعر حسان بن ثابت.

وبعد وفاة النبى ﷺ انطلق الشعر يؤدى رسالته الرفيعة فى المسيرة الإسلامية بمذاق مختلف، فقد كان فى حياة الرسول الكريم يعود على الشعراء بنوال رضاء النبى وتشجيعه وحسب الشعراء ذلك مكسباً آنيا فى وقته، ولكن بعد رحيله - عليه الصلاة والسلام - كان الشعر ينطلق ابتغاء مرضاة الله وتأكيداً للمعانى الرفيعة التى جاء بها الإسلام واعتزازاً بالدين الحنيف وتعميقا للإيمان بالمبادئ السامية التى أرستها الرسالة المحمدية وخاصة وقد تنوعت القضايا الإسلامية وتعددت وأصبحت معينا ثريّا يغترف منه الشعراء كل حسب طاقته ومقدرة موهبته... وكانت أهم القضايا والأحداث الخطيرة التى تعرضت لها المسيرة الإسلامية بعد فجر الإسلام وبعد عهد الخلفاء الراشدين أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ذلك الصراع الدامى على الخلافة الإسلامية وانتزاع بنى أمية الخلافة على يد معاوية ثم مقتل الحسين بن على سبط النبى ﷺ وسيادة الأمويين حينا طويلا من الدهر ثم انقضاض بنى العباس على الأمويين وانتزاعهم الخلافة منهم واضطهاد هؤلاء العباسيين للعلويين أصحاب الحق فى الخلافة فى نظر قطاع كبير من المسلمين.

وما كان للشعر وهو قوام الثقافة العربية والإسلامية وعمودها الفقرى إلا أن يخوض المعركة ويضرب فيها بسهم وافر جدّا، ولمعت فى هذه الفترة أسماء عدد كبير من كبار الشعراء مثل: الفرزدق والكميت ودعبل والشريف الرضى ثم مهيار الديلمى، وقد خاض أغلب هؤلاء معركة الخلافة على أساس أن العلويين هم أصحاب الحق فيها أى أنهم كانوا معارضى السلطة ولهذا آثرنا أن نعرض لنماذج من شعرهم.

ومن أشهر القصائد فى هذا المجال: قصيدة الفرزدق التى قالها فى على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم.

وقد جاء فى كتاب مهذب الأغانى جـ٥ ص١٤٩ وفى كتاب وفيات الأعيان جـ٣ ص١٤٢ ذكر مناسبة هذه القصيدة على النحو التالى:

«أنه لما حج هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى حين كان وليا للعهد فى حياة أبيه طاف بالكعبة وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر لكثرة الزحام فنصب له منبراً جلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان الشام، وبينما هو كذلك إذ أقبل زين العابدين على بن الحسين وكان من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجا فطاف بالبيت ولما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه؛ مخافة أن يرغبه أهل الشام فيملكونه وكان الفرزدق الشاعر الكبير حاضرًا فقال: أنا أعرفه، فقال هشام: من هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق قصيدته العصماء التى نحن بصددها.

وقد حرصنا على إيراد هذه الحكاية التراثية بنصها مع ملاحظة ما فى الحكى من أسلوب تراثى قديم قد يكون فيه بعض الخروج ولكن الواقعة فى جوهرها لها دلالة وهى أن القاعدة الشعبية كانت مع العلويين المبعدين عن السلطة والحكم بدليل تنحى الجماهير لزين العابدين ليتسلم الحجر دون هشام بن عبد الملك ولى العهد صاحب السلطان وفى الرواية أن هشام قال أنه لا يعرف على زين العابدين خشية أن يفتتن به أعضاء الحاشية من أهل الشام فيؤيدون العلويين، وفى الحكاية أيضا أن الفرزدق قال هذه القصيدة الرائعة ارتجالا وهذا ما نستبعده.

المهم أن القصيدة شاعت وزاعت وكانت فى وقتها صيحة شعبية عارمة فى وجه الأمويين الحاكمين، وطبيعى لم ينج الفرزدق من العقاب، ولكن القصيدة كانت أداء لدور الشعر فى المعركة إذ أن الشعر كان التعبير الغالب والسائر على ألسنة الناس وفى آذانهم وكان المعبر عن حقيقة الأوضاع، والفرزدق كان فدائيا بطبيعة الحال وكان يعرف أنه يصرخ فى وجه السلطة ولكنه فعلها أمام هشام كما تقول الحكاية.

والقصيدة فى أبياتها الأولى تقول عن زين العابدين:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا
وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجم

والشاعر فى هذه الأبيات التى ظاهرها المديح تحت ادعاء أنه يجيب على تساؤل هشام، هو يرد على التساؤل ويكشف ما ينم عنه التساؤل المغرض الذى يستهدف النيل من زين العابدين ويبطل هدفه، ويتضح من هذا كله أنها مبايعة صريحة للعلويين وإعلان أنهم أصحاب الحق فى الخلافة ويقدم مبررات هذا الحق، ثم يقول الشاعر:

يغضى حياء ويغضَى من مهابته
فما يكلم إلا حين يبتسم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
الله شرفه قدما وعظمه
جرى بذاك له فى لوحه القلم

وهذا يؤخذ على ظاهره أنه مجرد مديح ولكن المتأمل فيه يتضح له أنه مبررات الخلافة وصفات الخليفة المثالى الذى تراه دائما مبتسما ويتواضع حياء فى الوقت الذى فيه تملأ مهابته عيون الناظرين إليه وحتى الحجر الجماد يمتد ليلمس يده وليس ذلك جديدًا فهذا قدر الله المسطر فى اللوح المحفوظ ثم يقول بعد ذلك:

سهل الخليقة لا تخشى بوادره
يزينه اثنان حسن الخلق والشيم
ما قال لا قط إلا فى تشهده
لولا التشهد كان لاءه نعم

وإن كان البيت الأول يكاد يكون مديحا شخصيا لزين العابدين يبتعد قليلا عن التأهل للخلافة ويشير إلى جمال الصورة إلا أن البيت الثانى يركز على صفات الملوك الذين كانوا لا يقولون ولا يسمعون كلمة «لا» أبدا فى البلاط الملكى.

ثم يعود الشاعر إلى المبايعة الصريحة للعلويين ويوضح مبرراتها التى لا يجادل فيها أحد فيقول:

من جده دان فضل الأنبياء له
وفضل أمته دانت له الأمم
مشتقه من رسول الله نبعته
طابت مغارسه والخيم والشيم
من معشر حبهم دين وبغضهم
كفر وقربهم منجى ومعتصم
تقدم بعد ذكر الله ذكرهم
فى كل بدء ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وعلى فرض صحة قصة القصيدة كما جاءت فى وفيات الأعيان ومهذب الأغانى فإن الفرزدق أوتى من الشجاعة ما دفعه لأن يقولها فى مواجهة هشام بن عبد الملك وفى العهد الأموى وقد حدث ما كان متوقعاً فعلاً فقد سجن الفرزدق وأرسل إليه زين العابدين وهو فى السجن اثنى عشر ألف درهم فردها وقال: «مدحته لله تعالى لا للعطاء» ولكن زين العابدين أصر وقال: «إنا أهل البيت إذا وهبنا شيئا لا نستعيده» وسواء قبل العطية أم ردها فهذا شىء وجوهر الموضوع شىء آخر وهو أن الشعر اداة من أدوات التعبير عن الرأي العام وإنه يأخذ دوره فى معركة النضال من أجل الخلافة الإسلامية ونصرة أصحاب الحق فيها فقد كانت المعركة صراعا بين الأمويين الذين اغتصبوا السلطة والعلويين أصحاب الحق فيها وكان الشعر من أمضى أسلحة هذه المعركة.

وموقف شعر الفرزدق فى هذه المعركة يشبهه إلى حد ما موقف خلفه الشريف الرضى من بنى العباس الذين انتزعوا السلطة من الأمويين ولكنهم اضطهدوا العلويين أصحاب الحق الأصيل فى الخلافة فقال الشريف الرضى فى ذلك شعراً كثيراً منه قصيدته التى يقول فى مطلعها مخاطبا العباسيين:

ردوا تراث محمد ردوا
ليس القضيب لكم ولا البردُ

والقضيب والبرد من مظاهر الخلافة

ويقترب هذا كثيرا من موقف الشاعر الكميت ابن زيد حين مدح العلويين بقصائد كثيرة منها البائية ومطلعها:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب
ولا تعبا منى وذو الشوق يلقب

ومنها:

إلى النضر البيض الذين نحبهم
إلى الله فيما نالنى أتقرب
بنى هاشم رهط النبى فإننى
بهم ولهم أرض مراراً وأغضب

ومما يذكر فى هذا المجال ويتمم ما بدأناه فيه أن العلويين أرسلوا للكميت بعطاء وكسوة فقال: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أحببت الدنيا لأتيت من هى فى يديه ولكنى أحببتكم للآخرة فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأما المال فلا أقبله.

فلسفة الحج بين الواقع والمأمول

فضيلة الشيخ / شوقى عبد اللطيف

● ما أحوج العالم اليوم إلى الاستفادة من كنوز فريضة الحج و ما تحويه من نفائس فهى عين الخلاص وطوق النجاة للإنسانية لما تعانيه من تفسخ أخلاقي، واجتماعى وضياع إنساني، وانحدار اقتصادى بات يهددها حتى أصبح باطن الأرض لكثير من أهلها خير من ظاهرها .

● لقد أصبح المجتمع الإنسانى اليوم مجتمعا متوحشا يأكل القوى فيه الضعيف، فالقوة الغاشمة أصبحت الآن هى لغة التخاطب، والربا هو لغة التعامل، والأنانية هى شعار الجميع، والظلم هو السائد، والعدل، والتسامح والرحمة قيم تلاشت واندثرت كلها من حياة المجتمع المعاصر .

● لقد ظن بعض الطغاة وأصحاب النفوذ والقوة والسطوة أن الشمس لن تغيب عنهم إلى الأبد، فبغوا وطغوا وأشاعوا الخوف والفساد فى البلاد و بين العباد، متناسين أن أمما سابقة ملكوا ما بين المشرق والمغرب ثم ضاع ملكهم وذهب أثرهم بسبب ظلمهم وفسادهم وغرورهم، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ● إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ● الَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى الْبِلَادِ ● وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ● وَفِرْعَوْنَ ذِى الأَوْتَادِ ● الَّذِينَ طَغَوْا فِى الْبِلَادِ ● فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ● فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ● إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾ الفجر : ٦ -١٤.

وقال سبحانه : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً . وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً** ﴾ الإسراء : ١٦ - ١٧.

ولا يزال الواقع المعاصر المشاهد يؤكد لنا هذه الحقيقة، فقد حل عذاب الله ببعض هؤلاء، فغابت الشمس عنهم بين عشية وضحاها فصاروا أثرًا بعد عين، فخارت قواهم وضاق عيشهم وكثر همهم وتفرق جمعهم .

● إن الثالوث المرعب الذى يداهم عالمنا اليوم : «الفقر، والجهل، والمرض» خطر يهدد الإنسانية بأثرها .

● إن النكسة الاقتصادية، والانهيارات المالية التى أحاطت بعالمنا اليوم سوف تنبئ عن آثار خطيرة وعواقب وخيمة لا يعلم مداها إلا الله وسوف تهوى على أثرها دول عظمى غرتها قوتها، وجبروتها، وحظوتها، ولم تعتبر بما حل بالسابقين أمثالها .

● وتلك هى سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا وصدق الله اذ يقول : ﴿ **وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ** ﴾ هود ١٠١.

- وقوله تعالى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ . وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ هود ١٢٠.

■ **الدين حصن الأمان :**

إن المادة وحدها لن تحقق للإنسان أمنه وأمانه، و سعادته، وقد أثبتت التجارب إفلاس جميع النظريات الفلسفية والمادية خاصة إذا لم تكن تحت راية الأخلاق، وفى ظل منهج الله، وصدق الله إذ يقول : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ● قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ● قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى . وَكَذَلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ● أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِى النُّهَى﴾ طه : ١٢٤ - ١٢٨.

■ إن منهج الله وحده فيه الأمان من كل خوف، والسلامة من كل خطر، والعصمة من كل زلل، والنجاة من كل كرب، والخلاص من كل معضلة وفتنة، فيه الشفاء من كل داء وسعادة الدارين قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لاَ يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور ٥٥.

■ **فلسفة فريضة الحج :**

فريضة الحج فيها من الدروس، والعبر، والتوجيهات، والحكم التى لو وعاها العالم لما وصل إلى ما وصل إليه من مفاسد، وفتن، ومشاحنات، وانقسامات .

● ومن هنا ظهرت الحكمة جلية فى جعل هذه الفريضة هى الخامسة والأخيرة فى ترتيب أركان الإسلام حيث انتظمت كل أركان الإسلام السابقة عليها من توحيد وصلاة، وزكاة، وصيام لتكون مسك الختام ورمز الكمال والتمام .

● وفى حجة الوداع وفوق أرض عرفات نزل قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ روى الأئمة عن طارق بن زياد قال : «جاء رجل من اليهود إلى عمر رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين : آية فى كتابكم تقرءونها لو علينا أنزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا . قال : وأى آية ؟ قال: **«اليوم أكملت لكم دينكم»** فقال عمر : إنى لأعلم اليوم الذى أنزلت فيه والمكان الذى أنزلت فيه . نزلت على رسول الله ﷺ بعرفة يوم جمعة» **(١)**.

■ وتأتى أهمية هذه الفريضة وتظهر مكانتها عندما أرجأ الرسول ﷺ أداءها للعام العاشر من الهجرة حيث أرسل وفد الحجيج فى العام التاسع تحت قيادة أبى بكر رضي الله عنه ثم أرسل عليا ليلحق بركب الحجيج ومعه آيات نزلت من صدر سورة براءة ولينادى بين الجموع وفى ربوع مكة .

قال محمد بن إسحاق :

«لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضي الله عنه ليقيم للناس الحج قيل له: يا رسول الله : لو بعثت بها إلى أبى بكر ؟ فقال : **«لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى، ثم دعا عليًا بن أبى طالب رضي الله عنه فقال له اخرج بهذه القصة من صدر سورة براءة وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج من العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيه ليرجع كل قوم إلى مأمنهم وبلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذى ذمة إلا أحدا كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة، فهو إلى مدته»**، فلم يحج بعد العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله ﷺ» **(٢)**.

■ **حجة الوداع :-**

يقول ابن القيم مبينا الحكمة فى أن الرسول ﷺ أخر حجه للعام العاشر :

«الحج فرض فى السنة التاسعة وما كان من حج الناس قبلها إنما كان على العادة التى كانت عند العرب، ولذلك لم يرسل النبى ﷺ أميرا على الحج إلا فى السنة التاسعة ولم يحج فى هذا العام لأن

المشركين كانوا يحجون على عادة الجاهلية فأرسل أبا بكر ولم يذهب بنفسه حتى لا يكون سكوته إقرارا لهذه الأمور الجاهلية ولما منعت بمنع المشركين من القرب من المسجد الحرام قام ﷺ بالحج وتولى إمرته بنفسه وقد بين الرسول ﷺ للصحابة ومن آتى بعدهم كيفية الحج وبيان مناسكه قولا وعملاً فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم وقال : **«خذوا عنى مناسككم»** .

■ **البيان النبوى الكامل :**

كان النبى ﷺ حريصا على أمته رحيما بها، مهتما بشأنها وكان ﷺ يقول : **«من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »** وقد ورد أن جبريل عليه السلام جاء يوما فوجده مهموما فسأله عن سبب همه ؟ فقال : «همى على أمتى يا جبريل» فأوحى الله تعالى إليه: **«إن الله يكل إليك حساب أمتك أبدا»** فقال : **«لا يا ربى أنت أرحم بهم منى»** فأوحى الله إليه : **«إذاً لا يخزيك الله فى أمتك أبدا»**، وذلك قوله تعالى : **﴿يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾** التحريم : ٨.

■ والأمة التى اهتم بها الرسول ﷺ هى أمة الدعوة، فدعوة الرسول ﷺ كانت للبشرية بأثرها منذ بعث وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وذلك مصداقا لقوله تعالى : **﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾** سبأ : ٢٨، وقوله تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾** الأنبياء ١٠٧.

■ ولقد بلغت رحمته لأمته كل مبلغ ولهذا نجد أن الرسول ﷺ حين شعر بقرب أجله بعد أن نزل عليه قول الحق : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾** المائدة : ٣ ، قرأها على أصحابه ثم وقف بعرفات فى حجة الوداع ليخطب الناس وليعلن بيانه الكامل الشامل الخالد الذى يصون للبشرية كرامتها، ويحفظ لها عزتها، ويعيد إليها مجدها وحضارتها، ويرسم لها طريق سعادتها.

● لقد بدأ الرسول ﷺ بيانه بحمد الله والثناء عليه ثم استهله قائلا :

« أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا» :

إن هذا الاستهلال البارع يوضح مدى حرصه الشديد على الإنسانية لتحيا عزيزة الجانب، قريرة العين، سعيدة المحيا والممات، ثم بدا الرسول ﷺ طرح بنود هذا البيان الرائع وكان أول بنود هذا البيان التأكيد على حرمة الدماء والأموال . فقال ﷺ : **«أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا . ألا هل بلغت. اللهم فاشهد، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها»** (صحيح البخاري). وفى هذا البند تأكيد على حرمة الدماء بغض النظر عن عقيدة صاحبها، وجنسه، ولونه ووطنه فالإنسان له حق الحياة وهو بنيان الرب وملعون من هدم بنيان الرب وله حق الحرية الكاملة حتى فى اختيار عقيدته.

ولقد عظم الإسلام الإنسان وبين مكانته فى قوله تعالى : **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾** الإسراء : ٧٠.

كما حذر من إراقة الدماء موضحا ومؤكدا بان قتل النفس ظلما يعادل قتل الإنسانية وفى الوقت نفسه دعا إلى الحفاظ على النفس الإنسانية ؛ وبين أن فى حفظها حفظا للإنسانية بأكملها قال تعالى : **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾** المائدة : ٣٢.

منهج الإسلام وحده يحمل الأمان من كل خوف والسلامة من كل خطر والنجاة من كل كرب

وحفاظا على النفس الإنسانية شرع القصاص من القاتل ليكون عبرة لغيره قال تعالى : ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ البقرة : ١٧٩، وقد أكدت شريعة الإسلام وفقهاء الأمة على أن المسلم يقتل بالكافر - إذا قتله ظلما دون وجه حق - فالإسلام لا يفرق بين دم مسلم وكافر؛ حتى فى الحروب التى خاضها الرسول ﷺ وكانت كلها حروبا وقائية أو دفاعية، فكان الرسول ﷺ يوصى أصحابه قائلا : «لا تتمنوا لقاء العدو " وكان يأمرهم إذا لقوا عدوهم ألا يقتلوا وليدا، ولا امرأة، ولا شيخا ,ولا يقطعوا شجرا أو نخلا » بل كان ينشد السلام ويتمناه حفاظا على عدم إراقة الدماء وسفكها، امتثالا لأمر ربه ﴿ **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ الانفال : ٦١.

■ **ومن بنود البيان النبوى الشريف - حرمة الأموال - :**

أما فيما يتعلق بحرمة الأموال فقد أكد البيان النبوى الشريف على أهمية الملكية الخاصة والعامة فى الإسلام وأمر بالحفاظ عليها واعتبر قدسيتها، لا فرق فى ذلك بين مال المسلم وغير المسلم ؛ لأن المال به دوران عجلة الحياة فهو عمادها وعصبها، ومن هنا شرع قطع يد السارق صيانة للمال الذى يكون به العمران وتزدهر به الزراعة، والصناعة، والتجارة، إن عدالة الإسلام التى رفع رايتها الرسول ﷺ استظل بها الجميع مسلمين وغير مسلمين ومن هذا المنطلق حذر من ظلم أهل الكتاب أو انتقاص قدرهم ففى الحديث الشريف **«من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»**(٣) .

إن الرسول ﷺ لم يتهاون لحظة من اللحظات فى إقامة أى حد من حدود الله تعالى، حتى يستفيد المجتمع ويعم الأمن ولو كان مرتكبه أقرب المقربين إليه ﷺ فقد روى عنه ﷺ : **«والذى نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها»**(٤)

وإذا كان الإسلام قد حفظ لغير المسلمين حرمة دمائهم، وأموالهم، فقد حذر من مجرد إيذائهم حتى ولو كان ذلك عن طريق الكلمة أو الإشارة أو الفعل، فقد ورد عنه ﷺ : **«من آذى ذميا فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله»**.(٥)

إن الإسلام ينهى أبناءه عن استخدام أى لون من ألوان التخويف، أو الترويع حتى يعيش الجميع مسلمين وغير مسلمين فى أمن وسلام وفى الحديث الشريف : «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه»(٦)

■ إن عظمة الإسلام وسماحته قضت أن لا يكون المسلم عدوانيا، ومن ثم فإن العدوان على المسلمين وغير المسلمين يعد حماقة وعدوانا بغير حق؛ لأنه يؤدى إلى تصوير الإسلام بصورة لا تليق به ولا بأبنائه.

● إن الإسلام يدين الإرهاب بكل أشكاله، وألوانه ويدعو إلى الضرب على أيدى الإرهابيين بيد من حديد حتى يكونوا عبرة لغيرهم وذلك باستخدام كل الوسائل الرادعة التى بينتها الشريعة الغراء فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ المائدة : ٣٣.

■ هذا هو الإسلام وهذه سماحته، وتلك هى وسائله الفاعلة فى الحفاظ على النفس والمال فأرونى موقف غير المسلمين مع المسلمين إن مما يدعو إلى الخجل والدهشة أن يتهم أعداء الإسلام بأنه دين القتل والإرهاب مع أنهم هم الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم : «فالعراق، وفلسطين، وأفغانستان، وغيرها من البلدان الأخرى» خير شاهد على ذلك .

● إن سفينة السلام لم ولن تصل إلى شاطئ الأمان إلا فى ظل تعاليم الإسلام السمحة .

● و إن عالمنا اليوم فى أمس الحاجة إلى الاستفادة من بيان الرسول الكريم ﷺ فى حجة الوداع حتى يعود إليه الهدوء، والأمن والسلام .

● ومن بين بنود هذا البيان :

- تحريم الربا - :

قال ﷺ فى بيانه **«وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا ابدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب»** إنه لمن الواجب على كل القائمين على شأن الاقتصاد العالمى أن يثوبوا إلى رشدهم .

وعلى حكام العالم أيضا الاحتكام إلى بيان الرسول ﷺ والعمل على تفعيله خاصة بعد الضربات الاقتصادية المؤثرة والنكسات المالية المتتالية التى لحقت بالعالم فى هذه الآونة بسبب تعاملهم بالربا والعمل على ترويجه .

● إن العالم لم يهنأ اقتصاديا إلا فى ظل اقتصاد إسلامي، فالمعاملات المالية فى الإسلام قائمة على العدل والإنصاف وعدم الغبن والظلم، والنظريات الاقتصادية الإسلامية ثرية وقادرة على إخراج العالم من كبوته الاقتصادية ومصيره المشئوم.

● ولهذا نجد الحكمة فى تحريم الإسلام للربا وبيانه لحال ومآل الذين يتعاملون بالربا وهو ما نلاحظه من الاضطراب والقلق النفسى والتأرجح المالى للمتعاملين بالربا ومدى الخسارة التى يتعرضون لها فضلا عن زوال هذه الأموال وتبددها وضياعها، قال تعالى : **﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾** البقرة : ٢٧٥ - ٢٧٦ .

■ وليت الأمر يقف عند هذا الحد فقد أعلن الله الحرب على المتعاملين بالربا، ومن يستطيع أو يقوى على محاربة القوى القهار قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ . وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** البقرة : ٢٧٧ - ٢٧٨ .

● ومن بين بنود هذا البيان :

حق المرأة :

فقال ﷺ **«أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حقا و لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرّح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأمرهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا، ألا هل بلغت : اللهم فاشهد»**

● ولكن من الأمور المخجلة أن يغرر بالمسلمة وتستهويها العبارات الشيطانية التى يتبناها أعداء الإسلام من خلال دعواتهم الباطلة التى يزعمون فيها ظلم الإسلام للمرأة وانتقاصه لقدرها واحتقارها وتهميشها كما زين لهن أعداء الإسلام أن هذه الحقوق هى : العرى، والفجور، وارتياد المقاهي، والرقص، والانفلات، وفعل الخنا، ومزاحمة الرجال، وشرب السيجار، وتناول المخدرات .

● و لقد كرس العدو كل جهده لإغراء المرأة المسلمة بهدف مسخ هويتها والقضاء على كيانها، لأن فى ضياع المرأة ضياع للأسرة، بل ضياع للمجتمع، وقد انصاع لهذه الغواية بعض نسائنا، فتمردن على الإسلام وعلى قيمه، وتعاليمه فأصابتهن لعنة السماء وخربن بيوتهن بأيديهن .

● لقد نسى العدو ونسيت بعض النساء المنحرفات ما آلت إليه المرأة الغربية من هوان وضياع حتى أصبحت سلعة تباع وتشترى، ولم تعرف طريق السعادة أو الطمأنينة لقد باتت تعانى الكثير والكثير فأصابها اليأس والإحباط والأمراض النفسية والبدنية .

● إن الإسلام أعطى المرأة حقوقا لا تقل عن حقوق الرجل بل أعطاها ما لم يعطها أى نظام أو قانون قديم كان أو حديث .

● تعالوا بنا نرى تلك الحقوق التى منحها الإسلام للمرأة حيث أكد على مكانتها والتى لا تقل بأى حال من الأحوال عن مكانة الرجل .

● لقد بين الإسلام أن لحواء الفضل كما لآدم سواء بسواء، فهو

أب للبشرية وهى أم لها كذلك قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ النساء : ١.

■ وهما فى العبادة والحقوق والواجبات سواء بسواء، كما أن لها ذمتها المالية المستقلة ولها حرية الرأى واستقلال الفكر.

● وهى الأم التى أمرنا ربنا ببرها، والأخت التى أمرنا بصلتها، والبنت التى أمرنا بتربيتها وتعهدها، والزوجة التى نسعى لأجل إسعادها والعمل على راحتها، قال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ النساء : ٢٢٨.

■ و قد خصص القرآن سورة باسم امرأة، وهى سورة مريم عليها السلام، ومدحها فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ . يَا مَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ آل عمران : ٤٢ – ٤٣.

■ كما خصص القرآن سورة باسم النساء، واشتمل على ذكر الكثير من الأحكام والأمور التى تتعلق بشأنهن، وسمع شكوى من شكت منهن وأجابها من فوق سبع سماوات كما ورد فى سورة المجادلة قال تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة : ١.

● كما أفاض القرآن الحديث عن امرأة فرعون فزكاها وأثنى عليها الثناء العطر وجعلها مضرب المثل للذين آمنوا، قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى عِندَكَ بَيْتاً فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ التحريم : ١١.

■ ولم يغفل التاريخ الإسلامى خديجة بنت خويلد رضى الله عنها صاحبة الأيادى البيضاء على الدعوة الإسلامية والداعى إليها – رسول الله ﷺ – فهى التى ساندته ووقفت بجانبه وبذلت المال والوقت والنفس فى سبيل نشر الدعوة ونصرة الرسول ﷺ .

● وكذا كانت أمهات المؤمنين عائشة، و أم سلمة، وزينب، وغيرهن من نساء أهل البيت الذين عملوا على راحة الرسول ﷺ ومساعدة المسلمين علميا وثقافيا .

● ومن منا لم يعرف فاطمة بنت محمد خير نساء الأرض وسيدة نساء الجنة والتى فاقت الرجال فى رجاحة عقلها وكمال خلقها، وعفتها وحيائها .

● ولهذا كله وقف الرسول ﷺ يعلن من فوق عرفات حق المرأة حتى يقطع ألسنة المزايدين على الإسلام وبرَّز مكانة المرأة ودورها فى خدمة الدنيا والدين.

● إن الرسول ﷺ الذى ختمت به الشرائع وأوتى جوامع الكلم نرى فى بيانه الذى طرحه على الإنسانية جمعاء حجة فى أعناق قادة العالم فى كل زمان ومكان ذلك لأنه وإن كان يخاطب جيل الصحابة الحضور بين يديه، إلا أنه بيان شامل وكامل صالح للعمل به فى كل زمان ومكان، أينما حل أبناؤها، وإن التقصير فى أداء الواجب لا يعفى من المسئولية وإن الرضوخ لأى قوة فى الأرض يعد خذلانا لدين الله، وإن الاستهانة بحدود الله وتطبيق شرع الله يؤدى إلى هلاك البلاد والعباد، ومن ثم وجب إعادة النظر فى ضبط القوانين فى أى دولة من دول العالم فى شتى مناحى الحياة لتنطلق المسيرة فى ضوء تعاليم السماء ليعود للإنسانية مجدها وعزها وأمنها وسلامها .

هذا وبالله التوفيق ؛؛؛

الهوامش

١ تفسير القرطبى
٢ السيرة النبوية لابن هشام
٣ رواه البخارى ومسلم
٤ سنن الدارمى جـ ٢ صـ ٢٢٧
٥ رواه مسلم
٦ رواه مسلم

صيانة البيئة فى الشريعة الإسلامية

د. أحمد محمود كريمه

مفهوم البيئة: البيئة والباءة والمباءة فى اللغة العربية أسماء بمعنى : المنزل الذى يأوى إليه الإنسان والحيوان ويقيم فيه وهى مشتقة من الفعل «بوأ» بتشديد الواو، فيقال:- أباءه منزلاً، وبوأه إياه، وبوأه فيه، بمعنى هيأه له وأنزله ومكن له فيه، قال الله تعالى : ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفًا**﴾ سورة العنكبوت آية ٥٨، وتوصف هيئة التبوء وحاله بالحسن أو السوء، فيقال: إنه لحسن البيئة، أو إنه باء ببيئة سوء[١].

واصطلاحًا: «الوسط الذى يحيا فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بنى البشر»[٢].

البيئة فى العلوم الكونية مصطلح يتسع مدلوله ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات، وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها، كذلك من خلال الأنشطة البشرية المختلفة، وعلاقة الإنسان بالإنسان وبالحيوان والنبات وموارد البيئة التى تنظمها الشرائع بصفة عامة والقوانين والعادات[٣].

وهذا المفهوم يمكن أن يؤدى بنا إلى ثلاثة أبعاد أساسية هى:

(١) البعد الإيكولوجى: ويتناول هذا البعد وصف العلاقات بين الإنسان والكون وتعريفها وتحليل الأنظمة البيئية وعناصرها والعمليات الداخلة فيها.

وهذا البعد يمكن تسميته (علم البيئة) أو الإيكولوجيا Ecology وهو يتضمن مفهومين مهمين:

(أ) مصطلح النظام البيئى Ecosystem، ويطلق على أية وحدة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية، تتفاعل مع بعضها البعض لتكون بقدرة الله – عز وجل – نظامًا مستقرًا فى إطار التوازن الكونى الشامل الذى قدره الخالق العظيم – تبارك وتعالى – ﴿**الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى**﴾ سورة طه آية ٥٠، بموازين دقيقة محكمة ﴿**ذلك تقدير العزيز العليم**﴾ سورة يس آية ٣٨، وهذا التوازن القائم الذى وضعه الله – تقدست صفاته – بين مختلف عناصر البيئة ملحوظٌ معروف مألوف واقع تحت دائرة الحس والمشاهدة والمعاينة.

إفساد التوازن البيئى يعد من أشد الجرائم التى لا يقبل عليها إلا الكارهون للحياة

(ب) مصطلح التلوث – الذى يعنى من الوجهة العلمية – وجود أى مادة أو طاقة فى غير مكانها أو زمانها المناسبين بكميات غير ملائمة لاستمرار التوازن البيئى[٤].

(٢) البعد الثقافى الاجتماعى: ويشتمل الأنماط السلوكية والقيم التى تتحكم فيها أو تبرر أوجه الاستخدام للموارد الطبيعية المتنوعة والعلاقات بين الإنسان وبينها.

(٣) البعد الاقتصادى والاجتماعى: ويتضمن مدى الاستخدام للموارد الطبيعية من الوجهة الاقتصادية، ومجموعة النظم الإدارية والتشريعية ذات العلاقة.

ونخلص من هذا إلى أن الإنسان يعيش فى (بيئة) تتكون من ثلاثة محيطات متداخلة تتبادل الأثر والتأثير – بقدرة الله – تباركت أسماؤه وهى:

(أ) المحيط الحيوى Biosphere: وهو بيئة الحياة الأصلية التى أوجد الله – سبحانه وتعالى – الإنسان فيها بين صور الحياة الأخرى.

(ب) المحيط المصنوع Technosphere: ويراد ما أنشأه الإنسان فى البيئة مثل: القرى والمدن والتجمعات البشرية الحضرية والبدوية وغيرها، وشبكة الطرق، والمصانع، والمناجم والمحاجر ... إلخ.

(ج) المحيط الاجتماعى Sociosphere: ويعنى به النظم التشريعية والإدارية والعادات والأعراف التى تدير المجتمعات البشرية شئون أحوالها الاقتصادية والاجتماعية من خلالها[٥].

أهمية صيانة البيئة من المنظور الإسلامى

كرم الله – سبحانه وتعالى – الإنسان، فأسجد له ملائكته، وسخر له عناصر الكون قال الله – عز وجل –: **﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾** سورة الإسراء آية ٧٠.

فالله – سبحانه وتعالى – هيأ للإنسان الأرض وما فيها من بحار وأنهار وجبال ومعادن، والفضاء بما فيه من نجوم وكواكب، قال الله – جلّ شأنه –: **﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الأرض﴾** سورة لقمان آية ٢٠.

وهذا التسخير يوجب على الإنسان أن يبذل جهده فى الاستفادة مما سخر الله – تعالى – له وتعميره وتطويره وتحسينه، ولا يجوز للإنسان التقصير بذلك أو إهماله، ومن باب أولى يحرم عليه تخريب أى جزء من الكون بأى نوع من أنواع التخريب، لأن من أسس الحضارة الإسلامية:

(أ) الإعمار . (ب) التحسين.

وعناصر الكون المسخرة للإنسان بمثابة (الأمانات) التى يجب على الإنسان المحافظة عليها، من هنا حرم وجرم الإسلام كل وسائل إفساد البيئة، يقول الله – سبحانه وتعالى – : **﴿ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا..﴾** سورة الروم آية ٤١.

من هنا أوجب الإسلام التعاون لكل ما منه خير وبر يصلح الفرد ويسعد المجتمع، قال الله – تعالى – : **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾** سورة المائدة آية ٢.

وأن صيانة البيئة فيها المحافظة على الأمن الداخلى للمجتمع حماية للنفوس والأموال والنسل، مما يوفر للإنسان ظروف العيش الكريم، يقول الله – تعالى –: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾** سورة النحل آية ٩٠.

الميـــــاه

أفاضت النصوص الشرعية – القرآن الكريم والسنة النبوية – فى بيان أهمية الماء والنتيجة العلمية لوجوده على تربة الأرض فيما يعرف بخصوبة التربة، ولا يقتصر الأمر على هذا بل تتخطى النصوص الشرعية تلك الخاصية لتظهر ميزة ثراء كوكب الأرض بالماء، تلك الميزة الفريدة فى نظام المجموعة الشمسية على حسب معطيات المعارف الحديثة ثبوتًا، فلولا الماء لكانت الأرض كوكبا ميتا مثل القمر، ولقد وضحت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أهمية الماء فى الحياة ودورة الماء والبحار وأهمية الينابيع المائية والأمطار والخيرات الكامنة فى البحار وعظم نعمة الأنهار ومن أمثلة ذلك:

قول الله – تعالى –: **﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم..﴾** سورة البقرة آية ٢٢.

قول الله – تعالى –: **﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجًا من نبات شتى..﴾** سورة طه آية ٥٣.

قول الله – تعالى –: ﴿**ونزلنا من السماء ماءً مباركًا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ..﴾** سورة ق آية ٩.

قول الله – تعالى –: **﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون ● فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون﴾** سورة المؤمنون الآيتان ١٨، ١٩.

قوله – سبحانه –: **﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ...﴾** سورة الزمر آية ٢١.

قول الله – تعالى –: **﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحمًا طرّيا وتستخرجوا منه حليةً تلبسونها ...﴾** سورة النحل آية ١٤.

والنصوص فيما سوى ذلك كثيرة، والأخبار الصحيحة غزيرة.

إذا علم هذا :-

فإن النصوص والقواعد الشرعية أوجبت صيانة الماء من التلوث ومن الإهلاك :-

أولاً : جاءت الأحاديث النبوية المطهرة قاضية بعدم التبول والتبرز فى الماء خاصة الراكد :

قال رسول الله ﷺ : **«لا يبولن أحدكم فى الماء الدائم - الذى لا يجرى - ثم يغتسل فيه»**[٦]، وفى لفظ الترمذى: **«ثم يتوضأ فيه»**.

وبعدم التنفس فى إناء الشرب:

عن أبى قتادة رضي الله عنه **أن النبى ﷺ نهى أن يتنفس فى الإناء**[٧].

وبعدم الشرب فى (فم) الإناء مباشرة :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: **«نهى رسول الله ﷺ عن أن يشرب من فِىّ (فم) السقاء أو القربة»**[٨]. وبعدم النفخ فى الشراب.

عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه **أن النبى ﷺ نهى عن النفخ فى الشراب...**[٩].

ثانيًا : ونهت النصوص الشرعية عن الإسراف فى استعمال الماء :

يقول الله - عز وجل -: **﴿ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين﴾** سورة الأعراف آية ٣١.

نهى الرسول ﷺ عن الإسراف فى الماء ولو كان على نهر جار[١٠].

صيانة التوازن فى عالم النبات والحيوان

يقول الله تعالى: **﴿وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾** سورة الرعد آية ٤.

﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ سورة الحج آية ٥.

﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ سورة الأنعام آية ٣٨.

﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون ● ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ سورة النحل الآيتان ٦٨, ٦٩.

﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين﴾ سورة النحل آية ٦٩.

﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ..﴾ سورة النحل آية ٧٩.

﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ● ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ● وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم ● والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ سورة النحل الآيات ٥-٨.

بالتأمل العميق الدقيق المنصف الواعى بوسائل وأدوات العلم المعتمدة والمعتبرة يتضح أن هذه العوالم تتفاعل مع بعضها البعض لتكون نظامًا مستقرًا فى إطار التوازن الكونى الشامل الذى قدره الله - تقدست صفاته - لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة، وأن أى خلل يحدثه الإنسان فى مكان ما أو زمان ما يمكن أن يسبب تأثيرات ملحوظة فى أماكن وأزمنة أخرى لأن النظم البيئية لا توجد بمعزل عن بعضها البعض[١١].

وهذا التوازن البيئى بمختلف صوره وأشكاله تجب المحافظة عليه وفاء بأمانة الصيانة لهذه النعم الظاهرة والخفية، وأن أى إفساد لهذا التوازن يعد من أكبر الجرائم التى لا يقدم عليها إلا المعتدون الكارهون للحياة، ويصور القرآن الكريم عملية التعدى على الحرث والنسل بالإفساد فى الأرض فى سياق حديثه عن نعوت الجبارين، يقول الله تعالى: **﴿ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ● وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾** سورة البقرة الآيتان ٢٠٤، ٢٠٥، فهل بعد هذا الإفساد فى مكونات البيئة إفساد!.

الأماكن العامة والحياتية

من المعروف بداهة لذى بصيرة أن الإسلام دين الطهارة الحسية[١٢] والمعنوية[١٣].

يقول الله تعالى: **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** سورة البقرة آية ٢٢٢.

ووضح رسول الله ﷺ فى هديه أن الله - تباركت أسماؤه - جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة.

وقد حضت الشريعة الإسلامية الفرد على نظافة البيئة فى مجالاتها الأساسية فمن ذلك:

(أ) نظافة الأماكن والطرقات: فقد جاءت الأخبار الصحيحة القاضية بتجنب التبول والتبرز فى الطرق وموارد المياه وبجوار وتحت الأشجار وفى الظل والجحر وما أشبه:-

قال رسول الله ﷺ: **«اتقوا اللاعنين، قالوا: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال: الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم»**(١٤).

قوله ﷺ : **«اتقوا الملاعين الثلاثة: البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل»**(١٥).

نهى رسول الله ﷺ أن يبال فى الجحر(١٦).

قوله ﷺ: **«لا يبولن أحدكم فى مستحمه ثم يتوضأ فيه»**(١٧).

نهيه ﷺ عن البصاق فى المسجد...(١٨).

(ب) التنزه عن النجاسات الحسية والتطهر منها:-

دم الحيض والنفاس والاستحاضة، والمنى والمذى والودى والبول والغائط والقىء وفضلة ولوغ الكلب والميتة وسائر المستقذرات شرعًا وعرفًا(١٩).

(جـ) عدم الإضرار بالغير: ويأتى على رأس هذا الأمر فيما نحن بصدده التدخين بشتى صوره خاصة فى الأماكن المغلقة، والأصل فى هذا:

نهيه ﷺ عن كل مسكر ومفتر(٢٠).

وقوله ﷺ: **«لا ضرر ولا ضرار»**(٢١).

وكذلك الإفراط فى سوء الاستخدام فى كل ما يؤدى إلى اختلال واعتلال التوازن البيئى الذى يحذر منه العلماء.

ومتى فقه الإنسان ما سلف يمكن أن تصحح نظرته للبيئة وبالتالى يداوى الخلل الذى أحدثه فى منظومة العلاقة بينه وبين البيئة امتثالا لنصوص وقواعد ومقاصد الشريعة الإسلامية الغراء.

والله - تعالى - الموفق لكل خير وبر .

الهوامش :

(١) لسان العرب لابن منظور ٣٨٢/١ مادة «بوأ».

(٢) اللعب والمحاكاة فى مجال التربية البيئية المجلد ١٠، العدد ٢ ص ٤، اليونسكو نشر عام ١٩٨٥.

(٣) الإنسان والبيئة فى التصور الإسلامى أ. د/ أحمد فؤاد باشا، مقال بمجلة (الأزهر) عدد شوال ١٤٢١ هـ - يناير ٢٠٠١م، ص ١٥٦٤ - بتصرف.

(٤) الإنسان ومشكلات التلوث البيئى، مجموعة مقالات أ. د/ أحمد فؤاد باشا، عميد كلية العلوم جامعة القاهرة، مجلة الأزهر الأعداد ٢، ٣، ١٩٩٢، ٥، ١٩٩٣م.

التلوث مشكلة العصر د./ أحمد مدحت إسلام، عالم المعرفة بالكويت - التلوث وحماية البيئة، الرياض ١٩٨٥م.

(٥) قضايا البيئة المعاصرة: أ/محمد القصاحى، مجلة العلوم الحديثة، العدد ٩/١ وما بعدها نشر ١٩٨٢م.

(٦) أخرجه مسلم فى صحيحه، وابن ماجه فى سننه، والترمذى فى سننه.

(٧) متفق عليه.

(٨) متفق عليه.

(٩) رواه الترمذى، وقال: حسن صحيح .

(١٠) رواه أحمد وابن ماجه.

(١١) مجلة الأزهر جزء ١٠ عام ٧٣، عدد شوال ١٤٢١هـ - يناير ٢٠٠١م.

(١٢) مثل الوضوء والغسل للأبدان، وغسل الثياب المتنجسة، وغسل الأوانى وتنظيفها، وتطهير الأرض المتنجسة لإرادة الصلاة، وقد بسطت المصنفات الفقهية القول فيها تفصيلاً استنباطيًا من النصوص الشرعية.

(١٣) مثل الحقد والحسد والشحناء والبغضاء ... إلخ.

(١٤) أخرجه مسلم وأحمد وأبو داود.

(١٥) رواه ابن ماجه والحاكم.

(١٦) أخرجه أحمد والنسائى والبيهقى.

(١٧) أخرجه أحمد وأصحاب السنن.

(١٨) أخرجه البخارى فى صحيحه.

(١٩) فصلت المصنفات الفقهية القول فى هذا تفصيلاً استنباطًا من الأدلة الشرعية ضربًا للصور وتقصيدًا للقواعد وتأصيلاً للأحكام وانظر : القرآن والطب د. محمد وصفى ص ١٩٤. وما بعدها .

(٢٠) رواه أصحاب السنن.

(٢١) رواه أصحاب السنن.

العدل الاجتماعى فى الإسلام وأثره فى استقرار المجتمع

د/ محمد عبد الستار نصار

الأمن والاستقرار المجتمعى، ضرورة لا يمكن تجاوزها فى حياة الأفراد والجماعات؛ لأن الإنسان من حيث هو مدنى بطبعه، ويستحيل أن يعيش معزولا عن بنى نوعه، حتى لا تصبح حياته سجنا لا يطاق، ويترتب على مدنيته هذه أن يحكم تعاملُهُ مع نفسه، ومع غيره من أفراد مجتمعه، مجموعةٌ من الضوابط، حتى يتحول الإنسان الفرد من «ذاتيته» إلى «إنسانيته». وهذا مطلب تسعى إليه الأديان السماوية، التى نزلت من عند الله سبحانه وتعالى، والنظم الاجتماعية الراقية، وليست الضوابط المشار إليها، تشكل قيودا على حرية الفرد وحركته فى المجتمع، ولكنها فى حقيقتها تمثل الحرية فى وضعها الصحيح؛ لأن البديل لها، هو الفوضى التى مظهرها الصدام بين مطالب الفرد وغيره. من ثم يتأكد أنه لا استقرار لمجتمع تغيب فيه هذه الضوابط. وهذه تنزل من نفوس الناس منازل مختلفة، بحسب ما فيها من قوة التأثير النفسى والعقلى والوجدانى، فالضوابط الدينية مثلا - لها من التأثير ما ليس لغيرها من الضوابط الوضعية.

والباحث المنصف الذى يريد أن يدرك فلسفة الإسلام الحقيقية فى نظمه وتشريعاته، سيجد نفسه أمام مجموعة من النظم والتشريعات، لها من الخصائص ما يجعلها ذات تأثير كبير فى نفس من يتحاكم إليها؛ لأنها تعالج قضايا الإنسان من حيث هو، ولأنها مؤسسة على طبيعة العلاقة بين الإنسان وخالقه، الذى هو أعلم بما يصلحه. وفى ضوء هذه العلاقة تصبح مجموعة التشريعات الإلهية المتصلة بالإنسان هى الضمان الحقيقى لحياة كريمة مستقرة حين ينفذها برضا واطمئنان.

التشريعات الإلهية المتصلة بالإنسان هى الضمان الحقيقى لحياة كريمة مستقرة حين ينفذها الإنسان برضا واطمئنان

وهذا المقال الذى نقدم له بهذا التمهيد، يعد إسهاما فى هذا السبيل، راجيا أن يشكل مع غيره من البحوث إطارا معرفيّا دينيّا يعالج مشكلة القلق التى يعانى منها الإنسان المسلم، بل وغير المسلم فى يوم الناس هذا، بعد أن توارت أشواقه الروحية والعقلية وراء مجامحه المادية، وليس له من منقذ إلا فى إعادة صياغة حياته وفق الإيمان بأن منهج خالق الإنسان هو الكفيل بحياة الإنسان على سنن صحيحة.

مفهوم العدل الاجتماعى فى الإسلام:

يتسع مفهوم العدل الاجتماعى فى الإسلام ليشمل الحياة الإنسانية كلها، عدل بين الناس ونفسه، وبينه وبين أسرته، ثم أقاربه، ثم مجتمعه، ثم الإنسانية قاطبة، ومن ناحية أخرى

يتخطى مفهوم العدل فى جانبه المادى، ذلكم لأن الانحراف فى هذا الجانب يكون ناشئًا عادة عن الانحراف فى الجانب النفسى والعقلى، وبالضرورة يكون معبرا عن خلل فى نسق الفضائل كلها.

يؤكد هذا: أن الانحراف فى المظاهر الخارجية لسلوك الأفراد والمجتمعات، إنما يكون تعبيرا عن وجوده الداخلى، ومن ثم يتأكد لنا أن الحدود التى نصبها الإسلام لكل من يتخطى حدود الله سبحانه ليست علاجا للجانب المادى فقط بقدر ما هى علاج للجانب النفسى كذلك؛ لأن تقويم الانحراف لا يصح إلا بتقويم أسبابه، وإلا أصبحت المسألة علاجا على غير أساس صحيح.

ولعل من المناسب هنا أن نقول: إن مفهوم العدل الاجتماعى هنا يأخذ شكلا أفقيًا ليشمل جميع الأفراد والمجتمعات، كما يأخذ فى نفس الوقت شكلا رأسيًا، يمثل العلاقة الصحيحة، بين الإنسان وخالقه، وفاعلية هذه العلاقة فى وضعها الصحيح هى التى تحفظ على الأفراد والجماعات أمنهم واستقرارهم.

فإذا استقر فى وجدان كل فرد من أفراد المجتمع هذا المعنى، فإن ما يفرزه هذا الموقف من علاقات، إنما تهدف كلها إلى هذا الاستقرار المنشود، بفضل ما يسود من علاقات منضبطة، وتصبح العلاقة - كذلك - طبيعة بين أفراد المجتمع، وبينهم وبين الحاكم الذى هو- فى منظور الإسلام - ليس له من مهمة سوى تطبيق منهج الله، على ضوء ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**وأن احكم بينهم بما أنزل الله**﴾ (سورة المائدة: آية ٤٩)، ومن جانب آخر، لأن أطراف هذه العلاقة قد أقاموا للعدل دولة فى نفوسهم، فقامت فى واقعهم ومعاملاتهم.

وإذا كان المقرر شرعًا وعقلاً أن كل حق يقابله واجب، وأن المعادلة بين الحقوق والواجبات هى المفتاح الحقيقى لاستقرار المجتمع، فإن التجاوز لهذا المفهوم للعدل، هو المدخل الطبيعى - أيضا - للصراع الاجتماعى، وهذا بالضرورة يعنى: أن العدل الحقيقى هو فى تحقيق تلك المعادلة، ويتأكد أيضا أن أى اضطراب فى هذا المفهوم، هو الظلم بعينه.

وقد جاء القرآن الكريم ببعض الآيات التى تحض على العدل وتأمر به، بكل مستوياته، مثل قوله تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى**﴾ (سورة النحل: آية ٩٠)، وقوله: ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا..**﴾ (سورة الأنعام: آية ١٥٢)، وقوله: ﴿**وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾ (سورة النساء: آية ٥٨)، وما تنوعت أساليب الكتاب العزيز فى الدعوة إلى العدل إلا لقيمته حين يطبق فى الواقع، وفى الصورة المقابلة نلاحظ أن هذا الكتاب المبين يجسد قضية التجاوز لمفهوم العدل، فيستحضر أمام كل ذى بصر «الظلم» بكل صوره وأشكاله وآثاره السلبية على الأفراد والجماعات، فالفساد ظلم؛ لأنه تجاوز لمفهوم «العدل»، وقد صور القرآن الكريم أنه من صنع البشر، وينتج عنه سلسلة من الرذائل التى تشكل الأمراض الاجتماعية التى تستأهل العقاب الإلهى، وذلك مثل ما جاء فى قوله تعالى: ﴿**ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون**﴾ (سورة الروم: آية ٤١).

والمتأمل فى الآية الكريمة يرى أن عجزها يأتى بأسلوب الرجاء فى أن يكون ما أصابهم مدخلا لرجوعهم إلى طريق «العدل» بمعناه العام، والذى بسبب تجاوزه عاينوا ما عاينوه من العقاب. وهذا المعنى تردد فى القرآن كثيرًا، وقد جاء بصورة واضحة فى قوله تعالى: ﴿**فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ (سورة العنكبوت: آية ٤٠)، وليس هناك شك فى أن قضية العدل الإلهى قضية مطلقة، كما أن الظلم مستحيل على الله تعالى. وأن منهجه الذى شرعه لعباده كى يتحاكموا إليه، هو منهج العليم الخبير، الأعلم بما يصلح به عباده، فإذا انحرفوا عن منهجه هذا، فهم المسئولون عنه أمام الله وأمام أنفسهم حين يعود إليها رشدها.

مرحبا شهر المحرم

شعر / عبدالفتاح الطاهر الخطيب

هاتف البشرى ترنم ** مرحبا شهر المحرم
جئت للدنيا بخير ** لم تكن من قبل تنعم
كل مافيها ظلام ** وقلوب الناس أظلم
سيطر الكفر عليهم ** وشقاء الجهل خيم
لم يكن فيهم لبيب ** لا ولا عقل منظم
أو يكن فيهم حكيم ** حكمه فى الناس مبرم
جاءهم بالنور طه ** فإذا بالكون ينعم
برخاء وصفاء ** بعدما البغى تحكم
مرحبا شهر المحرم ** أنت للأرواح بلسم
جئت أمنا وأمانا ** كنت بالإنسان أرحم
قد هدى الرحمن قوما ** بكتاب منه محكم
بعد ما ضلوا ضلالا ** كان كالنيران تضرم
لم تك الفحشاء فيهم ** عارها شر مؤثم
وكذا الأصنام ظلت ** عندهم شيئاً يعظم
فإذا دين قويم ** جاء يدعو : قم تعلم
كى يعم الكون نور ** فيه للناس التقدم

إيه ياشهر المحرم ** أنت عند الله أكرم
هجرة كانت نعيما ** وانتصاراً خير مغنم
فإذا بالدين يعلو ** وإذا بالكفر يهدم
وإذا الإيمان شمس ** ضوؤها هدى لمسلم
وإذا العدل شعار ** صار للإسلام معلم
وإذا الدنيا سلام ** ولها الحظ تبسم
بعد ما جاء نبى ** خاتم بالحق يحكم
وعليه الله صلى ** رحمة منه وسلم

مسئولية المسلمين نحو بيت المقدس..

يومان من أيام القدس.. الثالث آتٍ لا ريب فيه..

د/ محمد إبراهيم الجيوشى

القدس مدينة التاريخ فقد عاصرت الأحداث المتتابعة وشهدت خطى الأنبياء، وختمت خطاهم بإسراء خاتمهم محمد ﷺ ومعراجه إلى السموات العلى حيث تلقى عن ربه وسمع صرير الأقلام وشاهد من مجالى العظمة ما لا يمكن وصفه ولا الحديث عنه لأنه أمر يفوق التصور البشرى مهما حلق به الخيال أو سما، ولله در شوقى حين يشير إلى الحدث الذى استقر فى قلوب المسلمين حين يقول :

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكه ... والرسل فى المسجد الأقصى على قدم
لما خطرت به التفوا بسيدهم ... كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم
صلى وراءك منهم كل ذى خطر ... ومن يفز بحبيب الله يأتمم
جبت السموات أو ما فوقهن بهم ... على منورة درية اللجم
ركوبة لك من عز ومن شرف ... لا فى الجياد ولا فى الأنيق الرسم
مشيئة الخالق البارى وصنعته ... وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها ... على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل كل نبى عند رتبته ... ويا محمد هذا العرش فاستلم

من أجل هذا الحدث الفذ فى مرحلتيه الأرضية والسماوية الذى سجله الله فى قرآنه المجيد فى سورتين من سوره : الإسراء، حيث يقول: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير**﴾ سورة الإسراء الآية ١.

والنجم، حيث يقول: ﴿**والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى**﴾ سورة النجم الآيات من ١ : ١٨.

من أجل ذلك الحدث الذى تناوله القرآن وفصلت السنة مشاهده وأحداثه، ومن أجل أن الرسول ﷺ اتخذ بيت المقدس قبلته الأولى، مما يوحى بأنه إرث النبوات السابقة آل إلى خاتمهم محمد ﷺ ؛ تعلقت قلوب المسلمين بالقدس واحتلت من نفوسهم مكانة التقديس والإجلال، حتى إن الرسول ﷺ جعل مسجدها أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها.

حفظ الأمانة :

هذا تمهيد لابد منه ليستحضر القارئ مكانة القدس التى أحلّها الإسلام فى قلوب المسلمين ويستشعر مسئولية المسلمين نحو هذا البيت المقدس، تلك المسئولية التى حملها المسلمون على مدى التاريخ فحفظوها وكانوا عليها أمناء حتى أن النصارى على امتداد التاريخ لم يرتضوا أن يقوم بخدمة البيت المقدس إلا المسلمون لما آنسوا من تعظيمهم له وإخلاصهم فى خدمته.

والقدس اليوم تواجه خطرًا داهمًا وتعانى من الأسر والتربص على مدى ما يقرب من نصف قرن منذ أن احتل الصهاينة أرضها المقدسة، وحاولوا جاهدين أن يغيروا معالمها ويمحوا آثارها الدينية التى تقوم شاهدة على تاريخها الطويل المفعم بالحب والتسامح واحترام العقائد والأديان، فكنائسها لم تمس وحرية أهلها لم تنتقص لأن ذلك مؤكد فى العهد العمرى الذى كتبه عمر بن الخطاب لأهلها وهذا العهد يمثل اليوم الأول الذى عناه هذا البحث ولنتعرف مرامى هذا العهد وما فيه من قيم ومبادئ تحترم العقائد وترعى حرمات أهلها وتوفى بالعهود.

فقد أصر أسقف القدس ألا تسلم المدينة أيام الفتح إلا إلى عمر بن الخطاب كما تشير إلى ذلك كتب التاريخ، ولهذا توجه عمر رضي الله عنه إلى القدس وكتب لأهلها عهدًا وكانت تسمى «إيلياء» فلنتوقف قليلاً نقرأ هذا العهد وهو : (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا صلبهم ولا من شىء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص[1] فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن

وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم إلى أن يبلغوا مأمنهم، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل «فلان» فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم.

على ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو ابن العاص وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبى سفيان وكتب وحضر سنة خمس عشرة)[٢].

التزام بالعهد :

وفى قراءة متأنية لهذا العهد نرى بوضوح أن عمر رضي الله عنه قد أعطى النصارى ما أعطاه الإسلام للمخالفين فى العقيدة من حرية العقيدة والعبادة واحترام أماكنها والمحافظة عليها، وحرية الأنفس والأموال، وهذا هو مسلك الإسلام مع جميع المخالفين، غير أن هناك شرطًا خاصًا بأهل القدس تفردوا به عمن سواهم من أهل المدن الأخرى، وكان ذلك بناءً على طلبهم، ذلك أنهم اشترطوا ألاَّ يسكن معهم فى مدينتهم أحد من اليهود هذا الشرط وضعه النصارى والتزم به عمر، وكان مقتضى ذلك أن يلتزم به المسلمون والمسيحيون على السواء مدى التاريخ، وقد ظل حكام المسلمين محافظين على هذا الشرط، فلما لم يلتزم بهذا الشرط كانت النتيجة ما نرى الآن وما يعانيه أهل القدس وسكان فلسطين بأسرها مما تعلم الدنيا جميعها وقائع ما يجرى هناك من بطش واضطهاد وتعذيب وقتل ومصادرة ونفى واستهانة بالمقدسات ومحاولة لطمس معالم المدينة التى ظلت شاهدًا على التسامح والتعايش بين الأديان، ومحاولات التخريب التى لم تتوقف، فمن الحفريات التى تجرى تحت المسجد الأقصى لتقويض بنائه، وليس ببعيد عن الأذهان ما قام به أحد الصهاينة اليهود عام ١٩٦٨م من حريق بالمسجد الأقصى، ولم تكف المحاولات منذ ذلك التاريخ ولن ينسى العالم ذلك الجرم الآثم الذى وقع منذ زمن باحتلال نزل مارى جرجس بالقدس بواسطة المستوطنين اليهود وإقامتهم فيه بالقوة، إلى ما أقدم عليه جنودهم الآثمون من تعرضهم لأسقف الكنيسة وطرحهم له على الأرض فى صورة بشعة مهينة لم يراعوا شيخوخته ولم يحترموا عقيدته ولم يأبهوا بأى قيمة من القيم التى تدعو إليها الأديان وترعاها. وهل يمكن أن ينسى المسلمون ما أقدم عليه متعصب صهيونى فى فجر يوم من رمضان وحصد بمدفعه الرشاش ثلاثين مسلما وهم مجتمعون للصلاة لربهم.

السبيل إلى التحرير :

وإعادة القدس إلى حوزة العرب والمسلمين مسئولية كل مسلم على وجه الأرض، وقد رأوا ما حل بهم وبديارهم حينما توزعتهم الأهواء وتحكمت فيهم الرغبات الشخصية، ويوم أن تجتمع كلمتهم، ويتوحد صفهم فستكون الطريق ممهدة إلى التحرير واستنقاذ القدس من الأسر والهوان اللذين تعانى منهما، ويتجرع الصاب والعلقم ليلاً ونهارًا أهلها وسكانها، كبارًا وصغارًا، رجالاً ونساء، مسلمين ونصارى على السواء.

وإن الأحداث تقدم كل يوم دليلاً ألا يعتمد العرب والمسلمون إلا على الله وعلى أنفسهم وألا ينتظروا نصفة أو مؤازرة من أحد من أمم الغرب

فإن عيونهم مفتحة وقلوبهم يعتلجها الهم والأسى ويتباكون على حقوق الإنسان إذا ما تأخر يهودى فى بلاد ما عن السماح له بالهجرة والانتقال، وأن وسائل الإعلام الغربية تقيم الدنيا وتقعدها وتتحرك الحكومات والدول وتعلن الاحتجاجات تلو الاحتجاجات تباكيًا على حقوق الإنسان المهدرة حينما يشكو يهودى أنه لم يسمح له بالهجرة من بلد إلى آخر، ولكن حينما تقدم إسرائيل بجيوشها وأسلحتها وتعصبها على قتل الفلسطينيين وتكسير عظامهم ودفنهم أحياء وإمرار العجلات الحربية عليهم، وتهديم بيوتهم وقتل أطفالهم ونسائهم وتقييد حرياتهم ومنعهم من التنقل داخل بلادهم من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع، وحينما يوقف أحد جنودهم عمالا يسعون على الرزق، ويصفهم ثم يحصدهم بمدفعه، ويقول لمن سأله إنه كان يقوم بعملية صيد، حينما تقع هذه الأحداث البشعة كل ساعة فى أرض فلسطين، فإن الصارخين والباكين على حقوق الإنسان تخرس ألسنتهم، وتعمى عيونهم وتصاب بالصمم آذانهم، فلا يرون، ولا يسمعون ولا ينطقون، لأن القتلى عرب، ولأن القتلة يهود، ومنتهى ما ترتفع به أصواتهم أن يعلنوا عن أسفهم لما حدث، ويدعون إلى ضبط النفس من الجانبين.

ألا يشعر هؤلاء بالخزى، ألا يستحون من هذا النفاق المرذول؟!

أيها العرب والمسلمون إنها أحقاد دفينة نمت وترعرعت ولا يوقفها ويقتلع جذورها إلا وقفة حازمة يصدق فيها القول العمل، ولا ينفع الكلام إذا لم يؤيده عمل موحد ينبثق عن إرادة واحدة ورأى واحد، وصف واحد وصدق الله العظيم : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفًا كأنهم بنيان مرصوص**﴾ سورة الصف الآيات من ٢ : ٤.

هذه بعض الشجون التى يستشعرها المرء وهو ينظر إلى قدسنا الحبيبة وما يراد بها ويحاك من حولها، ولكن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب وبعد العسر يسر ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز**﴾ سورة الحج آية ٤٠.

التاريخ يعيد نفسه :

وعلى أى حال فالتاريخ يعيد نفسه، والمسلمون قد أدركوا مسئولياتهم نحو القدس على مدى التاريخ ولم يهدأ لهم بال كلما تعرض لمحنة حتى ينقذه الله منها، ولو عدنا بذاكرتنا إلى قرون مضت حينما ساق الصليبيون جيوشهم إلى الأرض المقدسة باسم المسيح، والمسيح والمسيحية منهم براء لأن الدوافع كانت سياسية استعمارية، وحينما وطئت جيوشهم أرض فلسطين لم ينج من عدوانهم مسيحى ولا مسلم، وظلت البلاد تئن تحت وطأة التعصب والصلف، وتعانى من التفرق والنزاع بين الحكام حتى هيأ الله لها صلاح الدين، فوحد الجهود وجمع الشتات وانطلق عن رأى واحد وقيادة واحدة واستعان بالله وتمثل عظمة الإسلام فى سلوكه وأخلاقه ومبادئه حتى حقق الله له النصر، وطهر الأرض وفتح على يديه القدس واستعادها من براثن الصليبيين وكان ذلك فى عام ٥٨٣ هجرية، وارتفع الأذان مدويًا من مآذن المدينة المقدسة بعد أن تعطل، وكان هذا هو اليوم الثانى من الأيام المشهودة فى تاريخ المدينة المقدسة، ووقف القاضى محيى الدين بن الزكى، خطيبًا فى يوم الجمعة الذى جاء عقب يوم التحرير فافتتح

خطبته بالآية الكريمة ﴿**فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين**﴾ سورة الأنعام آية ٤٥، ثم تابع يقول : الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرف الأمور بأمره، ومزيد النعم بشكره، ومستدرج الكافرين بمكره، الذى قدر الأيام دولاً بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، وأفاض على العباد من طله وهطله، الذى أظهر دينه على الدين كله، القاهر فوق عباده فلا يمانع، والظاهر على خليقته فلا ينازع، والآمر بما يشاء فلا يراجع، والحاكم بما يريد فلا يدافع.

أحمده على إظفاره وإظهاره وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره، ومطهر بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر إجهاره.

والخطبة طويلة تفيض قوة وعزة وبلاغة وضراعة لله وحمداً على ما أنزل من نصره على عباده، وكان ذلك اليوم الثانى.

أما اليوم الثالث الذى نرقبه فإننا لنرجو أن يكون قريباً يعيد الله فيه الحق إلى نصابه وينتقم للمظلومين من هؤلاء الذين عاثوا فى الأرض فساداً، وإنا لنعرف أن ذلك اليوم آت لا ريب فيه تتعاون فيه كل القوى من إنسان وحيوان ونبات وجماد على التخلص من هذا الوباء الذى استشرى وما ذلك على الله بعزيز.

وإننا لنرى مقدماته قد بدأت ونأخذ ذلك من قول النبى ﷺ : (**يقاتل المسلمون اليهود حتى يقول الحجر والشجر: تعال يا مسلم هذا يهودى مختبئ خلفى فتعال فخذه واقتله**).

ومعنى هذا الحديث أن كل عناصر الوجود ستتعاون من إنسان وشجر وجماد على التخلص من هؤلاء الذين أوقدوا نار الحرب وملأوا الأرض فساداً، وصدق الله العظيم : ﴿**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين**﴾ سورة المائدة الآية ٦٤.

حينئذ سيكون لنا أن ننشد مع صاحب ديوان أشواق عربية من قصيدته العودة :

إن الذى زيفوه كله كذب ... ما لليهود بدار أهلها عرب
ولو بنوا فوقها الأطواد شامخة ... وأسكنوا فى حماها كل من جلبوا
ولو تعاون فى إسكانهم دول ... وقدموا لهم كل الذى طلبوا
ففى غد نشعل النيران ضارية ... وهم وما شيدوه فوقها حطب
هذه فلسطين دار العرب ما بقيت ... ما بارحوا أرضها يومًا وما ذهبوا
قد أذن الفجر فارتاح الألى سهروا ... كم حن للفجر سهران ومرتقب
كم عذب الليل أجفانًا وقرحها ... وزاد فى همها التسهيد والوصب
وصاحب الحق عار أن يطاوعه ... نوم إذا بات هذا الحق ينتهب
وصاحب الحق ما أغفى وكيف له ... أن يستريح ونار الجرح تلتهب
إن علل النفس بالسلوان أرقها ... فوق الجراح دم مازال ينسكب
نفديك بالروح يا من صاح فى شمم ... نفدى فلسطين إنا كلنا عرب

الهوامش :
١ - اللصوص.
٢ - تاريخ الطبرى، ج٢ ص ٦٠٩.

بمشاركة ٢٨ دولة عربية وإفريقية ومنظمات دولية

مؤتمر إعلان القاهرة للتشريع وختان الإناث

السيدة الفاضلة سوزان مبارك أثناء إلقاء كلمتها فى المؤتمر

سـوزان مبـارك :

برامج مـتكاملة للرعـاية الصـحـيـة وزيادة الوعى المجـتـمـعى واسـتـصـدار تشـريع خـاص بخـتـان الإناث

تابع المؤتمر وأعده للنشر : محمد كامل شاهين

نظم المجلس القومى للطفولة والأمومة مؤتمر «إعلان القاهرة للتشريع وختان الإناث + ٥» بالتعاون مع المؤسسة الإيطالية (لا سلام بدون عدل) تحت رعاية السيدة الفاضلة سوزان مبارك - رئيس اللجنة الفنية الاستشارية للمجلس القومى للطفولة والأمومة وبمشاركة قرينة رئيس بوركينا فاسو، ووفود أكثر من ٢٠ دولة عربية وأفريقية وممثلين لمنظمات الأمم المتحدة والمجتمع المدنى وذلك فى الفترة من ١٦ - ١٧ من ذى الحجة ١٤٢٩هـ - ١٤ - ١٥ ديسمبر ٢٠٠٨م.

ويأتى هذا المؤتمر متابعة لنتائج المؤتمر العربى الأفريقى للتشريع وختان الإناث الذى عقد بالقاهرة ٢٠٠٣م، وأوصى بالعمل على تخلى المجتمعات عن عادة ختان الإناث عن طريق رفع وعى المجتمع ومؤسساته بمضار هذه العادة واستخدام الآليات القانونية الخاصة بختان الإناث.

وحرصت مجلة «منبر الإسلام» على أن تلقى الضوء على هذا المؤتمر حتى يتعرف القارئ على ما دار فيه.

استراتيجية إعلامية :

أكدت السيدة الفاضلة سوزان مبارك رئيس اللجنة الفنية الاستشارية للمجلس القومى للطفولة والأمومة أن مناهضة ختان الإناث تندرج تحت الجهود المبذولة لحماية حقوق الإنسان، خاصة حقوق النساء والبنات فى الحياة والتنمية والتعليم والرعاية الصحية والحماية من كل أشكال التمييز والعنف.

وقالت قرينة الرئيس : «إننا أطلقنا البرنامج الوطنى لمكافحة ختان الإناث سنة ٢٠٠٢م وهو البرنامج الذى اعتمد على دعم حقوق الطفل من منظور اجتماعى وثقافى، مع تأكيد حقه فى التنمية، وقمنا بالرد على كل الادعاءات التى كانت تقاوم القضاء على هذه الممارسات».

وأوضحت أن الاستراتيجية التى تم تطبيقها اعتمدت على رفع الوعى المجتمعى بما فى ذلك الوزارات المعنية، ووسائل الإعلام والمجتمع المدنى والمؤسسات التعليمية، كما تم تنفيذ برامج تنموية متكاملة تشمل الرعاية الصحية والخدمات التعليمية، بالإضافة إلى تنفيذ استراتيجية إعلامية تعتمد على حملات توعية فى التليفزيون والإذاعة والصحافة وإجراء حوارات دينية تنهى عن ختان الإناث من منظور الحفاظ على حقوق الطفل.

وأضافت أن الاستراتيجية تضمنت أيضا استصدار تشريع مباشر بخصوص

التأثير الإيجابى للإعلام ظهر بوضوح من خلال آلاف الاتصالات الهاتفية التى يتلقاها خط نجدة الطفل من عائلات تطلب معلومات عن ختان الإناث

السيدة الفاضلة سوزان مبارك فى لقطة تذكارية مع المشاركين فى المؤتمر

ختان الإناث وتم الاعتماد على الشباب المتطوعين للقيام بحملات توعية بأخطار هذه الممارسة.

وقالت : «إن مصر تجنى اليوم الثمار بعد خمس سنوات من العمل الجاد والمخلص مشيرة إلى أن مؤشرات نجاح هذه الاستراتيجية تتضح فى انخفاض معدل ممارسة ختان الإناث وفق احصائيات وزارة الصحة لعام ٢٠٠٧م بين الفتيات مابين ٨ - ١٨ سنة كما أن وسائل الإعلام تخلت عن صمتها تجاه هذه الممارسة وأصبحت تتناولها من منظور حقوق الطفل».

التأثير الإيجابى :

وأضافت أن التأثير الإيجابى للتوعية التى قام بها الإعلام ظهر بوضوح من خلال آلاف الاتصالات الهاتفية التى يتلقاها خط نجدة الطفل ١٦٠٠٠ من عائلات تطلب معلومات عن ختان الإناث مما يعكس التغير الاجتماعى الذى حدث فى السنوات الأخيرة.

نجاح الحملات :

وأشارت السيدة سوزان مبارك إلى أن من أهم مؤشرات نجاح حملات التوعية إعلان العديد من القرى الريفية رفضها لختان الإناث من خلال توقيع وثيقة لمناهضة هذه الممارسة الضارة، كما أن الفتوى التى صدرت عن دار الإفتاء، ورأى الكنيسة القبطية الرافضين لختان الإناث، فتحت الباب أمام علماء الدين لتناول القضية من منظور حقوق الطفل.

تحسين أوضاع الأطفال :

وأشارت إلى أن مسيرة النجاح المصرية قد مكنتنا من مد يد المساعدة لدول أفريقية أخرى تعانى من نفس المشكلة.

وقد قدمت مصر فى الشهر الماضى تقريرها إلى اللجنة الأفريقية لحقوق الطفل بأديس أبابا بإثيوبيا، وأشاد أعضاء اللجنة ودول أفريقية شقيقة بالاستراتيجيات المصرية لتحسين أوضاع الأطفال، وتلقينا دعوات لتقديم خبراتنا لدول أخرى والمساعدة فى بناء القدرات.

كما أشارت إلى أن مشكلة ختان الإناث لم تعد مقصورة على أفريقيا وإنما انتقلت إلى باقى دول العالم حيث إننا أصبحنا نعيش فى قرية كونية واحدة ينتقل من خلالها البشر بلا حدود، وأصبحت بعض الدول الأوروبية التى تستضيف فيها أفارقة تعانى من ختان الإناث وهم متهمون بعدم القدرة على حماية الأطفال من هذه الممارسات، وهذا الوضع يؤكد على ضرورة التعاون على المستوى الدولى لحماية الطفلة الأفريقية سواء كانت تعيش فى أفريقيا أو خارجها ودعت فى ختام كلمتها إلى إطلاق حملة دولية جديدة للفت الانتباه إلى قضية ختان الإناث ومساعدة الدول المجاورة لرفع الوعى للقضاء عليها.

تقدم ملحوظ :

ثم تحدثت السفيرة مشيرة خطاب الأمين العام للمجلس القومى للطفولة والأمومة قائلة : إن مصر حققت تقدمًا ملحوظًا فى مكافحة ختان الإناث فى السنوات الأخيرة.

وأشارت إلى أن مشاركة الشباب وحركات التطوع كانت وراء نجاح الحملة التى أطلقها المجلس القومى للطفولة والأمومة لنشر ثقافة رافضة لممارسة الختان.

وأكدت السيدة شانتال كومباورى قرينة رئيس بوركينا فاسو تأييد بلدها لضرورة مكافحة هذه

السفيرة مشيرة خطاب :

مشاركة الشباب وحركات التطوع كانت وراء نجاح الحملة التى أطلقها المجلس لنشر ثقافة رافضة لممارسة ختان الإناث

الممارسة الضارة لحماية المرأة والفتاة الأفريقية، ودعت الدول التى لا توجد بها قوانين تحرم ختان الإناث أن تبدأ فى اتخاذ إجراءات مشددة من شأنها أن تضع حدًا لهذه الظاهرة السيئة.

وأشادت السيدة ايما بونيتو نائب رئيس مجلس الشيوخ الإيطالى بالجهود التى بذلت فى الأعوام الخمسة الأخيرة لمكافحة ختان الإناث وأشارت إلى أن هذه الممارسة أصبحت موجودة فى دول أوروبية عديدة ومنها ايطاليا بسبب وجود بعض الجاليات الأفريقية بها وأكدت أن القانون الإيطالى يجرم هذه الممارسة.

وأوضحت كل من السيدة جينا كندا وزير الرعاية الاجتماعية لشئون المرأة والطفل بسيراليون، والسيدة مايجا سينادامبا وزير تمكين المرأة والأسرة بدولة مالى تأييد بلديهما لمكافحة ختان الإناث مؤكدتين تراجع هذه الممارسة إلى حد ما بسبب حملات التوعية ودعتا إلى ضرورة مواصلة الجهود للقضاء عليها تمامًا.

وأكدت السيدة اوا ندايى وزير شئون الأسرة بالسنغال أن ختان الإناث عادة افريقية متوارثة.

وأشارت إلى أن هناك ثلاثة ملايين فتاة أفريقية تتعرض للختان كل عام مما يدعو إلى بذل

المزيد من الجهد والتعاون للقضاء على هذه العادة، ثم تحدثت السيدة ميموناتو إبراهيما وزير الشئون الاجتماعية والمرأة بتوجو موضحة الجهود التى بذلتها بلادها لمناهضة ختان الإناث، ويتمثل ذلك فى إجراء بحوث علمية على هذه الظاهرة تبين منها أن ١٢٪ قد اعتادوا ممارسة عادة الختان، وانخفض العدد بعد ذلك إلى حوالى ٦٪ مما يدل على الجهود التى تبذلها الدولة فى هذا السياق من أجل تغيير سلوكيات الأشخاص إلى الأفضل.

واتفقت السيدة اليزابيتا بيلونى رئيسة التعاون الايطالى مع الرأى القائل بأن مشكلة ختان الإناث أصبحت مشكلة عالمية بعد أن نقلها الأفارقة للعديد من الدول خارج القارة، وأكدت ضرورة التعاون بين الحكومات والمجتمع المدنى والإعلام للتصدى لها.

وقدخلص المؤتمر إلى عدة توصيات مهمة هى:

١ - إن الإنجازات التى تمت على جميع المستويات الوطنية والإقليمية والدولية خلال السنوات الخمس الماضية تعد نقلة حقيقية فى وضع رؤية ومنهج مختلف لقضية ختان الإناث من منظور أحادى صحى أو دينى أو اجتماعى إلى وضعها فى إطار حقوق الإنسان باعتبارها ممارسة تنتهك الحقوق الأساسية للفتاة والمرأة، ويرجع هذا الإنجاز إلى المناخ الذى تشكل بعد إعلان القاهرة سنة ٢٠٠٣م، ورغم كل ذلك فمازالت مناهضة ختان الإناث تحتاج إلى مزيد من الجهد لتضمينها فى إطار حقوقى أرحب من أجل توفير أقصى درجات الحماية للفتيات والسيدات المعرضات لمخاطر ممارسة ختان الإناث.

٢ - إن هناك قضية بازغة ومهمة فى مجال مناهضة ختان الإناث، وهى زيادة الهجرة عبر الحدود وزيادة عدد اللاجئين من دول تمارس ختان الإناث إلى دول لا تعرف هذه الممارسة، واستمرار ممارستها هناك، ولهذا فلابد من التعامل مع هذه الظاهرة الجديدة فى إطار منظومة متكاملة ومتعددة الأبعاد لحقوق الإنسان، وبأسلوب شامل على جميع المستويات المحلية والوطنية والإقليمية والدولية.

٣ - نصدق على التوصيات الخاصة بدور الإعلام فى الوصول إلى المجتمعات المحلية والتعريف بالقضية، ونؤكد بصفة خاصة أن للإعلام دورًا بالغ الأهمية فى إيصال المعلومات الأساسية الخاصة بمناهضة ختان الإناث لتلك المجتمعات وللفئات المستهدفة فيها، وإشراكهم فى حوار حول كيفية مناهضة المعتقدات القديمة وإقناعهم بأن ختان الإناث لا يحقق المصلحة الفضلى لبناتهم.

٤ - أهمية عقد مؤتمر للمتابعة بعد عام من الآن، حتى تتم متابعة مدى تطبيق هذه التوصيات وجميع الجهود الأخرى لمناهضة ختان الإناث باعتباره اعتداء على حقوق الإنسان، بما فى ذلك النظر فى الحد الأدنى من المعايير الأساسية الواجب توافرها للتشريعات الفعالة لمناهضة ختان الإناث.

٥ - وبناء على ذلك نقترح أن تبدأ مشاورات واسعة مع الدول التى تعانى من هذه القضية وغيرهم من الشركاء المعنيين بها، وذلك بهدف الاتفاق على المكان المناسب لهذا المؤتمر وأهدافه وتحديد الشركاء المحتمل ضمهم إليه.

٦ - ويؤكد المشاركون فى المؤتمر أن تقدمًا كبيرًا قد حدث منذ عام ٢٠٠٣م وإعلان القاهرة الصادر عنه، ويطالبون بمزيد من الخطوات العاجلة ومضاعفة الجهد.

أنباء وأخبار

منير بيومى

استراتيجية جديدة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى الرد على الشبهات المثارة ضد الإسلام

تقوم اللجان العلمية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بدور بارز فى التعريف بصحيح الإسلام فى الداخل والخارج، ونشر ثقافة الإسلام وفكره الوسطى المستنير والرد على الشبهات وتفنيد المزاعم المثارة ضد الإسلام على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت من خلال ردود موضوعية مؤسسة على سند من صحيح القرآن وصحيح السنة النبوية.

صرح بذلك الأستاذ الدكتور محمد الشحات الجندى - الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - وقال إن ما تقوم به اللجان العلمية بالمجلس من تصدٍ للأفكار المغلوطة والمفاهيم الخاطئة بتوجيه من الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق - وزير الأوقاف - الذى أكد على ضرورة تفعيل دور هذه اللجان فى مجالات تخصصاتها من أجل إبراز الجوانب التى تقدم حقائق الإسلام فى صورته المعاصرة وآفاقه الإنسانية عبر شبكة الإنترنت من خلال موقع المجلس وهو الدور الذى تضطلع به لجان القرآن وعلومه، والسنة والتاريخ، والفكر الإسلامى، وقضايا المرأة، والدراسات والبحوث الفقهية.

وأكد الأمين العام أن الدورة الحالية للجان العلمية تشهد تفعيلا للدور المنوط بها بعرض رؤيتها والعمل على استشراف المستقبل بأبعاده المختلفة.

جدير بالذكر أن اللجان العلمية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية تضم فى عضويتها صفوة من الأساتذة والعلماء والمفكرين فى مختلف العلوم والتخصصات.

وأوضح الدكتور محمد الشحات الجندى أن استراتيجية المجلس تقوم على الاتصال المباشر بالجاليات الإسلامية فى الغرب والوقوف على طبيعة المشكلات التى تواجهها والعمل على حلها، وفتح قنوات اتصال مع المؤسسات المعنية بالأديان خاصة المسيحية واليهودية من أجل التواصل الثقافى بين الأديان السماوية ولتعريف أتباع الديانات بالثقافة الإسلامية.

وأشار إلى قيام المجلس بتزويد المؤسسات والمراكز الإسلامية بالخارج بأمهات الكتب والإصدارات التى تعرف بصحيح الإسلام؛ حيث قام المجلس بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغات الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والألمانية، والإسبانية، والإندونيسية، والسواحيلية، إضافة إلى ترجمة العديد من مؤلفات كبار الكتاب والمفكرين الإسلاميين.

دور بارز للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى دعم العمل القضائى بكازاخستان

فى إطار العلاقات المتميزة بين جمهوريتى مصر وكازاخستان، والتى شملت مختلف المجالات والدور المتميز للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى يحرص على دعم العلاقات الأخوية بين الجانبين كامتداد لدور وزارة الأوقاف، يقوم المجلس بالمشاركة فى الأنشطة المتعلقة بشئون العدالة والقضاء بدولة كازاخستان بهدف إثراء الفكر القانونى والتشريعى المستمد من فقه الشريعة فى عطائها الأصيل الذى يستهدف صالح المجتمع وترسيخ قيم العدالة والنهوض بأبناء المجتمع والاستجابة للواقع الحياتى المتجدد فى دول العالم.

وفى هذا الصدد يقوم الدكتور محمد الشحات الجندى - الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - بالتعاون مع مركز الدراسات القضائية بإلقاء عدد من المحاضرات فى برنامج تدريب قضاة كازاخستان والذى تنتهى فعالياته نهاية ديسمبر ٢٠٠٨م.

الاستفادة من الخبرة المصرية فى استثمار أموال الوقف بدولة الإمارات

وفد مصرى في كازاخستان لمتابعة توسعات جامعة نور ـ مبارك

كلف الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ـ اثنين من كبار مهندسى الوزارة بالتوجه إلى مدينة ألماطى بكازاخستان لمتابعة سير العمليات الإنشائية فى المرحلة الثانية للتوسعة التى تقيمها الوزارة بجامعة نور ـ مبارك بكازاخستان، وهما المهندس نبيل حسين متولى ـ مدير إدارة المشروعات ـ والمهندس مجدى عبدالله أبوعيد ـ مدير تنفيذ المشروعات.

صرح الوزير بأن الوفد الهندسى مهمته التأكد من سير العمل وفقا للخطوات التنفيذية المتفق عليها للانتهاء من توسعات الجامعة خلال العام المقبل، ومطابقة ما تم مع الرسومات الهندسية المعتمدة والتنسيق مع الشركة المنفذة والمكتب الاستشارى والسفارة المصرية بكازاخستان لتذليل كل العقبات التى تحول دون إتمام العملية بالصورة المطلوبة.

وقال الوزير: إن الوزارة تولى اهتماما كبيرا بهذه الجامعة التى أقامتها فى وسط آسيا لتكون منارة للإشعاع الدينى الصحيح وتخريج كوادر شابة لديها الثقافة الإسلامية الصحيحة والعلم الدينى المستنير لتكون درعا قوية للدفاع عن الإسلام والتعريف بقيمه فى هذه المنطقة.

وأكد أن هذه الجامعة أنشئت بتكلفة ٢٠ مليون جنيه هدية من مصر لدولة كازاخستان الشقيقة حيث بدأت الدراسة بها منذ عام ٢٠٠١م وتشمل التوسعة المستهدفة إنشاء مبنى جديد للجامعة بتكلفة ٨ ملايين دولار لزيادة الطاقة الاستيعابية للطلاب، وإضافة العديد من الخدمات التعليمية مثل معامل اللغات والمكتبة وقاعات المحاضرات وإدارة الجامعة وغيرها من خدمات عديدة.

تنشيط حوار الأديان والثقافات بين مصر وألمانيا

أبدى الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ـ استعداد الوزارة للتنسيق مع الجهات الألمانية المعنية بالحوار والاشتراك فى المؤتمرات والندوات التى من شأنها تعميق التفاهم بين الأمم والشعوب من أجل ترسيخ أسس السلام والاستقرار فى العالم.

جاء ذلك خلال استقبال الوزير للسفير الألمانى بالقاهرة برند إربل، ورحب وزير الأوقاف بالتعاون مع السفارة الألمانية فى كل ما من شأنه تنشيط الجهود المبذولة فى كلا البلدين فى مجال الحوار بين الثقافات والحضارات والأديان لتحقيق أهدافها فى تقريب وجهات النظر وتضييق مساحات الاختلاف من أجل مصلحة البشرية.

وافق الدكتور محمود حمدى زقزوق ـ وزير الأوقاف ـ على وضع تجربة وزارة الأوقاف فى مجال نشر الدعوة الإسلامية والتوعية الدينية وشئون الأوقاف الخيرية تحت تصرف دولة الإمارات العربية للاستفادة منها فى تنظيم عمل الهيئة العامة للشئون الإسلامية بالإمارات.

وشرح الوزير خلال استقباله الدكتور حمدان المزروعى ـ رئيس الهيئة الإماراتية ـ أنشطة الوزارة فى مجالات تدريب الدعاة والقوانين المنظمة للعمل بالمساجد ومراكز الثقافة الإسلامية وأنشطة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وإنشاء المكتبات، ودور هيئة الأوقاف فى الاستثمار الأمثل لأموال الوقف الخيرى لينعكس على أنشطة الدعوة الإسلامية والدخول فى مشروعات تنموية تسهم فى النهوض بالمجتمع.

وسلم الوزير ضيفه الإماراتى عددا من القوانين واللوائح التنظيمية التى أصدرتها الوزارة خلال الفترة الماضية للاسترشاد بها فى الهيئة العامة للشئون الإسلامية بالإمارات العربية المتحدة، وأكد د. زقزوق حرص مصر الدائم على تقديم جميع خبراتها وإمكانياتها الدعوية لخدمة شقيقاتها من الدول العربية والإسلامية بما يؤدى إلى ترسيخ قيم الإسلام الصحيحة فى المجتمعات الإسلامية وتصحيح صورة الإسلام فى الخارج. ودعا الدكتور المزروعى وزير الأوقاف لزيارة دولة الإمارات والالتقاء بالقيادات الدينية هناك لتفعيل أوجه التعاون المشترك بين البلدين، ووعد الوزير بتلبية الدعوة فى الوقت المناسب.

دقة التقويم القمرى الهجرى

بإذن الله تعالى يبدأ العام الهجرى الجديد ١٤٣٠هـ يوم الاثنين ٢٠٠٨/١٢/٢٩م مثلما بدأت السنة الهجرية منذ ٨ سنوات ١٤٢٢هـ، أيضا يوم الاثنين ٢٠٠١/٣/٢٦م مثلما بدأت السنة الهجرية منذ ١٦ سنة ١٤١٤هـ، أيضا يوم الاثنين ١٩٩٣/٦/٢١م، مثلما بدأت السنة الهجرية منذ ٢٤ سنة ١٤٠٦هـ، أيضا يوم الاثنين ١٩٨٥/٩/١٦م.

ولذلك بعد ٨ أعوام سيبدأ بإذن الله عام ١٤٣٨هـ أيضا يوم الاثنين ٢٠١٦/١٠/٣م، وهكذا تتكرر بدايات الشهور القمرية كل ٨ سنوات فى دورة منتظمة مما يؤكد أن التقويم القمرى فى منتهى الدقة، فهذه الشهور القمرية ومنها الأربعة الحرم كتبها الله فى لوحه المحفوظ فقال تعالى: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم**﴾، والتقويم القمرى استخدمته الأمم السابقة قبل نزول القرآن الكريم فنوح وموسى ـ عليهما السلام ـ نجاهما الله فى يوم عاشوراء «العاشر من المحرم» وكل الكتب السماوية نزلت فى شهر رمضان «صحف إبراهيم، وتوراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى ـ عليهم السلام».

وحتى وقتنا الحالى يتم تحديد عيد القيامة «عيد الفصح» للإخوة النصارى بالاعتماد على القمر ولذلك يتغير موعده كل عام عكس عيد ميلاد السيد المسيح، فموعده ثابت دائما، ويكون عيد القيامة فى يوم الأحد التالى للبدر الكامل للقمر «بعد يوم ٣ إبريل»، فمثلا عيد القيامة فى عام ٢٠٠٩م، سيكون الأحد ٢٠٠٩/٤/١٩م، الموافق ٢٣ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، أما عيد القيامة فى ٢٠٠٨م فكان يوم الأحد ٢٠٠٨/٤/٢٧م الموافق ٢١ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ، وكان قبلها يوم الأحد ٢٠٠٧/٤/٨م الموافق ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٨هـ، أى أن عيد القيامة يتغير موعده كل عام تبعا للتقويم القمرى كى يأتى فى النصف الثانى من الشهر الهجرى، وعندما بحثت خلال ٣٦ سنة ماضية عن البدايات الفعلية لأشهر المحرم ورمضان وشوال وذو الحجة فى الجرائد والصحف القديمة وجدت هذا الإعجاز الإلهى المتمثل فى وجود دورة منتظمة ومتكررة كل ٨ سنوات لبدايات الأشهر القمرية، ومعنى البداية الفعلية للشهر أى بعد تأكد دار الإفتاء المصرية، من رؤية الهلال.

وقد شجعنى ذلك على عمل جداول لبدايات الأعوام الهجرية وبدايات أشهر رمضان وبدايات أعياد الفطر والأضحى حتى عام ١٥٠٠هـ وما يقابلها بالتقويم الجريجورى «٢٠٧٦م».

وقد اعتمدت فى عمل هذه الجداول على القاعدة التى تقول: «إذا تكررت العوائد أفادت القطع والنادر لا حكم له» وبعض هذه الجداول بموقعى على الإنترنت Laylatagadr 24. com وأتمنى أن تبدأ الجهود لتوحيد بدايات الأشهر الهجرية لعمل تقويم إسلامى موحد.

واختتم بهذه المفاجأة السارة وهى أن يوم عاشوراء «١٠ المحرم» يمكن أن يأتى فى أى يوم من أيام السبت إلى الخميس ولكن لا يأتى أبدا يوم الجمعة مما يؤكد كراهة صوم يوم الجمعة تطوعا لأنه هو يوم العيد الأسبوعى للمسلمين مصداقا لقول رسول الله ﷺ: **«إن يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم»**.

د. أحمد مصطفي شريف
استشاري طب الأطفال بالإسكندرية

ورشة عمل بمجلس الطفولة للتصدى للجرائم المعلوماتية

نظم المجلس القومى للطفولة والأمومة ورشة عمل حول الإعلام والجرائم المعلوماتية لإعداد مقترحات مشروع اللائحة التنفيذية لقانون الطفل المعدل برقم ١٢٦ لسنة ٢٠٠٨م بأسلوب تشاركى وذلك فى إطار المشروع القومى لمناهضة العنف ضد الأطفال بمشاركة عدد من الخبراء والمتخصصين.

وأوضحت السفيرة مشيرة خطاب ـ أمين عام المجلس ـ أن الورشة تهدف إلى تحديد وتعريف بعض المصطلحات المتعلقة بالجرائم المعلوماتية باللائحة التنفيذية والشروط الواجب توافرها للأطفال عند استخدام الحاسبات الآلية أو الإنترنت وكذلك وضع بروتوكول كامل لضمان عدم استغلال الأطفال أو وصولهم لمواقع إباحية.

جامعة القاهرة فى عيدها المئوى

تسهم فى صنع المعرفة الإنسانية وتغزو المستقبل بسلاح العلم

«المؤتمر الدولى الرابع للبحوث العلمية التطبيقية»

فى ضيافة الجامعة الأم

تابع المؤتمر وأعده للنشر / مصطفى إبراهيم خيان

خلال مسيرة طويلة من الإنجازات الكبرى والعطاء الغزير الذى لايتوقف، قطعتها الجامعة الأم كشجرة وارفة الظلال، استظل بظلها راغبو العلم والباحثون عن المعرفة من كل الأصقاع والبلدان، يقطفون من الثمار اليانعة لشجرة امتدت جذورها لمائة عام، وتنوعت فروعها فى كل ربوع مصر والوطن العربى من خلال مايربو على اثنين وثلاثين جامعة ومعهداً بحثيا خرجوا من رحم الجامعة الأم، ساح علماؤها فى شتى بقاع الأرض حاملين مفاتيح الحضارة ومشاعل العلم والتنوير وارتادوا دروباً مظلمة باحثين منقبين لينثروا بذور الخير والنماء فى كل الربوع. وها هى تخوض غمار المئوية الثانية بعزم لا يلين وبفكر ناضج يصهر تجارب الماضى فى بوتقة الفكر ليصنع الحاضر ويستشرف المستقبل، وتضع نصب عينيها مواصلة مسيرتها الكبرى التى لا ترضى بغير الريادة بديلا، تحمل على عاتقها تحقيق الجودة الشاملة وتعزيز قدرات العلم والتكنولوجيا ودفع عجلة البحث العلمى قدماً باعتباره قاطرة التنمية البشرية.

واليوم ترتدى ثوب الإجادة كما عهدناها دائماً، وتعقد مؤتمرها الدولى الرابع للبحوث

د. هانى هلال وزير التعليم العالى والدكتور حسام كامل رئيس الجامعة والمؤتمر ونواب رئيس الجامعة خلال الجلسة الافتتاحية للمؤتمر

العلمية التطبيقية الذى جاء على مستوى الحدث فى الذكرى المئوية للجامعة مواكباً لأحدث منجزات العصر الحديث، لتأخذ المبادرة الجادة وتعيد المجتمع ليسير على الدرب الصحيح، وتفتح الطريق أمام أبنائها لارتياد القرن الجديد وسبر أغواره بفكر وإبداع يواكب العصر، إيماناً من الجامعة بأن سقف العلم لا حدود له لتعيد لهذه الأمة التى خبت جذوة العلم فيها وخفت فيه نور المدنية، وتراجعت فى مضمار الحضارة الإنسانية، إلى أعتاب عهد جديد، تسترد فيه مكانتها الضائعة وتمضى على طريق التقدم والرقى.

أقيم المؤتمر بمركز القاهرة الدولى للمؤتمرات برعاية الدكتور أحمد نظيف والرئاسة الشرفية للدكتور هانى هلال وزير التعليم العالى والبحث العلمى، وبرئاسة الدكتور حسام كامل رئيس جامعة القاهرة، ود. حسين خالد نائب رئيس المؤتمر والجامعة، والأمين العام الدكتور أحمد جلال حلمى عميد كلية العلوم وحضره عدد كبير من الوزراء ورؤساء الجامعات ونواب رئيس جامعة القاهرة وعمداء الكليات.

«سنة حميدة»

فى البداية أشاد الدكتور **هانى هلال** ـ وزير التعليم العالى ـ بالدور الرائد لجامعة القاهرة فى تشجيع البحث العلمى ودفع عجلته، مؤكدًا أن الجامعة قد أستنت سنة حميدة بعقد مؤتمر دولى خاص بالبحث العلمى بهذا الحجم، وأن مايصرف فى هذا المجال له مردوده وعائده المباشر على حياة المواطن ورقى المجتمع. وقال إن كثيرًا من أبحاثنا كانت تجرى بناءً على رغبة الباحث، ولكن فى مجتمع يتطلع إلى تحقيق معدلات تنمية اقتصادية عالية فإنه لايمكن الاعتماد على قائمة على المعرفة الفردية، فالبحث العلمى لا وطن له ولذا ينبغى أن تكون كل أبحاثنا العلمية على المستوى العالمى، وإذا كنا نتطلع للمستقبل فلا ينبغى للجامعات أن تعمل بمعزل عن مراكز البحوث.

«تنمية روح الابتكار»

وضرب الوزير المثل باليابان التى لاتملك من الموارد الطبيعية شيئًا يذكر، ومع ذلك فإن اقتصادها يعد من أعظم الاقتصادات على مستوى العالم بفضل قيام نهضتها على الإبداع والمعرفة، وأشار إلى قيام المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا بوضع استراتيجيات وسياسات البحث العلمى على المستوى القومى فى ضوء خطة التنمية فى المجتمع، وأولويات البحث العلمى كالطاقة والمياه والإنتاج الزراعى ومشروعات البيئة

د. هانى هلال :

البحث العلمى لا وطن له وعلى الباحثين أن يطوروا أبحاثهم لتواكب العالمية.

والعلوم الطبية، والعمل على تعزيز صندوق العلوم والتنمية التكنولوجية لدعم المشروعات البحثية ذات الأولوية فى خطط تنمية المجتمع داعيًا إلى ضرورة تنمية الموارد البشرية فى مجال البحث العلمى من خلال مجالات الشراكة والتعاون الدولى ودعم شباب الباحثين وتنمية روح الابتكار والإبداع والعمل على تحقيق الجودة والتنافسية فى مجال البحث العلمى.

«قاطرة التنمية»

وأكد الدكتور **حسام كامل** رئيس جامعة القاهرة ورئيس المؤتمر على أن العلم والصحة هما دعامتا التقدم والازدهار لأى أمة من الأمم، وأن البحث العلمى هو القاطرة التى تقود المجتمع، موضحًا أن جامعة القاهرة قد حرصت على وضع استراتيجية واضحة لقطاعات الدراسات العليا والبحوث تتماشى مع المتطلبات الدولية حولنا مع بداية القرن العشرين من خلال توفير الإمكانات وتحديث البنية الأساسية للبحث العلمى لتنفيذ البرامج والسياسات، ومن ذلك تطوير برامج الدراسات العليا لنظام الساعات المعتمدة فى كل كليات ومعاهد الجامعة وإنشاء درجات علمية مشتركة مع جامعات دولية، وتحديث ودعم مكتبات جامعة القاهرة، لتكون على مستوى علمى عالمى وتشجيع البحوث والنشر فى مجالات علمية دولية مع تكريم من يقومون بنشر أبحاثهم العلمية، وإنشاء مجلة علمية عالمية ذات مستوى مرموق لجامعة القاهرة. وتشجيع المشروعات البحثية الجارية بالجامعة سواء من قبل مؤسسات دولية، أو ذات التمويل المحلى، ودعم وتطوير المعمل المركزى للجامعة.

«تسويق المنتج»

وأوضح **رئيس المؤتمر** أن هذا المؤتمر يهدف إلى دعم وتشجيع البحث العلمى الجامعى ودعم الشراكة البحثية بين الجامعات وقطاع الإنتاج والخدمات من خلال البحوث التطبيقية التى تدعم برامج التنمية. ومشيرًا إلى أن الأبحاث العلمية يمكنها أن تحقق ثلاث فوائد **أولها** النشر الدولى الذى يسهم فى رفع تصنيف الجامعة دوليًا. **وثانيها** يتمثل فى الحصول على براءات الاختراع التى تقوم بتسجيلها أكاديمية البحث العلمى. **وثالثها** أن تتحول هذه الأبحاث إلى منتج يمكن تسويقه، ومحذرًا من أن مصر تأتى فى مرتبة متأخرة فى مجال تسويق الأبحاث بالمقارنة بالدول المتقدمة، بسبب غياب ثقافة تسويق الأبحاث.

«قواعد البيانات»

وأشار الدكتور **حسين خالد** ـ نائب رئيس المؤتمر والجامعة لشئون الدراسات العليا والبحوث ـ إلى أن الجامعة قد حرصت على تحديد استراتيجية تهدف إلى تطوير منظومة البحث العلمى، ومنها تطوير برامج الدراسات العليا وتحديث المكتبات وإنشاء درجات علمية مشتركة مع جامعات عالمية متقدمة وإنشاء قواعد بيانات للرسائل العلمية وربطها بقضايا المجتمع واختيار البحوث المتميزة لتمويلها والاستفادة من نتائجها لصالح المجتمع، مؤكدًا على ضآلة ماينفق على البحث العلمى فى مصر، حيث تتراوح نسبته مابين ٠,٢ ، ٠,٥٪ من الدخل القومى على حين تصل هذه النسبة إلى ٢,٧٪ فى أمريكا، ٢,٨٪ فى اليابان.

«قضايا مجتمعية»

وقال الدكتور **أحمد جلال** عميد كلية العلوم وأمين عام المؤتمر ـ إن المؤتمر يطرح قضايا عامة فى البحث العلمى من بينها قضية التمويل والتوجهات الحديثة فى البحث العلمى كمراكز التميز وتكنولوجيا المواد والليزر وتطبيقاته الجديدة وقضايا الجودة، كما تركز بحوث المؤتمر على عدد من القضايا المجتمعية كالمياه والطاقة ومكافحة الأمراض وتنمية المناطق العشوائية.

د. طارق كامل

نسعى لبناء جيل جديد قادر على التعامل بكفاءة مع تكنولوجيا العصر الحديث.

«فعاليات المؤتمر»

شهدت وقائع المؤتمر حوالى ٣٠ جلسة علمية وندوة فى موضوعات وقضايا متعددة شملت العلوم الطبية والهندسية والأساسية والبيئية والاجتماعية والإنسانية ألقى خلاله ما يزيد على ٢٠٠ بحث ومشروع بحثى وورقة عمل بمشاركة دولية وعربية. ففى مجال «حوسبة الويب والمحمول» دعا الدكتور **طارق كامل** – وزير الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات إلى ضرورة تخريج جيل جديد قادر على التعامل بكفاءة مع تكنولوجيا العصر الحديث لتقليص الاعتماد على العالم الخارجى فى الحصول على التكنولوجيا الحديثة مع تشجيع الجهود الذاتية التى ترغب فى العمل فى هذا المجال، فضلاً عن تشجيع وجذب الاستثمارات إلى قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مؤكدًا على الحاجة إلى كوادر متميزة قادرة على استيعاب كافة المتغيرات والتطورات ومواكبة كل جديد فى هذا المجال.

«ثراء اللغة»

وفى مجال العلوم الإنسانية دارت مناقشات ساخنة حول التعليم بغير العربية ماله وماعليه حيث أكد الدكتور **عبدالله التطاوى** ـ المستشار الثقافى بالسعودية ـ ونائب رئيس الجامعة السابق ـ أنه لاتعارض بين اللغة العربية وتعلم أكثر من لغة من باب التعامل بها والوعى بثقافاتها وعلومها والترجمة منها وإليها بما يعد كسبًا للغة الأم وإثراء لها، لكن بشرط ألا تزيح العربية أو تسقط حقها لدى أبنائها أو تجور على دورها الحضارى فى استيعاب مصطلحات العلوم والمعارف والإبداع.

«الانهزامية اللغوية»

وحذر الدكتور التطاوى من سلبيات التعليم بغير العربية حين يجنى على اللغة الأم وعلى أبنائها من خلال عدة اعتبارات أهمها: استشعار الدونية أو الإنهزامية اللغوية أمام لغات أخرى حيث تبدو اللغة العربية منسحبة من الساحة العلمية بما يرسخ هذه المشاعر لدى أبنائها وهم يباهون بقدرتهم على التعلم بغيرها. ويؤدى إلى استباحة الساحة اللغوية بما يهدد أمنها الحقيقى من شيوع الرطانة أو العجمة أو ذيوع العاميات المسترخصة على حساب الفصحى. وإشعار النشء والجيل القادم بضبابية الرؤية المستقبلية حول حقيقة الظاهرة اللغوية من واقع قدرتها

د. أحمد درويش

مفاجأة الأزمات وتأثيرها السلبى على مصالح الدولة يتطلب منظومة متكاملة تحقق سرعة ودقة اتخاذ القرارات

على التواصل والبقاء بعيدًا عن شبهة الاندثار.

«صمود العربية»

وقال إن دولة الإسلام الكبرى عند ظهورها كانت عربية تضم كل الأجناس وكانت موسوعية بقدر نبوغ علمائها الأفذاذ ثم أصاب أهل اللغة ما أصابها من التدهور ومن الأذى والتدمير من خلال العدوان الصارخ عليها فى فترات الهجمات الاستعمارية الشرسة، لكنها ظلت صامدة. ومازالت الصحوة العربية قائمة لولا تيارات العولمة الثقافية التى ترمى إلى تهميش تاريخ الشعوب وإفقادها أغلى ماتمتلكه من التراث اللغوى عبر محاولات التلاعب بالذاكرة العربية وإيهام أبنائها بأن التعليم بغير العربية هو المدخل الوحيد للتقدم.

وأكد أننا فى حاجة إلى استدعاء تاريخ العربية، لا من قبيل الاستعلاء أو المباهاة

د. حسام كامل

نهدف إلى دعم وتشجيع البحث العلمى ودعم الشراكة البحثية بين الجامعات وقطاع الإنتاج والخدمات

ولكن من قبيل الدقة فى قراءة معطياتها وقدراتها على صناعة العلم والمعرفة بشرط أن يكون أبناؤها كذلك كما كان أسلافهم الذين علموا الدنيا على مدى ثمانية قرون.

«الحماية فى مرحلة الطفولة»

وعن مخاطر التعلم بغير العربية فى مرحلة الطفولة قال رئيس لجنة الدراسات الأدبية والثقافية بالمجلس الأعلى للثقافة ـ إنه قد يصعب الخروج من دائرة الحصار المفروضة علينا ولكن على الأقل علينا أن نهمس بين بعضنا البعض بضرورة تمسكنا بلغتنا الأم، داعيًا إلى ضرورة الحماية القرمية للغة العربية فى مرحلة الطفولة التى تشكل وعى ووجدان الإنسان وانتماءه القومى والمعرفى.

«فقد الهوية»

وأكد أن محاولة البعض الانتماء إلى صناعة أخرى من خلال اللغة لن يصل به إلا إلى الصفات القشرية وهى ليست كفيلة بالانتماء، فالشعوب غير الغربية لايمكن لها أن تدخل إلى النسيج الغربى وبالتالى فأمثال هؤلاء سيفقدون هويتهم ولايمكنهم فى ذات الوقت الاندماج فى هوية الآخرين، ضاربًا المثل بالغراب الذى أراد أن ينسلخ عن قطيع الغربان فطمس نفسه فى الجير حتى صار أبيض اللون وانضم إلى جماعة أبى قردان ووقف بينهم منتشيًا، فلما بدأ يغنى معهم نفروا منه فعاد أدراجه إلى جماعة الغربان لكنهم رفضوه للونه الأبيض.

وأكد الدكتور درويش أن كل الحضارات الحديثة تحرص على أن تحمى أولادها فى مرحلة الطفولة المبكرة من تداخل لغات متعددة فى رأسه تهدد لغته الأم وهويته معًا.

«اللغة القومية»

أما الدكتور **محمد حسن عبدالعزيز** ـ رئيس قسم علوم اللغة بدار العلوم وعضو مجمع اللغة العربية ـ فقد تناول قضية التعليم باللغات الأجنبية فى التعليم العام مشيرًا إلى أن اللغة العربية هى اللغة القومية للبلاد، وهى بحكم الحاضر والمستقبل رمز هويتنا فى عالم تتعالى فيه صيحات العولمة وتتوالى فيه ـ بكل أنواع الضغوط ـ محاولات طمس ثقافتنا الوطنية، وهى الرباط الذى يربطنا بتاريخ أمتنا العربية والإسلامية وبدورها الحضارى فى نشر العلم والمدنية ومؤكدًا أنه لن يتحقق للعالم العربى نهضة تعليمية شاملة وتقدم علمى مساير للتطور العلمى فى الدول المتقدمة بغير لغتنا القومية، فلا يعرف التاريخ دولة تحققت لها سيادتها واستقلالها وإرادتها بلغة غير لغتها القومية.

ودعا إلى ضرورة التفريق بين تعلم لغة أجنبية والتعليم بلغة أجنبية، حيث إن تعلم لغة أجنبية أصبح ضرورة علمية وحياتية، لأن إتقان اللغة الأجنبية يفتح أمام متعلمها ميادين العلم والمعرفة والحياة.

« تبنى رؤى مخالفة »

وحذر من انتشار المدارس التى تعلم العلوم فى جميع مراحل التعليم بلغة أجنبية، حتى بلغ تعدادها منذ سنتين مضتا مايربو على مائة وخمسين مدرسة فى القاهرة الكبرى وحدها. وقال إنه قد تبين له من دراسته للنظام التعليمى لهذه المدارس وأهدافها التربوية أنها تطبق نظامًا تعليميًا يتبنى رؤية إجتماعية وثقافية خاصة بالمجتمع الذى أخذ منه هذا النظام، بما ينعكس بالسلب على سلوك التلاميذ الفردى والجماعى وفى تفاعلهم مع مجتمعهم.

« ارتباط اللغة بالعقيدة »

وعن التعريب والتعليم باللغة العربية وبناء مجتمع المعرفة أوضح الدكتور **على أحمد مدكور** ـ عميد معهد الدراسات التربوية ـ أن العربية تعد من أكثر اللغات الإنسانية ارتباطًا بعقيدة الأمة وهويتها وشخصيتها، لذلك صمدت أكثر من سبعة عشر قرنًا سجلاً أمينًا لحضارة أمتها وشاهدًا على إبداع أبنائها وهم يقودون ركب الحضارة التى سادت الأرض لقرون عديدة.

« أزمة لغوية »

وقال إنه على الرغم من قدرة اللغة العربية وتميزها بين اللغات الأخرى إلا إننا نعيش أزمة لغوية طاحنة لأسباب عديدة من أهمها:

د. محمد حسن عبد العزيز

لم يعرف التاريخ دولة تحققت لها سيادتها واستقلالها بلغة غير لغتها القومية.

عدم إلمام الكثيرين بجوانب إشكالية اللغة، حيث يقتصر تداولها فى أغلب الأحوال على الجوانب التعليمية والمصطلحية خوفًا من الخوض فى دراسة علاقة اللغة بالدين والسياسة والقومية والوطنية خطأ التشخيص لدائنا اللغوى، حيث يوجه الاتهام إلى اللغة ذاتها، بزعم أنها تحمل بداخلها كوامن التخلف الفكرى، وقصور العتاد لمعظم منظرينا اللغويين.

وأكد أنه لايوجد مجتمع فى الدنيا حقق الرقى والتقدم بغير لغته الأصلية ومشيرًا إلى أنه حتى فى إسرائيل عند قيامها، طُرح على البعض سؤال: أى لغة ستتحدثون؟، أجابوا: سنتحدث الفرنسية، فقال زعيمهم إذن انسوا أنكم ستقيمون دولة أو مجتمعاً، عليكم بإحياء العبرية، وقد كان ماكان، مضيفًا أن اللغة ليست مجرد أداه للتعبير ولكنها الرحم الذى يصنع الفكر والإبداع.

« المحور الأساسى للأمن القومى »

وفى مجال الجودة والاعتماد فى التعليم العربى أوضحت دكتورة **كوثر جميل سالم** بجامعة أم القرى بمكة المكرمة أن الخطة الشاملة للنهوض بالتعليم وإصلاحه تقتضى أن يكون الإصلاح جذريًا متكاملاً مستجيبًا للاحتياجات المتزايدة ومتجاوبًا مع شعورنا جميعًا بأن التعليم الذى يجده أبناؤنا فى المراحل المختلفة فى المستوى المطلوب، وأن الارتقاء بالتعليم هو ارتقاء بالمدرسة والمعلم والمنهج وأن يزداد الإنفاق على التعليم من قبل الدولة ومواردها لا من إمكانات الأسرة حتى تأتى المحصلة النهائية للتعليم فى شكل منتج تعليمى يتفق ومتطلبات العصر ورؤى المستقبل، ومؤكدة أن التعليم هو المحور والأساس لأمننا القومى بمعناه الشامل فى الاقتصاد والسياسة وفى دورنا الحضارى الذى بدأناه قبل الأمم بما يفرض علينا مواصلته فى الاستقرار الداخلى والنمو والرخاء.

« استراتيجية الهيمنة »

من أخطر القضايا التى تناولها المؤتمر، قضية العولمة وتأثيرها على المجتمع المصرى، حيث حظيت الندوة بتفاعل كبير بين المتحدثين والحضور أثمرت عن تكوين صورة أكثر وضوحًا للعولمة باعتبارها هاجساً كبيراً يؤرق الدول شعوبًا وأفرادًا، حيث وجهت الدكتورة **عواطف عبدالرحمن** أستاذة الإعلام انتقادات حادة للعولمة من مختلف جوانبها الاجتماعية والثقافية والسياسية، مشيرة إلى أن العولمة الثقافية والدينية تعد من أخطر أنواع العولمة التى تشكل تحديًا كبيرًا للمجتمعات خاصة النامية منها، واصفة إياها بأنها استراتيجية انتهجتها الدول الكبرى للهيمنة على مقدرات الشعوب الأخرى، وقالت إن سبب الاحتجاج على العولمة يعود إلى تزايد ضحاياها، حيث طالت آثارها الكارثية مئات الملايين من البشر.

« تنميط الثقافات »

وقالت إن كل ظاهرة تفرز نقيضها، فعلى حين ظهرت منظمة التجارة العالمية كأحد مظاهر العولمة، ظهرت الحركات المناهضة لها. وعلى المستوى

السياسى استمرت عمليات القمع واستمر تقييد الحريات الفردية والجماعية فى مواجهة الدعوة لحقوق الإنسان وحرية الرأى. ورفضت الدكتورة عواطف عبدالرحمن ماتسعى إليه الدول الكبرى من تكوين نخب تسعى إلى تنميط العادات والأخلاق والثقافات دعمًا لأيدلوجية السوق التى بدأت تحاصر الإنسان فى مختلف المجالات حتى المجالات الثقافية والاجتماعية التى لم تسلم منها، تأكيدًا لفكرة نهاية التاريخ التى تدعو للتكيف مع الوضع الغربى الراهن باعتباره سقف التطلع الإنسانى.

«تقويض السيادة الوطنية»

وتناولت الدكتورة نرمين خضر - بكلية الإعلام - مستويات العولمة ففى المجال السياسى أكدت أن الأثر الأكثر وضوحًا يتمثل فى التوجه لتقويض السيادة الوطنية للدول وإعادة النظر فى مفهوم الدولة الكلاسيكى من خلال إعفاء الدولة الوطنية من بعض الصلاحيات.

أما فى المستوى القانونى فتسعى العولمة إلى توحيد التشريعات القانونية فى العديد من المجالات الحيوية. وفى المجال الثقافى تسعى لتذويب الثقافة المحلية أو الوطنية رغم المقاومات التى تظهر هنا وهناك باعتبارها ثقافة تسعى إلى طغيان ثقافة عالمية واحدة على الثقافات الوطنية بينما يرى البعض أن التفاعل الإيجابى يرسخ قيمًا ثقافية رئيسية مشتركة تجمع الثقافات فى بوتقة واحدة بحيث تكون الثقافات الوطنية مزيجًا من

د. عبد الله التطاوى

تيارات العولمة الثقافية ترمى إلى تهميش تاريخ الشعوب وإفقادها أغلى ما تملك من التراث اللغوى

د. عواطف عبدالرحمن

العولمة استراتيجية خفية انتهجتها الدول الكبرى للهيمنة على مقدرات الشعوب.

ثقافة دولية تحترم المعاصرة وثقافة تحافظ على الأصالة. وهناك من يرى أن العولمة طموح بل إرادة لاختراق الآخر وسلبه حريته وقد تسعى إلى نفيه من العالم.

«الإنذار المبكر»

عن تعامل الجهاز الإدارى مع المخاطر المحتملة من الأزمات والكوارث أكد الدكتور **أحمد درويش** - وزير الدولة للتنمية الإدارية - أن مفاجأة الأزمات والكوارث وسرعة التأثير السلبى على مصالح الدولة يتطلب منظومة متكاملة تحقق سرعة ودقة اتخاذ القرارات من خلال كيانات متخصصة قادرة على التنبؤ والتحليل والخروج ببدائل القرار فى التوقيت المناسب. وقال إنه يمكن الوقاية من الأزمات والكوارث من خلال الإنذار المبكر والذى يمثل مجموعة من المؤثرات التى تنبىء عن قرب حدوث الأزمة أو الكارثة والتى يؤدى تجاهلها أو تفسيرها بصورة خاطئة إلى وقوع الكارثة وظهور الأزمة بالصورة الأشد تأثيرًا.

وأوضح أن السيطرة على الأزمات يمكن أن تتحقق من خلال تطبيق عدة مبادئ أهمها: تحديد الهدف وترتيب الأولويات والحركة السريعة، والمبادرة، وتنظيم القوى المواجهة للأزمة والكارثة، وتقبل الواقع واغتنام الفرصة والمشاركة والتعاون والروح المعنوية المرتفعة.

«الوقف ودوره فى التنمية المستدامة»

وعن تطوير العشوائيات تعرض الدكتور **هشام محمد طاهر** - الأستاذ بالمعهد العالى للهندسة المدنية والمعمارية - للأوقاف كمرجعية إسلامية لآلية المشاركة الشعبية بالمدن العشوائية، مؤكدًا أن الأوقاف قد ساهمت مساهمة واسعة فى إدارة المدن الإسلامية العتيقة، فقد أدى تنوعها كثرة وعددًا إلى توفير الخدمات والمرافق العامة وإلى استقلاليتها المالية. بحيث كانت تغطى تكاليف الماء والتعليم والعبادات والعديد من الأنشطة الحضرية كما كان للأوقاف دورها العميق فى الجانب الاجتماعى ؛ حيث كانت تقوم بكفالة فقراء المدن، وأضاف إن الدراسة العمرانية الاقتصادية لنظام الوقف فى ظل النظريات المعاصرة تؤكد أن هذا النظام هو عينه الذى يحقق التنمية المستدامة؛ فهو من جهة يوفر ميزانية مالية دائمة للصيانة والاستثمار فى أيدى الوكلاء، وفى نفس الوقت فإنه يرفع عن الإدارة العامة ثقل الإدارة الحضرية اليومية لمرافق المدينة وتجعل من إدارتها إدارة ذكية وذاتية.

فى ذكرى الهجرة النبوية الشريفة:

الهجرة النبوية صمود وإخاء

شعر / عبدالغنى أحمد ناجى

النور إن يمكر به الأعداء ❖❖ هجر المكان وحوله النصراء
فالنور كان محمداً برسالة ❖❖ فيها الهدى والشرعة السمحاء
لاقى الأذى من قومه بتعنت ❖❖ وصحابه من حوله ضعفاء
هم يصبرون على الأذى كى يحفظوا ❖❖ دين الإله تتوقه الأرجاء
أرجاء كون الله تنتظر الهدى ❖❖ بعد الضلال يبثه الجهلاء
ويخطط الجهلاء قتل محمد ❖❖ جهل يقود، ونظرة حمقاء
فى ليلة شهد الزمان قتامها ❖❖ كفر يمور، وأذنه صماء
لو تم فيها ماتبيت عصبة ❖❖ لتغير التاريخ والأجواء
وانساح موج الكفر يبتلع الهدى ❖❖ وكست عوالم ربنا الظلماء
لكن عناية ربنا فى لحظة ❖❖ تنجى الهدى.. يغفو بها الرقباء
فيمر أحمد راميا وجه العدا ❖❖ يغشى الوجوه الرمل والحصباء
ويلوذ بالغار الأمين وصحبه ❖❖ ياغار أنت وقاية ووجاء
العنكبوت بنسجه، وحمامة ❖❖ بالبيض حُرَّاسٌ له أمناء
الباحثون تراجعوا عن غاره ❖❖ كيف العثور، وقد رعته سماء
ويحل أحمد بالمدينة يثرب ❖❖ كالبدر يسطع نوره اللألاء
هى لحظة فوق الوجود مسارها ❖❖ من هاهنا هدى الإله يشاء
فيقيم أعدل دولة بين الورى ❖❖ هى دولة فيها الجميع سواء
آخى النبى مهاجراً بنصيره ❖❖ إن الاساس محبة وإخاء
لافضل إلا بالهداية والتقى ❖❖ النفس طهر، والقلوب صفاء
بإخائهم ملئوا الحياة هداية ❖❖ يعلو بهم فى الخافقين لواء
قد حطموا الشرك العتى وكبره ❖❖ يسعون، والسعى الحميد ضياء
كالزهر ينفخ عطره وأريحه ❖❖ عطر الهداية للأنام رواء
إيثارهم فاق الخيال تصورا ❖❖ فيه تكون القوة العصماء
هلا نعود إلى الإخاء بهمة ❖❖ لنعيد مجداً شاده الآباء
صلى عليك الله ياخير الورى ❖❖ ياخير من سعدت به الأرجاء

من إصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

نظرية الحرب فى الإسلام

للحرب فى الإسلام آداب وضوابط وقواعد وقوانين تحكمها وتكبح جماحها فلا تتجاوز الحدود والأغراض التى شرعت من أجلها، أو تخرج عن سياج العدل وإطار الغاية التى شرعت من أجلها، فهى ليست كما يعتقد البعض أو يشيع الأعداء لإكراه الغير على الإسلام أو بدافع الانتقام وإنما ما شرعت الحرب فى الإسلام إلا لغايات ومثل عليا

تأليف فضيلة الشيخ
محمد أبو زهرة

وهذا الكتاب الذى نعرض له « **نظرية الحرب فى الإسلام**» لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة، ضمن سلسلة دراسات إسلامية التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إصدار شهر شوال ١٤٢٩هـ، فى ١٠٤ صفحات من القطع الصغير، يفند مزاعم وأباطيل خصوم الإسلام حول طبيعة الحرب فى الإسلام وأهدافها.

تؤكد مقدمة الكتاب أن الصراع بين البشر وجد منذ هبط آدم على الأرض وتوالد نسله، وأن حب الغلب إذا سيطر على الإنسان أدى إلى القتال، وأن المغالبة بين الخير والشر توجب بلا ريب أن يقع القتل بين الآحاد، والقتال بين الجماعات والحروب. بين الدول، وتلك هى الحكمة؛ فإذا كان الشر يعتدى، فلابد للحق أن يرد، وإذا كان الظلم مستحكم، فلابد للعدل من أن يدفع ويحكم، يقول الله تعالى: **﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾**

رأن تولى النبيين للحروب، المصباح المنير الذى يبين للناس أنه يجوز. بل يجب أن تلتقى الفضيلة والعدالة مع القتل والقتال فى ميدان واحد.

الباعث على الحرب فى الإسلام

وتحدث المؤلف عن الباعث على الحرب فى الإسلام مؤكداً أن الباعث ليس هو فرض الإسلام وإنما هو دفع الاعتداء، ويضرب لذلك العديد من الأمثلة التى تجلى الحقيقة وتفند أى مزاعم وتسكت ألسنة الزيف والباطل. وفى هذا يقرر القرآن الكريم: **﴿لا اكراه فى الدين﴾** سورة البقرة: آية ٢٥٦.

وتطرق المؤلف إلى رأى الفقهاء فى القتال حيث اتفقوا على أن الباعث عليها هو رد الاعتداء، عملاً بالنص القرآنى الصريح الذى لا لبس فيه: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين.....﴾ سورة البقرة: الآيات ١٩٠، ١٩٣، تلك الآيات تعد دستورا للقتال فى الإسلام.

علاقة المسلمين بغيرهم

ويوضح الشيخ أبو زهرة أن الأصل فى علاقة المسلمين بغيرهم هو السلم، وأن ذلك ثابت بالنصوص القرآنية وبالوقائع التاريخية فى عصر النبوة، بما لا يقبل مجالاً للشك أو التأويل. يقول الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة﴾** سورة البقرة: آية ٢٠٨. أما سبب تسمية دار المخالفين بدار الحرب، فقد أشار إلى أن الفقهاء قد قسموا الديار إلى ثلاثة أقسام هى دار إسلام وهى التى تطبق فيها أحكام الإسلام ودار معاهدة وهى دار غير المسلمين الذين ارتبطوا معهم بعهد، والثالثة دار حرب وهى تخص من يناصب الإسلام العداء ويتأهبون للانقضاض عليه وأن ذلك لا يخالف الأصل الثابت المقرر وهو أن القتال فى الإسلام، الأصل فيه التحريم ويعرض يقرر الكاتب لحقيقة جلية ناصعة البياض وهى أن الإسلام لا يريد أن يأخذ مخالفيه على حين غرة، بل يعلنهم قبل الهجوم عليهم وإعلانه دليل على أنه لا يقصد بالقتال أن يستولى على أرض أو يحكم الرقاب ولكن أن يأمن جانبهم؛ إما بالعهد يعقدونه أو بالإسلام يعتنقونه. أما فى أثناء الحرب فهى حرب رقيقة تتسم بالتآليف وبالمحافظة حتى على الأعداء وأحب إلى محمد ﷺ أن يأتوه بهم سالمين قد عمر الإيمان قلوبهم قبل أن من يأتوا إليه بالنساء والذرية سبايا.

ما لا يحل فى القتال

ومع ما فى الحرب من صراع، وسعى كل طرف لتحقيق الغلبة. إلا أن الإسلام وضع قيوداً قيد بها المقاتل المسلم فى ميدان القتال من أهمها: منع قتل رجال الدين الذين التزموا دور العبادة لا يقتلون ولا يقاتلون ومنع قتل الأطفال والشيوخ والنساء والعمال الذين لا شأن لهم بالقتال، كذلك منع التخريب وقطع الشجر وحرقه طالما لم توجد ضرورة مُلجِئة لذلك.

احترام الإنسانية

وحتى فى أثناء الحرب فإن الإنسانية مكرمة فى الإسلام – كما يقرر الكاتب – وإن قتال النبى ﷺ الذى كان لدفع الاعتداء والمعاملة بالمثل مع التمسك بالفضيلة لا يحيد عنها قيد أنمله، فقد نهى ﷺ عن التمثيل بالقتلى أو القتل بالجوع والعطش، أو حتى عن ضرب الوجوه وتشويهها والحرب قائمة.

استراحة المنبر

محمد سيد أحمد

من أنوار القرآن الكريم [بر الوالدين]

قال تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤)﴾ الإسراء ٢٣ ـ ٢٤.

من علامات أهل السنة

قال سهل بن عبد الله التسترى لرجل سأله: متى يعلم الرجل أنه من أهل السُّنة والجماعة؟ فقال: إذا عرف فى نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبى ﷺ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يُكذب بالقدر، ولا يشك فى الإيمان، ولا يمارى فى الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة «أو الجمعة» خلف كل والٍ جار أو عدل.

«شرح أصول الاعتقاد ٢ / ١٨٣»

من هدْى رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب :

«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب العرش الكريم»

«أخرجه الإمام مسلم ٧٣٠»

من شعر الحكماء

قال الإمام الشافعى رضي الله عنه فى العفو عن الجاهل :

فالعفو عن جاهل أو أحمق أدبٌ
نعم وفيه لصون العرض إصلاحُ
إن الأُسود لتُخشى وهى صامتةٌ
والكلب يُحثى ويُرمى وهو نَبَّاحُ

يوم الفزع الأكبر

تحدُثُ يوم القيامة أهوال مفزعة: الحرارة لا تطاق فالشمس فوق الرءوس ملتهبة، والنار تحيط بأرض المحشر عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون لِمَ ذاك ؟ يجمعُ الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون الحديث».

«صحيح سُنن الترمذى للألبانى ٢٤٣٤ من حديث أبى هريرة»

قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)﴾ الفجر ٢٣ ـ ٢٤.

وفى صحيح الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».**

أصل الإيمان

قال ابن أبى زيد القيروانى المالكى المتوفى ٣٨٦هـ فى مقدمة عقيدته: **«من ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان بأن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون».**

إمام وعالم وأديب وشاعر

من العلماء الذين جمعوا بين علوم الدين وعلوم الدنيا «الخطيب خير الدين بن تاج الدين محمد إلياس زاده (١٠٨٦ ـ ١١٢٧ هـ) المُدرس والإمام بالمسجد النبوى الشريف كان عالمًا فاضلاً.. أديبًا من شعراء المدينة المنورة له مشاركة فى الفنون العلمية.. روى صحيح البخارى عن الشيخ محمد بن سليمان المغربى بسنده إلى مؤلفه وروى ألفية ابن مالك، وسائر تصانيف الحلبى من السيرة تولى منصب القضاء والإفتاء سنة ١١١٣هـ وكان عمره ٢٧ عامًا.

وقد تم اختياره للإمامة والخطابة فى مسجد رسول الله ﷺ ومن على منبره توفى وكان عمره ٤١ سنة وله عدة مؤلفات وديوان شعر ومن مؤلفاته كتاب «فلاح الفلاح»

(مجلة الحج والعمرة المحرم ١٤٢٦هـ)

فى الحياء

قال رسول الله ﷺ : **«الحياء لا يأتى إلا بخير»**

«متفق عليه من حديث عمران بن حصين»

«كان رسول الله ﷺ أشدُّ حياء من العذراء فى خدرِها»

«متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها»

طالب علم

هناك من الناس من هو على ثقافة واسعة، تجده يعرف بعض العلوم الشرعية ولكن لا تستطيع أن تُطلق عليه طالب علم.

وتجد آخر ربما لا يكون على سعة اطلاع الأول ومع ذلك تُطلق عليه طالب علم.. قال ابن عبد البر: «يقال إذا أردت أن تكون عالمًا فاقصد لفنٍّ من العلم، وإذا أردت أن تكون أديبًا فخذ من كل شيء أحسنه».

«جامع بيان العلم ١/ ١٣٠»

من علماء السلفية الحافظ المقدسي

هو الإمام الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن جعفر المقدسى، وُلِدَ بنابلس عام ٥٤١هـ، ونشأ فى أُسرة شغوفة بالعلم، فخاله هو العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، وابن خالته الإمام موفق الدين بن قدامة صاحب كتاب «الغنى».

كان الإمام المقدسى شغوفًا بالحديث وعلومه وأصبح من جهابذته وأعلامه، وعُرف عنه تمسكه بعقيدة السلف والذب عنها وتأليف الكُتب فى إيضاحها وترسيخها، ومن مؤلفاته: «الاقتصاد فى الاعتقاد»، توفى عام ٦٠٠هـ بمصر»

رفقاء الفردوس الأعلى

روى أنس رضي الله عنه أن أُم حارثة بن الربيع رضى الله عنهما أتت النبى ﷺ وكان ابنها حارثة قُتل يوم بدر، فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثنى عن حارثة؟ فإن كان فى الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء، فقال ﷺ: «يا أُم حارثة، إنها جنان فى الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى».

وها هى أُم سعد بن معاذ وقد فقدت ابنها عمرًا فى غزوة أُحد مع قتلى آخرين، فقال لها رسول الله ﷺ: «يا أُم سعد، وبشرى أهلهم أن قتلاهم ترافقوا فى الجنة وقد شفعوا فى أهلهم جميعًا»

«السيرة الحلبية ٢/ ٤٧/. الرحيق المختوم ص٢٨٣.»

حكم ومواعظ

عن إبراهيم التيمى قال: «المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر، فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه. والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً»

«كتاب الصمت ٢٤٧»

فضيلة الدكتور
على جمعة محمد

يسألونك فى الدين والحياة

حلقات الذكر

السؤال من القارئ/ جمال عبد الناصر من محافظة أسوان يقول:
ما حكم الاجتماع على الذكر فى حلقات؟

الجواب: الاجتماع على الذكر فى حلق سنة ثابتة بأدلة الشرع الشريف، أمر الله بها فى كتابه العزيز، فقال تعالى : ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**﴾ **سورة الكهف الآية ٢٨**. **وقال النبى ﷺ «إن لله تعالى ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا... إلى أن قال : فيقول الله عز وجل : أشهدكم أنى غفرت لهم. فيقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى جليسهم»**(١).

وعن معاوية رضي الله عنه : «أن النبى ﷺ خرج عن حلقة من أصحابه، فقال : ما أجلسكم؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا.. إلى أن قال : أتانى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة»(٢).

وقد بوب النووى الحديث الأول فى كتابه رياض الصالحين بعنوان، باب فضل : «حلق الذكر» والذكر فى الشريعة الإسلامية له معان كثيرة منها : الإخبار المجرد عن ذات الله، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه، أو بتلاوة كتابه، أو مسألته ودعائه، أو بإنشاء الثناء عليه بتقديسه، وتمجيده، وتوحيده، وحمده، وشكره وتعظيمه، ولا دليل لمن ادعى أن حلق الذكر المراد بها هنا دروس العلم.

وقد أورد الصنعانى حديث مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما جلس قوم مجلسًا يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»(٣).

ثم قال : «دل الحديث على فضيلة مجالس الذكر والذاكرين، وفضيلة الاجتماع على الذكر. وأخرج البخارى : «**أن ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**» الحديث. وهذا من فضائل مجالس الذكر تحضرها الملائكة بعد التماسهم لها.

والمراد بالذكر هو : التسبيح، والتحميد، وتلاوة القرآن، ونحو ذلك، وفى حديث البزار «**إنه تعالى يسأل ملائكته : ما يصنع العباد؟ وهو أعلم بهم، فيقولون : يعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم**» والذكر حقيقة فى ذكر اللسان، ويؤجر عليه الناطق ولا يشترط استحضار معناه، وإنما يشترط ألا يقصد غيره فإن انضاف إلى الذكر باللسان الذكر بالقلب فهو أكمل، وإن انضاف إليهما استحضار معنى الذكر، وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى، ونفى النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك فى عمل صالح مما فرض من صلاة أو جهاد أو غيرهما فكذلك، فإن صح التوجه وأخلص لله فهو أبلغ فى الكمال (٤).

ومما سبق يعلم أن التجمع لذكر الله بقراءة القرآن أو مدارسة العلم، أو التسبيح والتهليل والتحميد من السنن التى حث عليها ربنا فى كتابه العزيز، وسنة نبيه ﷺ الصحيحة الصريحة والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، ج٥ ص ٢٣٥٣.
(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه، ج٤ ص ٢٠٧٥.
(٣) أخرجه مسلم فى صحيحه، ج٤ ص ٢٠٧٤.
(٤) سبل السلام، للصنعانى، ج٢ ص ٧٠٠.

زكـــاة المـــــال

السؤال من القارئ/ على محمود مكى من محافظة الإسكندرية يقول :

هل يجب على المسلم إخراج الزكاة عن المال الذى يملكه حتى إن كان هذا المال سوف يشترى به شيئًا ضروريًا؟

الجواب: يشترط فى المال الذى تجب فيه الزكاة عدة شروط وهى : كونه مملوكًا لمعين، وكون ملكيته مطلقة، وكونه ناميًا، وكونه زائدًا عن الحاجات الأصلية، وحولان الحول، وبلوغه النصاب وهو ٨٥ جرامًا من الذهب، وأن يسلم من وجود المانع كدين ونحوه.

والذى يهمنا فى إجابة هذا السؤال شرطين وهما : النماء، وكون المال زائدًا على الحاجة الأصلية؛ حيث نص الأحناف على ذلك قال الكاسانى ما نصه : «(ومنها) كون المال ناميًا؛ لأن معنى الزكاة وهو النماء لا يحصل إلا من المال النامى، ولسنا نعنى به حقيقة النماء؛ لأن ذلك غير معتبر، وإنما نعنى به كون المال معدًا للاستنماء بالتجارة، أو بالإسامة؛ لأن الإسامة سبب لحصول الدر والنسل والسمن، والتجارة سبب لحصول الربح فيقام السبب مقام المسبب، وتعلق الحكم به كالسفر مع المشقة، والنكاح مع الوطء، والنوم مع الحدث، ونحو ذلك.

وإن شئت قلت : ومنها كون المال فاضلا عن الحاجة الأصلية؛ لأن به يتحقق الغنى ومعنى النعمة، وهو التنعم وبه يحصل الأداء عن طيب النفس؛ إذ المال المحتاج إليه حاجة أصلية لا يكون صاحبه غنيًا عنه، ولا يكون نعمة، إذ التنعم لا يحصل بالقدر المحتاج إليه حاجة أصلية؛ لأنه من ضرورات حاجة البقاء، وقوام البدن، فكان شكره شكر نعمة البدن. ولا يحصل الأداء عن طيب نفس فلا يقع الأداء بالجهة المأمور بها، لقوله ﷺ : **«وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم»** فلا تقع زكاة؛ إذ حقيقة الحاجة أمر باطن لا يوقف عليه، فلا يعرف الفضل عن الحاجة، فيقام دليل الفضل عن الحاجة مقامه، وهو الإعداد للإسامة والتجارة، وهذا قول عامة العلماء»[1].

وعلى هذا فإن الزكاة لا تجب إلا على المال الزائد عن الحاجة الأصلية والذى يمكن استثماره؛ فإمكانية استثماره دليل على عدم الحاجة إليه، أما المال الذى يحتاج المسلم أن يشترى به شيئًا ضروريًا، وحاجة أصلية فلا زكاة فيه، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) بدائع الصنائع للكاسانى، ج٢ ص ١١.

زيـــارة آل البـــــيت

السؤال من القارئ/ عاطف سيد أحمد من محافظة الفيوم يقول :

ما حكم زيارة آل بيت سيدنا رسول الله ﷺ؟

الجواب: زيارة آل بيت النبوة من أقرب القربات وأرجى الطاعات قبولاً عند رب البريات؛ وقد وصى النبى ﷺ أمته بآل بيته، فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى «خمًّا» بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال : «أما بعد ألا أيها الناس، **فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما : كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به». فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال «وأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى»**[1]، وقد حث النبى ﷺ على زيارة القبور كذلك فقال : «زوروا القبور فإنها تذكر الموت»[2]. وقد بينت حكم زيارة القبور عمومًا فى إجابة السؤال رقم ٤٦ فليراجع.

(١) أخرجه أحمد فى المسند، ج٤ ص ٣٦٦، ومسلم فى صحيحه، ج٤ ص ١٨٧٣.
(٢) أخرجه أحمد فى المسند، ج٢ ص ٤٤١، ومسلم فى صحيحه، ج٢ ص ٦٧١، وابن حبان فى صحيحه، ج٧ ص ٤٤٠.

الأذانان فى صلاة الجمعة

السؤال من القارئ/محمد على السيد من محافظة الجيزة، يقول : يذهب المتشددون إلى أن الأذانين فى صلاة الجمعة بدعة، والسنة هى الأذان الواحد؟

الجواب: شرع الله الأذان لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة، وتنبيههم للإقدام عليها، وشرعت الإقامة لاستنهاض الناس لأداء الصلاة، وشرع أذان واحد لكل فريضة، وكان زمن التشريع للأذان بعد الهجرة فى السنة الأولى، كما ثبت فى حديث رؤيا عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب[1]، وكان لكل فريضة أذان واحد وإقامة، وكانت الجمعة كسائر الفرائض فى عهد النبى ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر، وزاد عثمان الأذان الثانى يوم الجمعة للحاجة إليه، وهى كثرة الناس، فعلم أن الأذان مشروع بأصله، وليس هناك مانع من زيادة أذان مشروع فى وقت يحتاج الناس إليه، كما فهم بلال رضي الله عنه ذلك عندما صلى سنة الوضوء، وكما بينا ذلك فى إجابة السؤال رقم ٥١ عن حجية الترك، وأورد الإمام البخارى زيادة عثمان للأذان الثانى، فعن السائب بن يزيد قال : «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبى ﷺ وأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فلما كان عثمان رضي الله عنه وكثر الناس، زاد النداء الثالث على الزوراء»[2]. وسماه البخارى الثالث؛ لأنه يسمى الإقامة أذانًا.

(١) رواه الترمذى، فى سننه، ح١ ص ٣٥٩، وابن حبان فى سننه، ج٤ ص ٥٧٢، وابن خزيمة، ج١ ص ١٩٣.
(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه، ج١ ص ٣٠٩.

المصافحة بعد الصلاة

السؤال من القارئ/فؤاد على من محافظة كفر الشيخ يقول : ما حكم مصافحة المسلم لأخيه فور الانتهاء من الصلاة؟

الجواب: المصافحة مستحبة فى أصلها، قال النووى : «اعلم أنها سنة مجمع عليها عند التلاقى»[1]. وقال ابن بطال : «أصل المصافحة حسنة عند عامة العلماء»[2].

وقد نص على استحباب المصافحة بين الرجال كثير من فقهاء المذاهب، واستدلوا عليه بجملة من الأخبار الصحيحة والحسنة، من ذلك ما روى كعب بن مالك رضي الله عنه قال : «دخلت المسجد فإذا برسول الله ﷺ فقام إلىَّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنى»[3]، وعن قتادة قال : قلت لأنس رضي الله عنه : «أكانت المصافحة فى أصحاب النبى ﷺ قال نعم»[4]، وما روى عن عطاء بن أبى مسلم عبد الله الخراسانى قال : قال رسول الله ﷺ : «تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء»[5].

(١) فتح البارى للحافظ ابن حجر ج ١١: ٥٥ نقل قول النووى.
(٢) فتح البارى للحافظ ابن حجر ج ١١:٥٥ نقل قول النووى وصاحب تحفة الأحوذى ج ٧ ص٤٢٦
(٣) أخرجه أحمد فى مسنده ج ٣ ص ٤٥٨ والبخارى فى صحيحة ج ٤ ص ١٦٠٧ ومسلم فى صحيحه ج ٤ ص ٢١٢٦.
(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ج ٥ ص ٢٣١١ وابن جبان فى صحيحه ج ٢ ص ٢٤٥
(٥) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس ج ٢ ص ٤٧.

المحاريب فى المساجد

السؤال من القارئ/مصطفى عبد الغفار من محافظة البحيرة يقول : ما حكم اتخاذ المحاريب فى المسجد، وهل هى فعلاً بدعة محرمة؟

الجواب: لم يكن للمسجد النبوى الشريف محراب فى عهد رسول الله ﷺ، ولا فى عهد الخلفاء بعده، وأول من اتخذ المحراب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، أحدثه وهو عامل الوليد بن عبد الملك على المدينة المنورة عندما أسس مسجد رسول الله ﷺ لما هدمه وزاد فيه، وكان هدمه للمسجد سنة إحدى وتسعين للهجرة، وقيل سنة ثمان وثمانين، وفرغ منه سنة إحدى وتسعين - وهو أشبه - وفيها حج الوليد.

اختلف الفقهاء فى حكم اتخاذ المحاريب فكرهه الشافعية، وذهب الجمهور إلى جوازه واستحبابه كما دلت عليه عبارة الأحناف والمالكية، وأما الحنابلة فقد صرحوا بذلك الحكم فذكر ابن مفلح ذلك، فقال : «وقال ابن تميم : بناء المسجد مندوب إليه، ويستحب اتخاذ المحراب فيه وفى المنزل وقال الشيخ وجيه الدين بن المنجى فى شرح الهداية :بناء المسجد مستحب وردت الأخبار بالحث عليه، وسيأتى كلامه فى الرعاية فى أواخر الكتاب أن المساجد والجوامع من فروض الكفايات. وقال ابن عقيل : ينبغى اتخاذ المحراب فيه؛ ليستدل به الجاهل، وقطع به ابن الجوزى وقال بعضهم : ويباح اتخاذ المحراب نص عليه وقيل : يستحب. أومأ إليه أحمد»[1].

وعليه فنرى استحباب اتخاذ المحاريب فى المساجد؛ لما فيه من موافقة هؤلاء الأئمة، ولما فيه من المصلحة للمسلمين، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح، ج٣ ص ٤٠٥.

الأوقات التى تكره فيها الصلاة

السؤال من القارئ/ عصام زهران محمد خليل، من طنبدى - المنيا، يقول فيه:
ما الأوقات التى تُكره فيها الصلاة؟

الجواب: يسميها الفقهاء أوقات الكراهية، وقد ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة إلى أن عددها ثلاثة: عند طلوع الشمس إلى أن ترتفع بمقدار رمح أو رمحين، وعند استوائها فى وسط السماء حتى تزول، وعند اصفرارها بحيث لا تتعب العين فى رؤيتها إلى أن تغرب.

وذهب المالكية إلى أن عدد أوقات الكراهة اثنان: عند الطلوع وعند الاصفرار، أما وقت الاستواء فلا تكره الصلاة فيه عندهم.

وقد اتفق الفقهاء على كراهية التطوع المطلق فى هذه الأوقات، وعند الشافعية أنه لا ينعقد فيها أصلاً، ولكنهم استثنوا الصلوات التى لها سبب مقارن كصلاة الكسوف والخسوف والتى لها سبب سابق كركعتى الوضوء وتحية المسجد؛ فأجازوا أداءها فى أوقات الكراهية، بخلاف الصلوات التى لها سبب لاحق كصلاة الاستخارة مثلاً فلا تصلى فى أوقات الكراهة والله سبحانه وتعالى أعلم.

تشميت العاطس

السؤال من القارئ/د. محمود أبو النصر جاد الله - من دسوق كفر الشيخ، يقول فيه:
إذا عطس العاطس وجرى تشميته ثم عطس مرات بعد التشميت فهل يظل تشميته مرة واحدة أم بعد كل عطسة؟

الجواب: التشميت فى اللغة: هو الدعاء بالخير والبركة، وفى الشرع: هو الدعاء بالرحمة للعاطس، فإذا عطس المسلم فمن السنة أن يحمد الله تعالى، فيشمته أخوه المسلم بقوله: يرحمك الله، فيرد عليه العاطس بقوله: «يهديكم الله ويصلح بالكم»؛ لما رواه البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم**».

ومن تكرر عطاسه فزاد على اثنتين أو ثلاث فذلك قرينة على أن به زكامًا، والهدى النبوى أن يدعى له حينئذ بما يناسبه وهو طلب الشفاء له، فيكف الإنسان عن تشميت العاطس فيما زاد عن الاثنتين أو الثلاث؛ لما روى مسلم والترمذى واللفظ له عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال: شمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا عطس مرتين بقوله: «**يرحمك الله**»، ثم قال عنه فى الثالثة: «**هذا رجل مزكوم**» رواه مسلم والترمذى واللفظ له.

زينة النساء

السؤال من القارئ/ د. محمد عادل محمود أبو النصر من الإسكندرية، يقول فيه:
ما الزينة التى لا حرج فى أن يبديها النساء رغم أن البعض حرمها؟

الجواب: هى الزينة الظاهرة التى نص الله تعالى عليها فى قوله سبحانه: ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن**﴾ (النور: ٣١)، وقد فسر جمهور الصحابة رضى الله عنهم بأنها الوجه والكفان، وهذا دليل على أن كشف الوجه والكفين جائز للمرأة المسلمة.

الحسد

من القارئ/ محمد كمال قاسم : حلوان منشية جمال عبد الناصر

يحدثنا عن آفة الحسد الذى هو تمنى زوال النعمة عن الغير: قال تعالى : **﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا﴾** النساء ٨٩، وقال تعالى : **﴿إن تمسسكم حسنة تسوؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾** آل عمران ١٢٠.

ويحاول القارئ بيان الشر المستطير من هذا الحاسد فيقول : أمرنا الله أن نستعيذ من الحاسد كما أمرنا أن نستعيذ من الشيطان كما هو واضح فى سورتى الفلق والناس؛ لأن الحاسد عدو لنعم الله.

ويستمر القارئ فيقول : لقد وعظ عون بن عبد الله الفضل بن المهلب فقال : إياك والحسد فإنها أول معصية حصلت فى الأرض. ويختم صديقنا القارئ كلامه بقوله ﷺ فيما أخرجه مسلم : **«إنما الحسد فى اثنتين رجل آتاه الله مالاً فوصل منه أقاربه ورحمه وعمل بطاعة الله، ورجل آتاه الله القرآن فأقام به فأحل حلاله وحرم حرامه»** وكذلك قوله .. ﷺ **«إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»**

عمر وولاته

من القارئ/علاء عبد الواحد عبد الجليل السقا – جامعة الأزهر.

يطوف بنا قارئنا حول شخصية الفاروق وطريقته فى اختيار ولاته، فنراه يسأل أهل حمص عن واليكم سعيد بن عامر فيقول كما يحكى قارئنا : سألهم كيف وجدتم وليكم سعيداً؟ قالوا : نشكو منه أربعًا : ● لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. ● ولا يجيب أحداً بليل. ● وله يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا. ● وتأخذه غشية فتجعله بين الحياة والموت.

فما كان من سيدنا عمر إلا وجمع بينهم وبينه، وقال عمر: اللهم لاتغير رأيى فيه بما يشكون منه اليوم.

ترى ماذا أجاب سعيد، وهل كان دعاء عمر مقبولاً؟

يستمر قارئنا فى السرد فيقول : كان تبرير ابن عامر قويّا شامخًا عالمًا بحاله وحال من معه فيقول :

● أما عن عدم خروجى إليهم حتى يتعالى النهار، فإنه ليس لأهلى خادم، فأعجن عجينى ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ وأخرج إليهم.

● وأما عن عدم إجابتى لأحد بليل، فإنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل.

● وأما عن اليوم الذى لا أخرج فيه لأحد من الشهر، فإنه ليس لى خادم يغسل ثيابى وليس لى ثياب أبدلها فأنتظر حتى تجف ثم ألبسها وأخرج إليهم آخر النهار.

● وأما عن الغشية التى تجعلنى بين الحياة والموت، فسببها

مؤلم وهو أنى شهدت مصرع خبيب بن عدى الأنصارى وقد مزقت قريش لحمه ثم حملوه على جذع شجرة وتفننت فى تعذيبه وإيلامه ليكفر بمحمد ﷺ وقالوا له : أتحب أن نجعل محمدًا الذى تدين بدينه فى مكانك، **فرد عليهم قائلاً : والله لا أحب أن أكون حيًا بين أهلى ومحمد فى مكانه الذى هو فيه يشاك بشوكة فى أصبعه تؤلمه.**

وبعد : فإن عمر الفاروق رضي الله عنه قد أتعب من بعده لأنه لم يترك شاردة ولا واردة إلا وتوخى فيها حكم الله، حتى أنه أوقف سهم المؤلفة قلوبهم عندما لم تتوافر فيهم شروط هذا الإعطاء. فهو عمر الفاروق الذى لا يسلك الشيطان طريقًا يسلكه عمر. وهذا هو صحابى جليل من صحابة رسول الله هو سعيد بن عامر اقتدى فأحسن الاقتداء برسول الله ويكفيه أن شهد له عمر رضي الله عنه ودعا الله له ألا يغير رأيه فيه.

فريق المهتدين وفريق الضالين

من القارئ / فاروق عبد العزيز محمد شحاته – القاهرة

هناك من اهتدى، وهناك من ضل وغوى وتفرقت به السبل، وقد بين القرآن الكريم **فريق المهتدين** فى أنهم :

(لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) ولا يضلون ولا يشقون فهم خالدون فى الجنة، **وفريق الضياع** الذين كذبوا وكفروا بآيات الله فهم فى النار، ومثال ذلك: إبليس اللعين الذى عصى ربه ورفض السجود لآدم فطرد ولعن.

وقال ﷺ : **«استحيوا من الله حق الحياء».**

ومن استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وليكثر من ذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا.

وبعد.. فإن الحياة مليئة بالصراعات المستمرة والعراك القائم بين الحق والباطل وبين الخير والشر. وقد قال ﷺ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى».

حقوق الجار

وعن الجار يحدثنا القارئ /شعبان محمود شعبان –إسنا – قنا.

فيقول : ديننا الإسلامى يحترم الجار ويوقره ولا يسمح بإيذائه مهما كان دينه أو جنسه أو لونه، فيجب عدم إيذائه بأى صورة من الصور، ومن صور الإيذاء الإزعاج فى أوقات نومه وراحته، أو رفع البناء عليه وحجب الشمس والهواء عنه، أو فتح النوافذ على بيته والإطلال منها على خصوصياته، وكشف عوراته والتجسس أو التسمع عليه.

وعلاقات الجيرة الآن لم تعد بنفس القوة التى كانت عليها من قبل لأسباب كثيرة، فما أحوجنا للعودة لحديث رسولنا الكريم ﷺ : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره».**

وبعد : فإن الشاعر العربى الكبير قال بيتًا تتلخص فيه كل جوانب المشكلة بين الجيران وهو :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

ما أحوجنا إلى التأسى بالرسول الكريم وها هو الإمام الأعظم أبو حنيفة الذى كان جاره على غير ملة الإسلام وكان يزعجه وهو يقيم الليل، وفى إحدى الليالى قبضت الشرطة على هذا الجار، فما كان من أبى حنيفة إلا وقد ذهب وتدخل لدى الشرطة لتفرج عنه.

فما أحوجنا إلى خلق الإسلام القويم ليستقيم حالنا المعوج.

القدس تنادى أبناءها

من القارئ الطالب /محمد طارق بسيونى - الدقى - الجيزة

القـــــــــــــدس بـــتـــنـــادى ... فـــــــــــــيـــنـــكـــوا يـــا ولادى
فـيـنـك يا أحـمـد ويا مـحـمـد ويا حـسين ... ســـبـــتـــونى ورحـــتـــوا على فين
رحـــــتـــــوا فى طـريـق الضـــيـــاع ... وســـبـــتـــونى وحـــدى فى صـــراع
صـــــــــــراع مـع الأعـــــــــداء ... والـنـهـب والاعـــــــتـــــــداء
عـــايزين يـاخـــدونـى أنا بلد الفـــداء ... والمســـيـح والســـيـــدة العـــذراء
لحـــد امـــتـى هـفـــضـل هنا وحـــدى ... أكـــافـح وأحـــارب بجـــهـــدى
من غـــيـــر مـــا حـــد يفكر فـــيـــا ... ولا فـى الـسـنـين الـلـى جـــايـه
ازاى هـتـــــردوا على الأجـــيـــال ... لـمـا يـســـــألـوا ولـو ســـــؤال
يـســـــألـوا عـنـى وعـن حـــالـى ... اللـى ادهـور بســـبـب أجـــيـــالـى
هـتـــــردوا عـلـيـــهـم ازاى وبـأى رد ... وقـــدامـــهـم الـطـريـق ســـد
لـو عـــاوزيـن تـعـــيـــدوا المجـــد ... يـقـف مـنـكـم جـنـبـى ولـو فـــرد

ونحن نشارك الصديق محمد فى النداء إلى أبناء الأمة الإسلامية أن يتحدوا ويكونوا يدًا واحدة لاسترداد القدس من يد المغتصبين، حيث إن القدس هى مسرى رسول الله وثالث الحرمين الشريفين ولها مكانة كبيرة فى قلوب المسلمين.

مسابقة منبر الإسلام الدينية - المحرم ١٤٣٠هـ

نتيجة الأوضاع المالية والاقتصادية السيئة التى تعانى منها الدول الصناعية المتقدمة وهى الدول المانحة للمعونة فإنه من المتوقع أن تعجز هذه الدول من الاستمرار فى تنفيذ برامجها المخططة لتقديم المعونات

السؤال.. فى أى مقال وردت هذه العبارة... وما اسم كاتبه؟

عنوان المقال : ..... اسم الكاتب : .....

العنـــــوان : .....

العمـــــل : .....

اسم المتسابق : ..... رقم التليفـــون : .....

تاريخ الميـلاد : .....

رقم البطاقـــة: ..... جهة الصدور : .....

املأ بيانات هذه البطاقة بعد معرفة الإجابة، واحفظها عندك لترسل إلينا جميع البطاقات مرة واحدة فى آخر أشهر المسابقة. ومسابقة هذا العام تبدأ من شهر رمضان ١٤٢٩هـ حتى شعبان ١٤٣٠هـ